

النطرف المسكوت عن

أصول الفكر العصري المعاصر

تأليف

د. ناصر بن يحيى الحنيبي

دار التوحيد للنشر والتوزيع

IS LEGAL TENDER
IN THE
UNITED STATES
OF AMERICA
FOR ALL DEBTS,
TAXES AND
EXPENSES.

حقوق الطبع المحفوظة

الطبعة الثانية

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

دار التوحيد للنشر والتوزيع

١ / ٤٣٨٠٤٠٤ - ف : ٢٦٧٨٨٧٨ ت :

البريد الالكتروني: dar-attawheed.pub.sa@gmail.com

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فبعد أن منَ الله علينا ونفت الطبعة الأولى في وقت وجيز من كتاب (التطرف المسكوت عنه) ، وقد لاقت ولله الحمد قبولاً واسعاً بين المثقفين ، ووصلتني بعض الملحوظات والزيادات والتعديلات ، وكذلك أضفنا بعض المقولات المتطرفة لهذا التيار الذي يكتب وفي كل يوم يأتي بطاقة أكبر من أختها فتجمعت بعض الزيادات وبعض الملحوظات التي استدركناها في هذه الطبعة ، فعلى سبيل المثال : كان هناك توسيع في الرد على شبهة يثيرها التيار العلماني والعصري على حد سواء حول فصل الدين عن حياة الناس محتاجين بحديث النبي ﷺ : «أنتم أعلم بأمور دنياكم» ، وهناك أيضاً إثبات لرد علمي على بعض طروحات العلمانيين من قبل عالمين فاضلين من علماءنا وهما العلامة الشيخ عبد الرحمن البراك ، والعلامة الشيخ صالح الفوزان وغيرها من الزيادات التي أضافت فائدة علمية على الكتاب ، وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً صواباً ، وأن ينفع به كاتبه وقارئه وكل من اطلع عليه .

وأطلب من كل من قرأه أن لا يتتردد في إبداء رأيه ونقاذه وملحوظاته ؛ فإن المسؤولية على الجميع ، ولا يدرى البركة أين هي ؟ فقد تكون في ملاحظة من قارئ ؛ فينفع الله بها الفتاح من الناس .

جعلنا الله وإياكم مباركين أينما كنا وأن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه / د.ناصر بن يحيى الحنيني
المشرف العام على مركز الفكر المعاصر

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين ، أما بعد :

فهذه دراسة حول اتجاه فكري منحرف ظهر في حياة المسلمين المعاصرة ، بعد أن عجز الفكر العلماني المعادي ، والمنابذ للشريعة الإسلامية أن يخترق ثقافة الأمة الإسلامية ، وأن يؤثر فيها كما كان يحلُّم ، فجاءت اليقظة العلمية والدعوية في أوساط الأمة ، وبذلت أحالم هذا الفكر المنحرف المعادي للدين ، فعمد إلى بعض أبناء المسلمين الذين خُدِعوا ببعض دعوهـا ، والمتأثرين بالمستشرقين ، وبعض الملاحـدة الرـنانـدة من أعداء الدين ، فخرج هذا المـسـخـ الذي يـسمـيـ (الفـكـرـ الـلـيـبرـالـيـ) .

وفي الآونة الأخيرة وفي العقد الأخير تحديداً ، ازداد نشاط التيار الليبرالي بصورة لافتة للنظر ، وظهر توجه متطرف يَتَقَبَّلُ بالإسلام زوراً وبهتاناً ، يدعو إلى نبذ الأصول المتبينة والقواعد المحكمة التي انطلق منها سلف الأمة من الصحابة والتبعين في فهمهم للدين بأبوابه المتعددة ، وتصورهم ونظرتهم للكون والحياة ، في مقابل إخضاع العقيدة والفكر والثقافة والنظر للكون والحياة للأهواء وجعلها حاكماً مهيمناً عليها بعيداً عن نور الوحي والرسالة؛ مع الاعتماد الكلي على النّظرية النقدية الفلسفية لكل شيء ولو كان من الثوابت وال المسلمات^(١) والسير في ركاب

(١) انظر : «التراث والحداثة» : (ص / ٤٥-٤٦) للجابري.

أعداء الملة وتحديداً أمريكا بدعوى التطور، وأنّ من أسباب التخلف تلکم الكتب الصفراء التي نرددتها في مساجدنا ودروسنا -زعماً-، وظهر تحالف

مشبوه بين التيار الليبرالي العلماني الصريح وبين هؤلاء الليبراليين المتّقنّعين بالإسلام، وأصبح الاتجاه الليبرالي المتّقنّ بالإسلام غشاً وخداعاً مطية يركبها الاتجاه الليبرالي الأمريكي التوجه والهوى، لتنفيذ مخططاتهم في تغريب الأمة عموماً وببلاد الحرمين على وجه الخصوص، وأمريكا تعرف هذا التوجه وتشجعه وتراهن عليه^(١)، كيف لا؟ وأصحاب هذا الاتجاه يُشيدون بها، ويسياستها في المنطقة، ويُكيلون لها الثناء العاطر.

يقول خالص جليبي -وهو أحد رموزهم الكبار-: «يجب أن نحزن لحزن أمريكا؛ لأنّ فشلها فشل لكلّ الجنس البشري، ولأنّها تمثل طليعة الجنس البشري»^(٢).

إنه لمن الواجب على أهل العلم والمنهج الأصيل أن يتصدوا لهذه الحملة الظالمة التي طالت الأصول والثوابت، وساهمت بشكل كبير في الترويج للمشروع التغريبي الذي تترעםه أمريكا وأهل الشهوات في البلد، وهذه الدراسة محاولة متواضعة لتجليلية شيء من حقائق هذا الفكر ورسم معالم وخطوط عامة لمعرفة مكمن الداء وكيفية العلاج والله الموفق.

كذلك وقد قسمت الدراسة كما يلي:

(١) انظر مقالاً خطيراً مترجمًا عن اللغة الإنجليزية بعنوان (الليبراليون الجدد.. عمالة تحت الطلب)، لـ(جون بيAlterman) Jon B. Alterman مدير برنامج الشرق الأوسط في معهد الدراسات الدولية والاستراتيجية الأمريكية (Center for Strategic and International Studies)، وقد ترجم المقال للعربية: الأستاذ/ إبراهيم عرفة أحمد، ولقراءة المقال، والوقوف على تفاصيله، انظر: «مجلة البيان»: العدد(٢١٩) ذر القعدة ١٤٢٦هـ.

(٢) جريدة الاقتصادية، العدد(١٧٣) في: ٤/٢/٢٠٠٣م.

المقدمة، وفيها بيان البواعث على كتابة هذه الدراسة، وبيان خطر هذا الاتجاه على وجه الإجمال.

• وتمهيد: وفيه :

- ١) المصطلحات التي أطلقواها على أنفسهم أو أطلقوا عليهم من غيرهم (الليبرالية، العصرانية، العقلانية، التنوير، الفكر التجديدي، الفكر التحديثي).
- ٢) تاريخ ظهور هذا الاتجاه على وجه الإجمال.
- ٣) أثر الاستشراق والاتجاهات الإلحادية على الفكر الليبرالي.
- ٤) أسباب انتشار هذا الفكر والافتتان به .

الفصل الأول : معالم الفكر الليبرالي المعاصر .

الفصل الثاني : آثار وأخطار الفكر الليبرالي على المسلمين .

الخاتمة : وفيها أبرز النتائج، وأهم التوصيات .

وقد حرصت في هذه الدراسة على الاختصار الشديد، والاكتفاء ببعض الشواهد من كلام الليبراليين، وليس الكل^١، مع الحرص الشديد على التوثيق الدقيق، وقد تطلب ذلك في بعض المواضع النقل الحرفي لبعض المقابلات المسجلة؛ كما هي دون تعديل أو تصحيح لغوي.

كما ركزت في هذه الدراسة على النموذج السعودي خصوصاً، وإن كنت في بعض المقاطع أستشهد بأراء غير السعوديين، وخصوصاً آراء خالص جلبي لسبعين:

أحدهما: أنه كاتب مكثر في الصحافة السعودية وفي أكثر من مطبوعة.

الثاني: أنّ عدداً من الليبراليين السعوديين تتلمذوا على يديه، واستنسخوا بعض أفكاره.

وأسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى ، وهذه محاولة متواضعة لبدء مشروع متكملاً لمواجهة هذا الفكر الذي له منابر ووسائله وكتبه ، والتي ظهر أثراً لها على المجتمعات الإسلامية وخاصة المحافظة منها ، والله المعين والموفق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتبه

د. ناصر بن يحيى الحنيبي
المشرف العام على مركز الفكر المعاصر
وأستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية

تمهيد

١- المصطلحات التي أطلقواها على أنفسهم أو أطلقت عليهم من غيرهم:

قبل الحديث عن هذه المصطلحات، يجدر التنبيه على أننا لا ننتقد هذه المصطلحات لذاتها، بل نريد أن نبين المقصود من إطلاقها، وإنما فإن بعضها قد يحمل معنى صحيحاً وآخر فاسداً.

-الليبرالية: وهاهنا يحسن بنا أن نسلط الضوء على حقيقة هذا المصطلح؛ لأنَّ أصحاب التيار الليبرالي صاروا يروجون له، ويتشدقون به كثيراً في الآونة الأخيرة.

يقول إبراهيم البليهي: «أنا مسلم أولاً ثم ليبرالي ثانياً، يعني مسلم مبادئ ولبيرالي آليات، يعني أرى أن الإسلام لن يكون له نجاح إلا بالآليات التي توصل إليها البشر في تطبيق العدل»^(١).

وها هو يوسف أبا الخيل يرى ضرورة تعزيز قيم الليبرالية في المجتمعات العربية، إذ يقول: «كنت قد كتبت مقالاً هنا عن ضرورة لبرلة المجتمعات العربية قبل أية محاولة لديمقراطتها، وجاءت تلك الملاحظة على خلفية ما كنت رصدته خلال الفترة الماضية من بعض إفرازات ما يعرف بـ(الممارسة الديموقراطية الغوغائية) التي مورست على وقع أجواء حرية التعبير الجديدة التي سادت في بعض البلاد العربية كاستجابة للمتغيرات المحلية منها والدولية».

ويقول في نفس المقال: «فقد طالبت في مقالتي تلك بغرس قيم الليبرالية في مفاصل الثقافة العربية عن طريق إصلاح التعليم والفكر بشكل عام بتطعيمهما

(١) في لقاء معه نقلَ عبر (قناة العربية)، بتاريخ الأربعاء: ٤/٦/٢٠٠٥

بذلك القيم قبل أية محاولة لدمقرطة المجتمعات العربية . . .^(١).

أما محمد محمود، فيعترف بكل صراحةً ووضوحٍ بانتسابه للتيار الليبرالي، وتشرفه بأن يصل إلى قيمه وأديباته، وإليك هذا المقطع المسجل الذي يكشف النقاب عن حقيقة القوم:

«محمد محمود: أصابتني رياح الصحوة لكن ليست يعني لم تستولي علي،
ولم تقتلعني من جذوري فأنا . . .

تركي الدخيل: وش جذورك؟

محمد محمود: جذوري الليبرالية . .

تركي الدخيل: تعتبر نفسك ليبرالي؟

محمد محمود: جدًا، وهو أفق أسعى إليه، يعني أنا اعتبر نفسي كصفة أو
صفة تشريف لكن هل أنا أحوزها أم لا . .

تركي الدخيل: الليبرالية؟

محمد محمود: إي الليبرالية صفة تشريف لكن هل أحوزها أم لا . .

تركي الدخيل: ليش تعتقد أن انطباع الانطباع الموجود في المجتمع الليبرالية
سلبي؟

محمد محمود: الجهل فقط . .

تركي الدخيل: جهل الناس . .

محمد محمود: جهل الناس بماذا تعني الليبرالية . .

(١) في مقال له بعنوان: (الهويات الدينية في المجتمع الليبرالي)، نُشر في جريدة الرياض، بتاريخ: الخميس ١٥ جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ - ٢١ يوليو ٢٠٠٥م - العدد ١٣٥٤١.

تركي الدخيل : يعني وأنت أدركت ما تعني الليبرالية؟ ما هي وش تعريفك لل الليبرالية؟

محمد محمود: شوف الليبرالية أخي هي مجموعة من الأفكار التي تتمحور حول مفردة الحرية ، فالحرية قيمة لهذا الإنسان هنا من هنا تبدأ الليبرالية ، طبعاً هنا التجارب الليبرالية تخضع لعدة تظاهرات من هذا الجذر وعدة تجارب ، فلدينا تجارب ليبرالية تأخذ أو تعطي بعض مفردات الحرية مطلقاتها ، أي تمنحها ومطلقاتها وهنا تصبح^(١).

ويقول أيضاً: «إن الليبرالية تعني في أساس مصطلحها الأوروبي (فلسفة الحرية) ، لأنَّ الكلمة «حرية» لها ارتباط وثيق بكلمة «الليبرالية» إذ تم اشتقاها من أصل الكلمة اللاتينية (Liberty Liberalism)، والإسلام بصفته دين الحرية الإنسانية يتوافر على أهم أصل في مجال الليبرالية ، بل إنه المجال المؤسس لما يبني عليه من حقوق أخرى»^(٢).

ونلحظ أنَّ هؤلاء الليبراليين الجدد ، أدركوا من واقع مجتمعهم الذي يعيشون فيه أنَّ استعلانَهم بالليبرالية ومجاهرتَهم بها في وضح النهار ، وبخاصة في المجتمعات المحافظة؛ كالمجتمع المسلم في بلاد الحرمين ، من شأنه أنْ يكشف خبيثةَ أمرهم ، ويُجرِّ عليهم كثيراً من المتابعين ، ويُدفنَ منذ الوهلة الأولى مشروعهم التغريبي الإجرامي في مقبرة التاريخ ، ثمَّ لا يعودونَ من وراء ذلك كُلُّه إلا بالخيبة والخسار.

فكانَ منْ مكريهم أنْ تقنعوا في دعوتهم لل الليبرالية التي ينبعونَ بها بالإسلام زوراً وبهتاناً؛ منْ أجلِ أنْ يلبسوها على الناس ، وحَتَّى تروج بضاعتهم الكاسدة لمنْ يقرأ أو يسمع لهم.

(١) انظر: «موقع قناة العربية»- برنامج إضاءات- بتاريخ: الأحد: ٦ ربيع الأول ١٤٢٨ هـ، ٢٥ مارس ٢٠٠٧ م.

(٢) جريدة الرياض ، الخميس ٢ ذي الحجة ١٤٢٥ هـ - ١٣ يناير ٢٠٠٥ م- العدد ١٣٣٥٢

ولنا أن نتساءلـــ حيثـــ ما هي الليبرالية؟ وما هو جوهرها الحقيقي؟ وهل يمكن أن تلتقي مع الإسلام بحيث يسُوغ للمسلم أن ينعت نفسه بـــ (المسلم الليبرالي)؟

أما الجواب عن السؤال الأول: ما هي الليبرالية؟ فأقول:

الليبرالية: تدعو إلى الحرية المطلقة وعبادة الفرد نفسه وهوه وشهوته ، وقد عَبَرَ عنها منظروها في الحضارة الغربية سواء في فرنسا أو في بريطانيا بأنها التفلت المطلق ، وهي أيضاً تدعو إلى الحرية المطلقة التي لا تعترف بدين ولا نص مقدس ولا عادات ولا تقاليد ولا أي أمر يعيق الحرية الفردية .

ومن أشهر من نادى بالليبرالية: آدم سميث وماłtos وريكاردو وجون ستيلورات مل^(١).

فال الفكر الليبرالي في أصلهـــ كما يقول الدكتور عبد العزيز كاملـــ : «نشأ عن فلسفة سياسية واقتصادية، أفرزت قناعات ثقافية وممارسات اجتماعية، حاولت بعد ذلك أن تتحول إلى منطلقات لحرية دينية ، ونسبة اعتقادية ، تؤول إلى (اللا دين) . والليبرالية بكل تعريفاتها لكل أصنافها ؛ تُركّز على جوهر واحد يتفق عليه جميع الليبراليين ، وهو أنها : تعتبر الحرية هي المبدأ والمنتهى في حياة الإنسان ، وهي وراء بوعنه وأهدافه ، وهي المقدمة والت نتيجة لأفعاله . فالحرية هي سيدة القيم عندهم دون أدنى حدود أو قيود ، سواء كانت هذه الحدود هي (حدود الله) أو كانت تلك القيود لسبب سياسي أو اجتماعي ، أو ثقافي ، أما مبدأ عبودية الإنسان لخالقه كما جاءت به رسالات السماء جميعاً ، فهي عند الليبراليين لون من تراث الماضي «المتخلف».

والفكر الليبرالي لم يقف عند حد علاج الخلل الناشئ بسبب فساد تصورات

(١) «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة»: (٢/١١٤٥-١١٤٦).

الكنيسة في الدين والسياسة والاقتصاد والمجتمع، بل جعل الآلهة المتعددة إليها واحداً هو الهوى، فهو المعبد الحقيقي في الملة الليبرالية

ويقول أيضاً: «صحيح أن أرباب الليبرالية يختلفون فيها بقدر اختلاف أهوائهم، إلا أنهم يتتفقون على شيء واحد، وهو وصف موسوعة (لاند) الفلسفية لها بأنها: «الانفلات المطلق بالترفع فوق كل طبيعة».

وغرّفها الفيلسوف السويسري (جان جاك روسو) بأنها: «الحرية الحقة في أن نطبق القوانين التي اشتراكناها نحن لأنفسنا».

وهكذا نرى أن تعريفات الليبرالية تجمع على أنها انكفاء على النفس مع افتتاح على الهوى؛ بحيث لا يكون الإنسان تابعاً إلا لنفسه، ولا أسيراً إلا لهواه، وهو ما اختصره المفكر الفرنسي (لاشيه) في قوله: «الليبرالية هي الانفلات المطلق»^(١). اهـ بتصرف واختصار.

ثم يأتي الجواب عن السؤال الآخر: هل يمكن أن تلتقي الليبرالية مع الإسلام؟

الجواب: كيف يلتقي الإسلام مع الليبرالية؟!، ومن شروطها وأساس فكرتها نبذ كل ما يعارض الحرية البهيمية من دين ونص شرعي مقدس وعادات وتقالييد وغيرها، فالليبرالية لا يمكن أن تقوم إلا بنبذ الدين، ولهذا لا يمكن أن يكون الإنسان مسلماً ولبيراليًا في نفس الوقت، لأنه سوف يتقييد بأحكام الإسلام وشروطه وهي التي تخالف فكرة الليبرالية من أصلها، وأما إعلاء شأن الإنسان وكرامته وحقوقه فالإسلام أعطى الإنسان حقه وما هو في صالحه وصالح المجتمع؛ إذ المنهج الذي جاء به معصوم من عند رب العالمين؛ لأن الله-خالق الإنسان- هو أعلم بما يصلحه كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْأَطِيفُ الْخَيْرُ﴾

(١) مجلة البيان، العدد: (٢١٩) بتاريخ ذو القعدة ١٤٢٦هـ، بتصرف.

[الملك: ١٤]، وهذه الحقيقة الشرعية هي الغائبة عن الحضارة الغربية ، فمن السفة والغباء إذاً أن تُستجلب الليبرالية كمنهجٍ ونظام حياةً لل المسلمين الذين أكر مهم الله وشرّقُهُم بِهذا المنهج الإسلامي الذي يصلح لكل زمان ومكان ، وأما ما ابتدعه عقول المفكرين الغربيين فهي قائمة على الحظوظ الشخصية دون اعتبار للأمور الغبية التي تميز المسلم في عقيدته ومنهجه في الحياة .

وعليه؛ فلا يجوز أن يطلق المسلم على نفسه لقب الليبرالية؛ لأنّها تدعو إلى معاداة الدين ونبذه وعدم الرجوع إليه والتحاكم إليه .

وثمة خطر آخر وهو: أنّ هذا المصطلح المحدث يوهم التقارب بين الإسلام والليبرالية ، ويسمح بتمرير ضلالات الليبرالية إلى قلوب عوام الناس وعقولهم وهم لا يشعرون ، وهذا لا ريب أنه محظوظ عظيم يجب سد الطرق المفضية إليه .

وهي كذلك: تبيح للشخص أن يتسبّب إلى أي دين ، وإلى أي مذهب دون أن يُعَاب أو يُنْكَر عليه ، فهذه حريةٌ مطلقة لا قيود ولا ضوابط لها ، وقد ذَلَّ الكتاب والسنة وإجماع المسلمين على وجوب اتباع دين الإسلام الحق ، وأن من لم يتبع دين الإسلام فهو كافر ، شقي في الدنيا ، وهو في الآخرة من الأخسرين الخالدين في الجحيم ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ عَنِّ إِلَسْلَمٍ دِيَنَنَا فَلَنْ يُفْلِمَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] ، وقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلهِ وَسَلَّمَ-: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَضْحَاقِ النَّارِ»^(١) .

-العصرانية: إشارة لتطويعهم نصوص الشريعة وأحكامها لتوافق مع مستجدات العصر دون اعتبار لقداسة النص والمرجعية الشرعية وهي الكتاب والسنة^(٢) .

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا، ١/٣٦٥ / برقم ٢١٨).

(٢) انظر: «قاموس إنجليزي- عربي»: (ص/٥٨٦) لمنير البعلبي، و«دائرة المعارف البريطانية/ =

- العقلانية: إشارة إلى تقديمهم وتقديسهم للعقل، أو أنهم أهل عقل وحكمة ومن عدتهم ليس لديهم اهتمام بالعقل، ويقصدون بذلك أصحاب الاتجاه السلفي تحديداً، وتعاملوا مع العقل بالطريقة المنحرفة التي تعامل بها أهل البدعة عموماً والمعزلة على وجه الخصوص^(١).

- التنوير: ظهر مصطلح التنوير (ENLIGHTENMENT) في القرنين السادس عشر والسابع عشر في أوروبا تعبيراً عن الفكر الليبرالي البورجوازي ذي النزعة الإنسانية العقلية والعلمية والتجريبية. ويتضمن هذا الفكر نزعية مادية واضحةً بعد إقصاء اللاهوت، وذلك بإحلال الطبيعة والعقل بدلاً من الفكر الغيبي الشيولوجي والخرافي في تفسير ظواهر العالم ووضع قوانينه^(٢).

والتنوير اتجاه ثقافي ساد أوروبا في القرن الثامن عشر بتأثير طبقة من المثقفين من أمثال: (فولتير)، و(ديدرو)، و(كوندورسيه)، و(هولباخ)، و(بيكاريا)، الذين أخذوا عن الفلاسفة العقليين: (ديكارت)، و(سبينوزا)، و(لابيتس)، و(لوك)، والذين طبعوا القرنين السابع عشر والثامن عشر بطبعهم الثقافي، حتى أطلق على هذه الفترة اسم عصر العقل (THE AGE OF REASON)، وكان التنوير ناتجه^(٣).

(١) انظر: «مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفـيـ رؤية نقدية في ضوء الإسلام» عبد الرحمن بن زيد الزيني، و«المدرسة العقلية الحديثة»: (ص/٩) لناصر العقل .
لسطامي محمد سعيد، و«اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر»: (ص/٥٥٢) لحمد بن صادق الجمال، و«العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب»: (ص/١٨٦-١٩١) لمحمد حامد الناصر .

(٢) انظر: «موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية»، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١٦٩ ، محرر المادة د. محمد أبو شامة .
(٣) انظر: «المعجم الفلسفـيـ»، إصدار مجمع اللغة العربية، طبعة القاهرة، سنة ١٩٧٩م، و«القلب والعقل» لرولان مورتيه (Recueil Le cœur et la raison, Roland Mortier)، و«مدخل إلى التنوير الأوروبي»: (ص/١٣٨-١٣٩) لهاشم صالح .

ويتمثل التنوير حركةً عقليةً أوروبيةً رأت في العقل الوجود الحقيقى للإنسان، وسعت إلى تحرير الحضارة من الوصاية الكنسية والتزعزعات الغيبية والخرافات، وأمنت بتقدّم الإنسانية عن طريق البحث العلمي^(١).

ويرجع الفضل إلى الفيلسوف الألماني (كانت) في استخدام مصطلح التنوير كتعبير عن الحركة العقلية التي بدأت في أوروبا في القرن السابع عشر وبلغت أوجها في القرن الثامن عشر، وقد امتد تأثيره في الحضارة الأوروبية كلها، وفي الشعوب المتأثرة بالحضارة الأوروبية^(٢).

فالتنوير إذن، كمصطلح شائع في الحياة الفكرية، هو مصطلح أوروبى الشأن والمضمون والإيحاءات، بل إنه عنوان على نسق فكري ساد في مرحلة تاريخية من مراحل الفكر الأوروبي الحديث، حتى ليقال كثيراً، في تقسيم مراحل هذا الفكر: «عصر التنوير». وهذا المفكر من عصر التنوير. وهذا الفكر من أفكار (عصر التنوير)^(٣)، أو ضدّ أفكار ذلك العصر^(٤).

(١) انظر: «الدين والفلسفة والتنوير»، د. محمود حمدي زقروق، ص: ٧٩، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٦، و«فلسفة الأنوار» لكاشير Ernst Cassirer, La philosophie des lumieres.Fayard,Paris,197.,pp.39-4

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: «معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام»، د. محمد عمارة، ص ٥٤، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧.

(٤) يُعتبر الإلحاد هو السمة البارزة الطاغية في (عصر التنوير)؛ فقد كانت الحركة الماسونية تعمل عملها الثنائي المدمر في تلك الحقبة التاريخية، وكانت غايتها الكبرى من وراء ذلك كله القضاء على كل اعتقاد ديني، وهذا يتناول كل الأديان على حد سواء، يتجلّى هذا في الجوانب الآتية:

- أ- إقامة النقوس فوق كل اعتقاد بالإله أيّا كان .
- ب- إذا ذُكر الإله؛ فإنما يقصد به في قانونهم (الطبيعة) وقوها المادية .
- ج- كل شيء هو مادي؛ فالله والعالم ليس إلا شيئاً واحداً .
- هـ جمجمة الدبابات خيالية، غير ثابتة، اخترعها ذوو المطامع .

كذلك وإليك أخي القارئ بعض النقول التي تبرهن على انتماء هؤلاء القوم إلى الفكر التنويري، وتروي جهم لأصوله ومضامينه:

يقول محمد بن علي المحمود: «كما لم يأت التنوير الأوروبي من فراغ؛ فإنه- كذلك -لم يقم في فراغ. لقد كان الواقع المظلم لأوروبا في القرون الوسطى هو الباعث أو المبرر لطرح سؤال التنوير الذي أخرج أوروبا من الظلمات إلى النور. ولا زال التراث التنويري، يمد العالم أجمع بنفحات من الحياة، يصعب أن تعيش بدونها؛ رغم بعض صور العقوق له، حتى من أبنائه، ورغم القراءات التي المتتجاوزة من جهة، والمضادة لنهايات القيم التنويرية من جهة أخرى.

التنوير ليس ترفاً، وإنما هو (حالة) إنقاذ، وانتشال للأمة من واقع المأساة الإنسانية والتخلف المدني. لم يأت التنوير في سياق طبيعي، وما كان له أن يأتي؛ إلا كرد فعل على واقع مضاد. جاء التنوير؛ لأن كل مفردة من مفردات الواقع كانت تدعوا - بضديتها - إلى حالة تنوير. ولو لا الظلام؛ لم نبحث عن النور، فضلاً عن أن نخترعه من العدم»^(١).

وهاب خالد الغنامي يكشف النقاب عن حقيقة دعوتهم التي يُنادون بها في حوارٍ أجراه معه تركي الدخيل:

«تركي الدخيل: يعني أنت تريد أن تعيد أن تبعث أفكار فلاسفة التنوير^(٢)؟

= ورفض أي عقيدة تقوم على أساس الوحي. انظر: «الإسلام والفلسفة»: (ص/٢٥٢)، الأستاذ/أنور الجندي .

(١) جريدة الرياض، الخميس ٢٥ ذي القعده ١٤٢٥هـ - ٦ يناير ٢٠٠٥م - العدد: (١٣٣٤).

(٢) فلاسفة التنوير في ميزان الحقيقة هم زعماء الماسونية ورؤادها الكبار، ويأتي في مقدمتهم (ويستهويت)، ويليه: فولتر، ورينان، وكولفين، وروسو، وللمبار، وبرودون، وقد كشفت بعض الوثائق السرية النقاب عن أفكار هؤلاء الفلاسفة التي من أبرزها: حرية الأديان، وتأليه العقل، وحرية البحث بانتقاد عقائد الدين، والزعم بأن العلم هو الأساس الوحيد لكل معتقد . انظر: «الإسلام والفلسفة»: (ص/٢٥٥) (٢٥٦)

خالد الغنامي : ليس وحدي ولكنَّ كثير من الكتاب السعوديين يعتقدون هذا ، يعتقدون أن العودة إلى عصر التنوير هو ما نحتاجه في الفترة الحالية»^(١) .

- الفكر التجديدي : ويعنون به تغيير أصول الإسلام -لا المقصود المبادر من اصطلاح التجديد وهو إحياء ما اندرس من معالم الإسلام وأصوله ، فالمتمنع في كتب هذا التوجه يرى أنهم يدخلون في التجديد الابداع في تغيير الإسلام وتغيير أصوله بما يتوافق مع الأهواء ، ويساير الواقع وتوجهات الأعداء ليقبلوا بهم^(٢) ، وسيأتي بيان ذلك -بإذن الله- بالتفصيل في تصاعيف هذه الدراسة .

-الفكر التحدسي ، أو الإسلام التحدسي : هو الاتجاه العقلاني الداعي إلى الابداع في الدين أو تكييفه وتطويره -باسم التجديد- لمسايرة العصر ومواكبة التطور^(٣) ، وهذا الإطلاق صادر عن الدوائر الثقافية الغربية التي تُروج له؛ لأنَّه يهدِّم الإسلام ويضعفه من داخله؛ فهو يعارض ويقف بقوة أمام تميز المسلمين وسر عزتهم واستعصائهم على عدائهم من خلال إيمانهم ببعض الثوابت الشرعية مثل: الجهاد، والولاء والبراء ، وهمما أكبر قضيتين يسعى الغرب لقتلهمَا في نفوس المسلمين ، بل تشويه ماضيهما المشرق المليء بالجهاد والبطولات والفتورات .

وللدكتور المسيري كلام نفيس حول مصطلح الحداثة والتحداث الذي يُروج له كي نلحق بركب الحضارة الغربية دون تمييز حيث يقول :

«... ومصطلح التحداث لا يُشكّلُ أي استثناء لهذه القاعدة ، فتوجد تعريفات كثيرة لمفهوم الحداثة ، لكن ثمة ما يشبه الإجماع على أن الحداثة مرتبطة تماماً بفك حركة الاستنارة الذي ينطلق من فكرة أن الإنسان هو مركز الكون وسيده ، وأنه

(١) انظر : «موقع قناة العربية» - برنامج إضاءات - بتاريخ ١١/٥/٢٠٠٥ م .

(٢) انظر : «مفهوم تجديد الدين» : (ص / ١٢٠) .

(٣) انظر : «الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية» : (ص / ٢٢٣) لمفرح القرشي .

لا يحتاج إلا إلى عقله سواء في دراسة الواقع أو إدارة المجتمع أو للتمييز بين الصالح والطالع، وفي هذا الإطار يصبح العلم هو أساس الفكر، مصدر المعني والقيمة، والتكنولوجيا هي الآلة الأساسية في محاولة تسخير الطبيعة وإعادة صياغتها ليحقق الإنسان سعادته ومنتفعته.

هذا التعريف قد يبدو للبعض تعريفاً جامعاً مانعاً أو على الأقل كافياً، ولكننا لو فحصنا الأمر بدقة أكبر لوجدنا أن الحداثة ليست مجرد استخدام العقل والعلم والتكنولوجيا ، بل هي استخدام العقل والعلم والتكنولوجيا المنفصلة عن القيمة ، أو كما يقولون بالإنجليزية : فاليو - فري (Value-free) .

وهذا البعد هو بُعْدٌ مُهمٌ لمنظومة الحداثة الغربية ، ففي عالم متجرد من القيمة تصبح كل الأمور متساوية ، ومن ثم تصبح كل الأمور نسبية ، وحين يحدث ذلك فإنه يصعب الحكم على أي شيء ، ويصبح من المستحيل التمييز بين الخير والشر وبين العدل والظلم ، بل وبين الجوهرى والنسبى ، وأخيراً بين الإنسان والطبيعة أو الإنسان والمادة .

وهنا يطرح السؤال نفسه : كيف يمكن أن تحسن النزاعات والصراعات ، وكيف يمكن أن نسوي الخلافات ، وهي كلها من صميم الوجود الإنساني ؟ في غياب قيم مطلقة ، يمكن الاحتكام لها ، يصبح الإنسان الفرد أو الجماعة العرقية مرجعية ذاتها ، وتصبح ما تراه في صالحها هو الأساس وما ليس في صالحها هو الطالع . وقد أدى هذا إلى ظهور القوة والإرادة الفردية كآلية واحدة لحسن الصراعات وحل الخلافات .

هذه هي الحداثة التي تبناها العالم الغربي والتي جعلته ينظر إلى نفسه باعتبار أنه هو (وليس الإنسان أو الإنسانية) مركز العالم ، وأن ينظر للعالم باعتباره مادة استعمالية يوظفها لصالحه باعتباره الأكثر تقدماً وقوة ، ولذا فإن منظومة الحداثة الغربية هي في واقع الأمر منظومة إمبريالية داروينية .

هذا هو التعريف الحقيقي للحداثة كما تحقّقت تاريخياً، وليس كما عُرّفت معمجياً، وهذا هو التعريف الذي يمكننا من قراءة كثير من الظواهر الحديثة...»^(١) اهـ

٢- تاريخ ظهور هذا الاتجاه على وجه الإجمال (الجذور التاريخية لهذا التطرف):

أ- الفكر الفلسفى أَوْلُ مِنْ نادى بتقدیس العقل وتألیه:

الغلو في تعظيم العقل لم يكن وليد الساعة، بل كانت له جذور قديمة تبدأ من الفكر اليوناني، والمتمثل في الفلسفة الإغريقية القديمة، التي كانت تعظم العقل وتؤلهه؛ كما ظهر عند أقطاب هذه الفلسفة من أمثال: أرسطو^(٢)، واستمر مسيطراً على الفكر الأوروبي قرون عدة، حتى كان التحول المضاد من سيادة العقل إلى تعطيله، تحت سيطرة الكنيسة، واستمرت هذه السيطرة ما يقارب عشرة قرون، وهي فترة ما يسمى بـ(العصور الوسطى المظلمة) ثم تلا ذلك ما يُسمى بـ(عصر الإحياء)، الذي ظهر فيه التمرد، واتسم هذا العصر الجديد بالغلو في تعظيم العقل، وإعمال الفكر في كل شيء بحرية لا تقبل القيد، وأصبح العقل هو مصدر المعرفة المقدم على غيره، ويعتبر هذا العصر هو فترة سيادة العقل، وذلك إبان القرن الثامن عشر، ونتيجةً للانحراف في تقدیس العقل، والغلو فيه، ظهرت موجة الإلحاد، والمذاهب الوضعية التي تُنكرُ الدين بالكلية وتعادييه، وهو ما عُرف بـ(عصور التنوير)^(٣).

(١) انظر: مقال «الحداثة ورائحة البارود» لعبد الوهاب المسيري، متشرور على موقع «شبكة القلم الفكري» على النت.

(٢) انظر: «درء التعارض»: (١/٨١، ٣٨٤) لابن تيمية، و«إغاثة اللهفان»: (٢/٢٦-٢٦٢) لابن قيم الجوزية.

(٣) انظر: «الاتجاه العقلاني لدى المفكرين الإسلاميين المعاصرين... عرض ونقض»: (١/١١٥) للدكتور سعيد بن عيسى الزهراني.

٣- أنَّ تراثَ السلفِ في الاعتقادِ والحديثِ والتفسيرِ تأثَّرَ بالضغوطِ السياسيَّةِ .

١- يقولُ محمدُ المحمودُ: «أدركَ روادُ التَّنويرِ العربيَّ أنَّ المسلمينَ لم يخرجوا - بعدَ - من قرونِهم الوسطى التي تمتدُ لِما يناهزُ العشرةِ قرون، وأنَّ عصورَ الظلامِ الإسلاميَّةِ لم تكنْ أحسنَ حالاً - بمعيارِ الوعيِ الكليِّ - من عصورِ أوروباِ المظلمةِ ذاتِ النفسِ الكنسيِّ .

الحالةُ العربيَّةُ خصوصاً، والإسلاميَّةُ عموماً، حالةُ ظلاميَّةٍ؛ فيما هي عليه الآن. أيُّ أنها تستدعي التَّنويرَ بظلَاميتها الراهنةِ . وكلَّما تكشفَ الواقعُ عن روحِ ظلاميَّةٍ رجعيةٍ؛ كلَّما كانَ إحساسُ الفاعلِ التَّنويريَّ بأهميَّةِ دورِهِ التاريخيِّ إحساساً عميقاً؛ يدعوهُ إلى (الجهاد) في سبيلِ التَّنويرِ، حتى النفسِ الأخير»^(١) .

ويقولُ أيضًا: «تاريخنا - كمسلمين، وعربٌ على نحوِ أخصٍ - منذَ كانَ وإلى اليوم، لم يحضرَ الإنسانُ فيهِ كقيمةٍ أولى، إلا في استثناءاتٍ قليلةٍ ونادرة، استثناءاتٍ تؤكِّدُ مجملَ السياقِ ولا تنفيه . الاعتبارُ كانَ يقامُ لِكلِ شيءٍ، حتى الحجر، بينما يأتِي الإنسانُ في الهاشمِ الأخيرِ من جدولِ الأعمالِ لأمتنا الحالدة! . نفتخرُ بالفتحاتِ، ونحنُ إلى الغزوِ، ونتغنىُ بإجهافِ العقلانية الناهضةِ، ونبكيُ على عهدِ الرقيقِ والجواريِّ والقيانِ، ونشعرُ عنِ لاسترقاقِ الإنسانِ بلا حياءٍ، وبلا عقلٍ أيضًا!»^(٢) .

ويقولُ: «من يقرأ في بداية تكوينه الثقافيَّ: (حصوننا مهددة من الداخل) و(الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) وكلاهما لمحمد محمد حسين، أو كتاب: (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) لأبي الحسن الندوبي، لا بد أن

(١) في مقالٍ لهُ بعنوانِ (التَّنوير.. صراغُ ضدِ التَّخلفِ)، نُشرَ في جريدةِ الرياضِ بتاريخِ: ١٣ ربِيع الآخر ١٤٢٧هـ - ١١ مايُو ٢٠٠٦م - العدد (١٣٨٣٥).

(٢) في مقالٍ لهُ بعنوانِ (نحن.. والإنسان)، نُشرَ في جريدةِ الرياضِ، بتاريخِ: الخميس ٤ ربِيع الآخر ١٤٢٦هـ - ١٢ مايُو ٢٠٠٥م - العدد (١٣٤٧١).

يتخذ موقفاً واضحاً، إما أن يصدق كل هذا الكم الهائل من أوهام المؤامرة، ومثله في توهم أن ثمة حضارة حقيقة كانت لنا كمسلمين، ثم زالت!، وإما أن يرفض كل هذه الأوهام، ويسلك طريقاً آخر في تفسير تاريخه^(١).

٢- يقول مشاري الدّايدِي: «الهجمات السبتمبرية ليست حدثاً أمنياً أو إرهابياً محضاً، ولا حتى انتقاماً سياسياً خالصاً، إنها حدث «حضارى» بالمعنى الذي يشير إلى تفجر حضارة في وجه أخرى، وتوتر حضارة بشكل حانق تجاه حضارة أخرى. وحتى لا تنزلق الأفهام إلى مجرى آخر فيما يخص كلمة «الحضارة»، فإن المقصود هنا الجانب المتأزم من كل حضارة، فالجانب المتأزم منا هو الذي أرعب وأرعب وفجر وقتل في نيويورك ولندن و مدريد واستانبول وبالي والكويت والرياض وجدة والدمام وشرم الشيخ والقاهرة وجربة والجزائر والدار البيضاء، باختصار «الإرهاب الإسلامي» هو الجرح النازف من إسلامنا والأكثر تعبيراً عن الجوانب المتواترة والمتأزمة منا»^(٢).

إنَّ هذه النَّظرة هي بعينها نظرَةُ المستشرقيَن لحضارتنا الإسلامية، ولا عجب حينما نعلم أنَّ أهمَّ المصادر التي يرجعُ إليها أصحابُ هذا الاتجاه، ويستقونَ منها معلوماتِهم هو ما سَطَرَهُ المستشرقيُونَ في كتبِهم منْ تزويرٍ وتشويهٍ للحضارة الإسلامية التي كانت هي اليد الطوليَّة فيما وصلتُ إلى الحضارة الغربيَّة منْ تقدِّمٍ وازدهارٍ في الجانبِ الماديِّ فقط^(٣).

كما أنَّ تأثيرَهم بالمناهج الاستشرافية، يبرُزُ في تبنيِهم منهج التشكيلِ، وطرحِ الافتراضاتِ التي لا رصيد لها ولا وزنَ في الجانبِ العلميِّ والتاريخيِّ، وهذا

(١) جريدة الرياض، الخميس ١٩ شوال ١٤٣٠ هـ - ٨ أكتوبر ٢٠٠٩ م - العدد ١٥٠٨١.

(٢) في مقالٍ له بعنوان: «مقالات رقم ٧»، جريدة الشرق الأوسط: الثلاثاء ١٧ رمضان ١٤٢٩ هـ - ١٦ سبتمبر

٢٠٠٨ - العدد ١٠٨٨٥.

(٣) انظر: «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا»: (ص/٦١-٥٩) للشيخ محمود شاكر.

المنهج في حقيقته وجوهره هو القاسم المشترك في مناهج المستشرقين^(١) ، والذي يلقي بصاحبه في ظلماتِ الزندقة - عياذاً بالله - .

٣- يقول يوسف أبا الخيل : «لذا لا بد للإنسان - ولا يتأنى ذلك له للأسف غالباً إلا في العيش في جو ثقافي فلسي - أن يشك ولو مرة واحدة... شك يعطي دفعاً للشك أن لا يتمعر وجهه أو تنتفخ أوداجه عندما يتعايش مع من يخالفه توجهاته ، إذ أن هذا الشك يتبع لذلك الإنسان الشاك استحضار تساؤلات من قبيل : ولماذا لا تكون وجهة نظر فلان هي الصواب؟ أو لماذا لا تكون تلك الرؤية أو ذلك التأويل أو التفسير أو التخريج لذلك الفرد أو الجماعة أو الفرقـة تحمل على الأقل شيئاً من الصحة في باطنها؟ ولماذا مثلاً لا تكون الرؤية التي أحملها أو تلك التي حملتها ليست قاطعة ويشوبها الشك وعدم اليقين؟ في مثل ذلك الجو الثقافي المشبع والمربـى على نسبة الحقيقة - النظرية على الأقل - لا يملك الإنسان إلا أن يكون متسامحاً مع غيره لأنـه لا يحمل اليقين على قطعـية ما تناهى إليه نظره وما برمجته عليه ثقافته طوال عمره»^(٢) .

٤- يقول عبد الله بن بجاد العتيبي : «إذاً فلا بد كمنطلق لعملية التنوير والإصلاح أن يدخل الشك في آلية العقل العربي الإسلامي الحالي أن يشك في قضية جوهرية وهي «هل هو قادر على العمل الآن؟ هل آلياته ومناهجه ومنظومته المعرفية صالحة للتعامل مع الزمن الراهن»^(٣) .

أما الاتجاهات الإلحادية؛ فظهر تأثيرها من حيث توبـة كثير من اليساريين والشيوعيـين الذين سـمـوا أنفسـهم بالإسلاميين زوراً وبهتانـاً، وظهرت لهم كتابـات

(١) انظر : «مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية»: (١/١٣٠-١٣٢) لمجموعة باحثـين.

(٢) في مقابل له بعنوان : (الشك حتى لا نقع في شر قطعياتنا) ، نشر في جريدة الرياض ، بتاريخ: الأحد ١٩ صفر-١٤٢٧هـ.

(٣) جريدة الوطن ، العدد: ١٧٢٧ ، بتاريخ ٢٢/٦/٢٠٠٥ م.

مثل: (شيوعية الإسلام) و(الإسلام الثوري)، وكذلك نزعة تقديس العقل والمحسوسات، وإنكار كثير من الغيبيات مثل الملائكة والجن وتأويل بعض الأخبار الغيبية بما يتوافق مع المحسوسات المشاهدة في أصلها نزعة الملاحدة الماديين أصحاب المدارس الوضعية.

٤-أسباب انتشار هذا الفكر والافتتان:

- أولًا: اتباع الهوى: فإنَّ الهوى يعمي ويُصِّمُ، وعند غلبة الهوى لا ينفع العلم ولا المعرفة، بل إن صاحب الهوى يستخدم العلم والمعرفة لتأييد ما يهواه ويُسوِّغ انحرافه، وهذا ظاهر في كتابات هؤلاء حيث يفرقون بين المتماثلات، وتظهر في كتاباتهم الخيانات العلمية، والتناقضات حتى في أفكارهم وأطروحاتهم، ومصادمة العقل والفطرة وكلها نتاج لاتباع الهوى، ولهذا ماذا يمكن أن نسمى: بتر النصوص، وإخراجها عن سياقها ومن ثم الطعن في صاحب المقال أو القدح في الفكرة؟! وماذا نسمي الهجوم على رموز الإسلام ومناراته الشامخة، والإشادة برموز البدعة والانحراف بل رموز الكفر والإلحاد^(١)؟
- وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيَصِلُونَ إِلَهَوَآءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِلِينَ﴾ [الأنعام: ١١٩].

- ثانياً: الانهار بالحضارة الغربية: وما يعبر عنه بالصدمة الحضارية، وهي نتيجة لواقع المسلمين المؤلم من التخلف التقني والعلمي التجاري، وهيمنة الحضارة الغربية في جانبها المادي، وهؤلاء لم يرفعوا رأساً بالجانب الحضاري في تشريعات الإسلام التي لم يصل إليها الغرب ولن يصلوا إليها في تشريعاته وحفظه لحقوق الإنسان وحفظ كرامته وتوازنه بين حقوق الفرد والجماعة، وعظمة تشريعاته المعجزة التي تصلح لكل زمان ومكان، وحتى لا نغرق في

(١) سيأتي بيان هذا بالتفصيل في المباحث القادمة بإذن الله تعالى.

الواقع المؤلم فإن المؤشرات الحالية واستشراف المستقبل تبين أن المسلمين في طريق النهوض الحضاري وأنهم بدأوا في امتلاك كثير من أدوات التقنية والعلم.

وجدير بالذكر هنا أن نذكر كلمة لإبراهيم البليهي، تُبرّز ما تسطوي عليه نفوسُ القومِ من انبهارٍ رهيبٍ ببريقِ الحضارة الغربيةِ الزائفةِ، وما تكثّنهُ صمائرهم من احتقارٍ شديدٍ لواقع المسلمين وحياتهم المعاصرة في الجانب الماديّ، ولتأملُ الآنَ الحوارَ الذي دارَ بينَ البليهي وتركي الدخيل:

«تركي الدخيل: خلينا نبسط للمشاهد أستاذ إبراهيم البليهي: ماذا تقصد بالخلاف؟

إبراهيم البليهي: أولاً: أنا أعتراض على كلمة التخلف لأن التخلف يعطينا شيئاً من التقدم، يعني المتخلف..

تركي الدخيل: نصف.. ثلث أرباع أطروحتك فيها، حتى الكلمة التي تعترض عليها..

إبراهيم البليهي: إي نعم التخلف.. نعم..

تركي الدخيل: مؤلف كتاب اسمه: «بنية التخلف»، شلون تعترض عليها؟

إبراهيم البليهي: لأننا درجنا على أن نصف هذا الوضع بالخلف، لكن الأصل أننا نحن متقدرون وليسنا متخلفين فقط..

تركي الدخيل: تنازلت عن اللفظة اللي كنت تستخدمها أصلاً..

إبراهيم البليهي: من الأصل أنا متنازل.

تركي الدخيل: طيب شلون كتبت «بنية التخلف»؟

إبراهيم البليهي: أنا استعملته، أنا استعملت هذا اللفظ لأنه هو المستعمل..

تركي الدخيل: تنزلأ.. تدرّجاً يعني مع المخالف.

إبراهيم البليهي: نعم هو المستعمل، يعني هو اللفظ المستعمل، المتختلف عندما يكون هناك سباق، المتختلف هو الذي لم يلحق، لكنه يركض وراءهم بس نحن لم نبدأ أصلًا في الركض.

تركي الدخيل: هذا يعني، هذا ينقض الفكرة اللي قلتها لي بالجزء الأول من البرنامج، إنّو في النهاية أنا يجب أن أضيف إلى المتلقي شيئاً جديداً، ليش ما أضفت لفظة التقهقر وتخلّيت عن استخدام اللفظة الشائعة اللي هي التخلف؟

إبراهيم البليهي: أنا شرحاً أضيفها له، بس استخدام العناوين لأنّه الاستعمال الشائع هو كلمة التخلف، لكن التخلف أنا أعتقد أنه لا تستحقه، يعني تستحق أن يقال: الواقفون أو المتقهرون أو شيء من هذا النوع.

تركي الدخيل: التخلف أسوأ من التقهقر؟

إبراهيم البليهي: لا التخلف أحسن.. لا لا التخلف أحسن..

تركي الدخيل: يعني حتى التخلف ما وصلنا له يعني؟

إبراهيم البليهي: ما وصلنا لمرحلة التخلف، أنا أعتبر أن التخلف مرحلة متقدمة قياساً بما عليه العرب والمسلمون..

تركي الدخيل: كيف؟

إبراهيم البليهي: لأننا لم نبدأ، يعني المتختلف هو الذي يركض خلف السابقين ولم يستطع أن يلحق بهم لكنه يركض، نحن لم نبدأ في الركض أصلًا لم نبدأ من نقطة البداية يعني لا زلت لا نؤمن بضرورة الركض خلفهم.

تركي الدخيل: جالسين يعني؟

إبراهيم البليهي: لا نتقهقر، الواقع لسنا جالسين فقط»^(١).

(١) انظر: «موقع قناة العربية»-برنامج إضاءات- بتاريخ: ٤/٦/٢٠٠٥ م.

• ثالثاً: الهزيمة النفسية :

نجُدُ - وللأسف الشديد - حجمًا هائلًا من الضعف والانكسار أمام الهجمات المتالية، من قبل المستشرقين وتلاميذهم الذي كتبوا وألقوا في الطعن في الإسلام وتشريعاته، وقدموا صورة مزيفة عن الإسلام الحقيقي الذي أنزله رب العالمين، وقد ظهر ذلك جليًا في موقفهم من قضية الحدود، والجهاد، والولاء والبراء، والموقف من القوانين الوضعية .

وصدق الله إذ يقول: ﴿وَلَا تَهْنُوا وَلَا مَخْزُونًا أَلَّا عَزَّزُوكُمْ مُؤْمِنِين﴾

[آل عمران: ١٣٩].

• رابعاً: الضعف العلمي :

حين يقل العلم، ويتلقي هذه الشبهات قليلاً البضاعة في العلم؛ فإنه بالتأكيد ستمر عليهم الشبهات والتلبيس والتديليس العاصل الآن بدعوى مختلفة؛ كحرية النقد، أو الموضوعية، أو اختزال فهم النص، أو التقليد دون إعمال العقل، وهي في الحقيقة - لمن رزقه الله العلم النافع - دعاوى ساقطة مرذولة؛ لأنها :

أولاً : تخالف أصول الشريعة وضروراتها لحفظ الدين، فعلى سبيل المثال يطلبُ منا اليوم السماح بترويج الإلحاد ونشر باطلهم بحجج الرأي والرأي الآخر وتُلغى هذه الضرورة المهمة التي هي محل إجماع.

وثانياً : أنَّ ما يطرحه علماء الإسلام ودعاته يتافق مع النصوص ولا يعارض ما يدعون إليه من الموضوعية والشمولية وعدم إقصاء الآخر، ونحوها من العبارات المطاطة التي تحتمل معانٍ متعددة منها الحق ومنها الباطل .

• خامسًا: العوامل الشخصية :

لاشك أن شخصية الكاتب والملقي والمفكر لها تأثير على ما يطرحه من نتاج ثقافي، وهذا في الحدود الطبيعية لا يؤثر في الطرح العلمي كثيراً، أما إذا أصبحت

هناك مشكلة في نفسية وشخصية الكاتب فهنا يحدث الانحراف والتطرف والغلو أو التفريط والتساهل في تقرير القضية العلمية، وكثيرٌ ممَّن يُنْظَرُون لهذا الفكر تجد أن لديهم مشاكل شخصية ونفسية؛ فعدد لا يستهان به من رُوَاد هذا الفكر ومنظريه كانوا في ماضيهم أصحاب أفكار غالٍة ومتطرفة وحدثت لهم ردة فعل فأصبحوا أقرب إلى دعوة العلمنة والتحلل وجميع هذه الأفكار - وللأسف - تصاغ باسم الإسلام.

• سادساً: الدعم الغربي لهذا التيار:

وهذا أمر حيقي قطعي، فليس هو من قبيل الظن أو التوقع أو التخمين، وإنَّك واحدٌ هذه الحقيقة فيما سَجَلَتهُ التقارير الغربية التي صدرت مؤخراً عن بعض المراكز البحثية التخصصية في الولايات المتحدة الأمريكية من الحث على دعم هذا التيار الذي يسمى بالإسلام الليبرالي) زوراً وبهتاناً، ومنها:

أ- تقرير جون بي آلتمن (Jon B. Alterman) مدير برنامج الشرق الأوسط في معهد الدراسات الدولية والاستراتيجية الأمريكي (Center for Strategic and International Studies :

حيث كتب جون بي آلتمن مقالاً تحت هذا العنوان تحدث فيه عن تنامي الدعم الغربي للبيروقراطيين العرب^(١).

ب- تقرير مؤسسة (راند) الأمريكية^(٢):

حيث نشرت مؤسسة (راند) الأمريكية تقريراً استراتيجياً بعنوان (الإسلام المدني الديمقراطي: الشركاء، والموارد، والإستراتيجيات) للباحثة في قسم الأمن القومي

(١) انظر: «مجلة البيان»: العدد(٢١٩) ذو القعدة ١٤٢٦هـ.

(٢) مؤسسة (راند): مؤسسة نشأت بصفتها مركزاً للبحوث الاستراتيجية لسلاح الجو الأميركي، ثم تحولت بعد ذلك إلى مركز عام للدراسات الاستراتيجية الشاملة، ويعدها المحللون السياسيون بمثابة «العقل الاستراتيجي الأميركي». انظر: «الإسلام الليبرالي»: (ص/٩٣-١٠٥) للأستاذ محمد إبراهيم مبروك، و«مجلة البيان»: العدد(٢١٩) ذو القعدة ١٤٢٦هـ.

(شيرلي بینارد)، وقد نُشِرَ هذا التقرير بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م، وتحديثاً في عام ٢٠٠٣م، وفي ربيع عام ٢٠٠٤م قامت الباحثة نفسها بنشر ملخص عنـه.

وقد جاء في الفصل الثالث منـ هذا التقرير، وعنوانه: «إستراتيجية مقترحة»: توصيات عملية موجهة لصانع القرار الأميركي لاستبعاد التيارات الإسلامية المعادية وتدعيم التيارات الإسلامية الأخرى، وخصوصاً ما يطلق عليه التقرير التيارات العلمانية والحداثية، ولأنـها أقرب ما تكون إلى قبول القيم الأمريكية وخاصة القيم الديمقراطية.

وتقرـر(彬ارد) منـ خلال هذا التقرـر أنـ الغرب يراقب بدقة الصراعات الإيديولوجية العنيفة داخل الفكر الإسلامي المعاصر، وتقول بالنص: «من الواضح أنـ الولايات المتحدة والعالم الصناعي الحديث والمجتمع الدولي ككل تفضل عالمـاً إسلامـياً يتفق في توجهاته مع النظام العالمي، بأنـ يكون ديمقراطـياً، وفـاعلاً اقتصاديـاً، ومستقرـاً سياسـياً، تقدمـياً اجتماعـياً، ويراعـي ويطبقـ قواعد السلوكـ الدولي، وهمـ أيضاً يسعونـ إلى تلافيـ (صراعـ الحضاراتـ) بكلـ تنوعـاتهـ الممكـنةـ، والتحرـرـ منـ عواملـ عدمـ الاستقرارـ الداخـليـةـ التيـ تدورـ فيـ جنبـاتـ المجتمعـاتـ الغـربـيةـ ذاتـهاـ بينـ الأـقـلـياتـ الإـسـلامـيـةـ وـالـسـكـانـ الأـصـلـيـنـ، فيـ الغـربـ، وـذـلـكـ تـلـافـيـاـ لـتـزاـيدـ نـمـوـ التـيـارـاتـ المـشـدـدةـ عـبـرـ الـعـالـمـ الإـسـلامـيـ، وـمـاـ تـؤـديـ إـلـيـهـ مـنـ عـدـمـ اـسـتـقـرـارـ وـأـفـعـالـ إـرـهـاـيـةـ»^(١).

جـ- تقرـير صادر عنـ مؤـسـسـةـ كـارـنـيـجيـ للـسـلـامـ الـعـالـمـيــ وـاـشـنـطـنـ، كـتبـهـ الخـبـيرـ وـالـمـحـلـلـ السـيـاسـيـ بـالـمـؤـسـسـةـ: عمرـ حـمـزـاويـ:

بدأ عدد منـ مـرـاكـزـ الـأـبـحـاثـ وـالـمـؤـسـسـاتـ السـيـاسـيـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ، المـهـمـةـ

(١) انظر: «الإسلامـ الـلـيـرـاليـ»: (صـ/٩٣ـ١٠٥ـ) لـالأـسـتـاذـ محمدـ إـبرـاهـيمـ مـبـرـوكـ، وـ«مـجـلـةـ الـبـيـانـ»: العـدـدـ (٢١٩ـ) ذـوـ القـعـدـةـ ١٤٢٦ـهـ.

بشؤون الشرق الأوسط ، في الأيام القليلة الماضية نشاطاً لافتاً للنظر؛ فقد نظم معهد «المؤسسة الأمريكية» مؤتمراً حول الديمقراطية في العالم العربي ، عنوانه «إلى المعارضين العرب: ارفعوا أصواتكم»، ودعا إليه مجموعة من ممثلي التيارات الليبرالية لمناقشة دورهم في تحولات أوطانهم السياسية والاستراتيجية الأنفع للدعم الغربي لهم، وتلاه «معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى»، بعقد ورشة عمل حول مستقبل الليبرالية العربية ، في ضوء نجاحات القوى الدينية في مجلمل ما أجري من انتخابات في عام ٢٠٠٥ م، إن برلمانية في العراق ومصر ، أو بلدية في الأراضي الفلسطينية المحتلة .

وتواكب ذلك مع سلسلة من النقاشات حول نتائج الانتخابات العربية أجرتها المؤسسات الأمريكية العاملة في مجال نشر الديمقراطية ، مثل «الوقف الوطني للديمقراطية» و«المعهد الديمقراطي الوطني» و«المعهد الجمهوري الدولي»، بحضور ممثلين عن البيت الأبيض ووزارة الخارجية ، غالب عليها التوجس من الإسلاميين والقلق لضعف التيارات الليبرالية الواضح .

وعلى الرغم من أن الاهتمام الأمريكي الحكومي وغير الحكومي بالليبراليين العرب غير جديد ، إلا أن الأمر يبدو في اللحظة الراهنة وكأنه محاولة يائسة لدعم بدائل سياسي أثبتت صناديق الاقتراع هشاشته الشديدة ، والتمسك بقراءة غير واقعية لصيرورة السياسة العربية . ولذلك العديد من المسببات والدافع . فمن جهة أولى ، يتحدث الليبراليون العرب بخطاب يفهم الشريك الأمريكي مفرداته جيداً ويتوافق حول مضمونه الرئيسية . التحول الديمقراطي ، حقوق الإنسان ، مشاركة المرأة ، حقوق الأقليات ؛ جميعها تمثل أهدافاً مشتركة للطرفين ، تتطابق حولها رؤاهما بصورة شبه كاملة . في حين يشير حديث القوى الإسلامية ، المازج في بعض الأحيان لتلك الأهداف بمفردات غامضة للخطاب الديني ، من شاكلة الديمقراطية الإسلامية والمرجعية الإسلامية للنظام الديمقراطي ، والمشدد في لحظات أخرى على توافق التحول الديمقراطي مع مبادئ ينظر لها في الغرب بريبة ، مثل تطبيق

الشريعة، مخاوف الأميركيين من انعكاسات صعود الإسلاميين على أوضاع مجتمعاتهم، ويدفع إلى تصنيفهم كفصيل غير ديمقراطي، قد يستغل آلية الانتخابات للقفز على السلطة والاستئثار بها. ثانياً، يعمق المعلن من مواقف القوى الإسلامية تجاه إسرائيل، خاصة الإرهادات العربية للخطاب النجادي (نسبة إلى الرئيس الإيراني أحمدي نجاد) النافي لشرعية وجود الدولة العبرية، من التحفظات الأمريكية ويرفع من أسهم أولئك في الولايات المتحدة الذين يقيسون مدى إيجابية إجراءات التحول الديمقراطي في عالمنا، استناداً إلى ضمانات الأمن الإسرائيلي.

لا يعدم، من جهة ثالثة، دفع الليبراليين بأن النظم السلطوية الحاكمة في الدول العربية قد همشتهم هم كتيارات سياسية، بينما سمحت للإسلاميين بالتوارد الكثيف في مجالات مجتمعية حيوية كالتعليم والإعلام والعمل الأهلي، وبأن نتائج انتخابات ٢٠٠٥، ما هي إلا تعديل مأساوي عن هذا الغبن الهيكلي، المؤيدين في واشنطن الذين يرون أن على الولايات المتحدة الأخذ بيد الليبراليين حتى يشتد عودهم، حتى إنعني ذلك الدفاع عن سياسات إقصائية تطول الإسلاميين. أخيراً، يعبر الاهتمام الحالي باليارات الليبرالية عن ميكانزم تعويضي تقتضيه توجهات إدارة الرئيس بوش التي تحظر على مراكز الأبحاث والمؤسسات الأمريكية المتلقية لدعم حكومي الاتصال بالقوى الإسلامية، وتضع العديد من القيود على دعوة ممثليها للولايات المتحدة. يلغاً عدد من المراكز والمؤسسات إزاء مثل هذا المنطق المنعى إلى رفع معدلات التواصل مع سياسيين ومثقفين ليبراليين بغية الاستثناء بشرحهم للظاهرة الإسلامية.

وإن صدق الاهتمام بالتحول الديمقراطي، هو إعادة تقييم التوجّه نحو الإسلاميين والافتتاح المشروط عليهم، بصورة قد تدفع قواهم إلى مزيد من الاعتدال والبراجماتية. لا يعني ذلك بأي حال من الأحوال تخلي الولايات المتحدة عن حلفائها من الليبراليين العرب أو إضفاء حالة من المثالية على قوى

إسلامية يرد على فكرها وممارستها من المحاذير العديدة، فقط البحث عن نقطة توازن واقعية جديدة في الإستراتيجية الأمريكية لنشر الديمقراطية عربياً بدونها تغيب الفعالية والمصداقية^(١).

د- تقرير صادر عن مجلس العلاقات الخارجية الأمريكية بتاريخ ٩ يونيو:

رَكَّزَ هذا التقرير على ضرورة أن يكون هدف أمريكا في الشرق الأوسط تشجيع التطور الديمقراطي وليس الثورة، كما يجدر بصانعي السياسات أن يأخذوا بعين الاعتبار التنوع السياسي والاقتصاد في المنطقة. وذكر التقرير أن عملية التطور الديمقراطي بطيئة ومتدرجة ويجب أن تتم من خلال النظم السياسية الموجودة في الدولة العربية. وأشار التقرير إلى أن سياسة نشر الديمقراطية تؤدي إلى بعض المخاطر ولكن حرمان الشعوب من الحرية ينطوي على مخاطر أكثر. ونبه التقرير على أخذ الظروف الخاصة بكل دولة على حدة مع التأكيد على مبادئ أساسية مثل حقوق الإنسان وتقبل الآخر وسيادة القانون وحقوق النساء والأقليات وعدم ربط الإصلاح بالصراع العربي الإسرائيلي.^(٢).

كما أنَّ هذا الدعم انتقل في الآونة الأخيرة من حيز التنظير إلى دائرة التطبيق الفعلي باستضافة رموز هذا التيار في بعض القنوات المعروفة بتبعيتها الغربية صراحة مثل: قناة الحرة أو حالاً مثل قناة العربية، وقد استضافت قناة الحرة (خالد الغنامي) وغيره، وأما قناة العربية فاستضافت عدداً كبيراً من رموز هذا التيار وأبرزتهم من خلال برامج متعددة، وعلى رأسها برنامج إضاءات مثل: (خالص جلبي، وإبراهيم البليهي، وعبد العزيز القاسم (المحامي)، ومنصور النقيدان، وعبد الله بن بجاد، ومشاري الذايدي، وخالد الغنامي) مع وجود متقدفين أكثر شهرة وأعمق ثقافة، وانتقاء هؤلاء له دلالاته التي لا تخفي.

(١) انظر: الموقع الإلكتروني الآتي: (www.swissinfo.org، www.carnegieendowment.org، www.mengos.net).^(٢)

• سابعاً: الانكباب على تراث المنحرفين الزائغين من أمثال الصوفية
الزنادقة وال فلاسفة الملاحدة:

المتأمل في تاريخ هؤلاء الليبراليين، يلحظ بجلاءً أنَّ انكبابهم على تراث المنحرفين الزائغين من أمثال الصوفية الزنادقة وال فلاسفة الملاحدة-مع ضعف العلم وال بصيرة -كان هو نقطة التحول الرهيبة في حياتهم الفكرية ، مثلما كان هو الشرارة النارية الأولى في تغيير نسجיהם الثقافي ، حيث يفعلُ ذلك التراث فعله الفطيع في النفس الإنسانية؛ إذ يفرز فيها حُبَّ التفلت والتحرر من أي قيود أو ضوابط شرعية ، كما أنه يعمقُ فيها منهج الشك في كلِّ شيء حتى في قطعيات الدين و ثوابته الراسخة^(١).

* * *

(١) للوقوف على التحولات الجذرية في حياة منصور التقىدان و مشاري الذايدي و عبد الله بن بجاد العتيبي، انظر -غير مأمور- مقالاً للكاتبة الأمريكية (اليزايت روين) بعنوان: (الجهادي الذي ظل يتساءل: لماذا؟)، نُشر في مجلة (نيو يورك تايمز) بتاريخ: (٧/٣/٢٠٠٤م).

الفصل الأول

معالم الفكر الليبرالي

المعلم الأول: الموقف من النص الشرعي

مضي في التمهيد من هذا الكتاب: بيان حقيقة هذا الفكر، وأسباب انتشاره في حياة المسلمين المعاصرة، ونأتي الآن-بعون الله-إلى كشف معالم هذا الفكر المنحرف في صورة واضحةٍ بيّنةً، مع تسلیط الضوء عليها؛ لتكونَ أخني القارئ واعيًا بها، مُحيطًا بأطرافها-بإذن الله تعالى:-

من المُسْلِمَاتِ الشَّرِيعَةِ أَنَّ النَّصَ الشرعي هو المرجع وهو الحاكم في حياة المسلمين، والعقل مصدر تابع له؛ بل إنَّ الأدلة العقلية هي نوع من الأدلة الشرعية، والحجاج في القرآن والسنة على المخالفين وأهل الباطل في الأعم الأغلب هي حجاج عقلية .

وقد تبأنت مواقف هذه المدرسة المنحرفة التي تخالف أصول الإسلام من هذه القضية الكبرى وهي مرجعية الشريعة وتعظيم نصوص الوحيين، فحصل منهم تجاوزٌ وتهوين من شأن النصوص الشرعية؛ لأنها هي العائق الكبير أمام ما يطرونه من أمور تخالف الشرع صراحة؛ فعمدوا إلى موقف سيءٍ من النصوص الشرعية، يتجلّى في القضايا الآتية:

١ - تقدير العقل المخالف لأدلة الشرع في مقابل التهوين من شأن النصوص :

وقبل الحديث عن موقفهم من النص الشرعي وتقديمهم العقل عليه، لا بد من تجلية موقف الإسلام من العقل وأهل السنة تحديدًا، وأنهم هم أهل العقل والحكمة، وليس كما يصوّهم خصومهم بأنهم حرفيون ونصيرون وعبدة نصوص وجامدون، وغيرها من الألقاب الشنيعة.

• أولاً: صُورٌ تكرييم الإسلام للعقل:

١- إشادة القرآن الكريم وثناؤه على من استعمل عقله، وذمه لمن عطله:
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «... مدح الله العلم والعقل والفقه ونحو ذلك في غير موضع وذم عدم ذلك في موضع»^(١).

وفي كتاب الله آيات كثيرة تشني على من أعمل عقله، واستعمله فيما خلق له، كما في مثل قوله تعالى: **﴿فَوَيْلٌ لِّلْأَمْمَةِ الْمُشْرِكِينَ لَا يَتَبَعَّدُونَ مَا يَعْقِلُهُمْ إِلَّا أَنْعَلَمُونَ﴾** [العنكبوت: ٤٢]، وفي مثل قوله تعالى: **﴿يُوقِنُ الْحِكْمَةُ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْنَتُ الْحِكْمَةُ فَقَدْ أُوقِنَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَدْعُكُرُ إِلَّا أُولَئِكَ الْأَلْيَبِ﴾** [البقرة: ٢٦٩].

٢- جعل الإسلام للعقل حدوداً لا يتعداها:

من المسلم به لدى العقلاة أنَّ العقل البشري هو كغيره من أعضاء الإنسان له طاقة محدودة واحتياطات معينة، ومن الخطأ والعبث أن يطالب بما فوق طاقته، وأن يطالب كذلك بما هو خارج عن اختصاصه، فإذا حُمِّلَ فوق طاقته كان نصيبي العجز والهلاك، وإذا استعمل خارج نطاق اختصاصه حاد عن الصواب وكان نصيبي التخطيط والانحراف.

يقول السفاريني رحمه الله: «فَإِنَّ تَسْلِيْطَ الْفَكْرِ عَلَى مَا هُوَ خَارِجٌ عَنْ حَدَّهُ تَعْبُدُ فَائِدَةً، وَنَصْبُ مِنْ غَيْرِ عَائِدَةٍ، وَطَمْعٌ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ، وَكُدُّ فِي غَيْرِ مَنْجَعٍ»^(٢).
ويقول الشاطبي رحمه الله: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِلْعُقُولِ فِي إِدْرَاكِهَا حَدًّا تَنْتَهِي إِلَيْهِ لَا تَتَعَدَّاهُ، وَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا سَبِيلًا إِلَى الْإِدْرَاكِ فِي كُلِّ الْمَطْلُوبِ، وَلَوْ كَانَ كُلُّ ذَلِكَ لَا سَتُوتُ مَعَ الْبَارِي -تَعَالَى- فِي إِدْرَاكِ جَمِيعِ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا لَا يَكُونُ، إِذ-

(١) «الاستقامة»: (١٥٧/٢) لابن تيمية.

(٢) «الواعي الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأنوية شرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرق المرضية»: (١٠٥/١) للسفاريني.

لو كان كيف كان يكون؟، فمعلومات الله لا تنتهي، ومعلومات العبد متناهية، والمتناهي لا يساوي ما لا ينتهي»^(١).

وفي العصر الحديث يشهد بهذه الحقيقة أكابر أطباء الغرب وحكمائهم؛ كالدكتور (الكسيس كاريل)، حيث يقول: «وواقع الأمر أن جهلنا مطبق، فأغلب الأسئلة التي يلقاها على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشري تظل بلا جواب؛ لأن هناك مناطق غير محدودة في دنيانا الباطلة ما زالت غير معروفة»^(٢)، ويقول: «إننا ما زلنا بعيدين جداً عن معرفة ماهية العلاقات الموجودة بين الهيكل العظمي والعضلات والأعضاء ووجوه النشاط العقلي والروحي... . كيف نستطيع أن نحوال دون تدهور الإنسان وانحطاطه في المدنية العصرية؟ وهناك أسئلة أخرى لا عداد لها يمكن أن تلقى في موضوعات تعتبر على غاية الأهمية بالنسبة لنا، ولكنها ستظل جميعاً بلا جواب، فمن الواضح أن جميع ما حققه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الإنسان ما زال غير كافٍ، وأن معرفتنا بأنفسنا ما زالت بدائية في الغالب»^(٣).

٣- العقل أحد الضروريات الخمس التي جاءت الشريعة بحفظها:

جاءت الشريعة بحفظ العقل؛ لأنَّه أحد الضروريات الخمس التي لا بد منها لقيام مصالح الدين والدنيا، وقد حفظت الشريعة جانب العقل من ناحيتين:

الناحية الأولى: من جانب الوجود وذلك بفعل ما به قيام العقل وثباته، ولما كانَ العلم النافعُ يزيدُ من قوة إدراك العقل، ويزيدُ من عمق تفكيره، جعل منه الإسلام ما يجب تعليمه على كُلِّ مكلف، سواء كان ذكراً أو أنثى، وهذا العلم منه

(١) «الاعتصام»: (٢١٨/٢) للشاطبي.

(٢) «الإنسان ذلك المجهول»: (ص/١٧) للدكتور ألكسيس كاريل، ترجمة: شفيق أسعد فريد، وانظر: «الثبات والشمول»: (ص/٢٨٧-٢٨٨) للدكتور عابد بن محمد السفياني.

(٣) «الإنسان ذلك المجهول»: (ص/١٨-١٩) للدكتور ألكسيس كاريل، ترجمة: شفيق أسعد فريد.

ما هو فرض عين لا يعذر أحد بجهله، ومنه ما يكون فرض كفاية^(١).

الناحية الثانية: من جانب العدم، وذلك بحفظ العقل من كلّ ما يؤثّر فيه بشكل سلبيّ، وهذا يتضح فيما يلي:

أ- حرم الإسلام الجنائية على العقل بالضرب والترويع، وجعل الديمة كاملة على من تسبّب في إزالته، يقول ابن قدامة رحمه الله: «وفي ذهاب العقل الديمة، لا نعلم في هذا خلافاً...»^(٢).

ب- النهي عن كلّ ما يؤثّر على وظائفه ومن ذلك: تحريم شرب الخمر وكلّ مسكر ومفتر، يقول القرطبي رحمه الله: «إنَّ السكر حرام في كُلِّ شريعة؛ لأنَّ الشرائع مصالح العباد، لا مفاسدها، وأصل المصالح العقل كما أَنَّ أصل المفاسد ذهابه، فيجب المنع من كُلِّ ما يذهب أو يشوشه»^(٣).

ج- ومن صور محافظة الإسلام على العقل، تحريم ما تنكره العقول وله تأثير عليها كالسحر الذي يذهب العقل كلياً أو جزئياً، فقد ثبت عنه رضي الله عنه قوله: «اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله، وما هُنَّ؟ قال: الشرك بالله، والسحر...»^(٤).

وكذلك تحريم الكهانة والعرافة والتنجيم، فقد جاءت النصوص صريحة في النهي عن مثل هذه الأوهام والخرافات والاعتقادات الباطلة، ومنها قوله تعالى: «من أتى كاهناً أو عرafaً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد»^(٥).

(١) انظر: «الاتجاه العقلاني لدى المفكرين المسلمين المعاصرین»: (١/٤٤-٤٦).

(٢) «المغني»: (١٢/٤٩٧) لابن قدامة.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن»: (٦/٢٨٧) للقرطبي.

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحة»: (كتاب الأشربة، باب أَنَّ كُلَّ مسكن خمر وأنَّ كُلَّ خمر حرام، ١٣/١٤٤) رقم ٥١٧٤.

(٥) أخرجه أحمد في «مسند»: (٣/١٦٤)، وصحّحه الألباني في «إرواء الغليل»: (٧/٦٨).

٤- العقل مناط التكليف:

من القواعد المعلومة في هذا الدين أنَّ العقل مناط التكليف في الإنسان، وإذا زال العقل زال التكليف، فالتكليف يدور مع العقل وجودًا وعَدَمًا، ومن هنا يتبيَّن أهمية العقل ومكانته في الإسلام إذ بالعقل الذي هو عمدة التكاليف يكون التفضيل لهذا الإنسان، كما بيَّنَ ذلك القرطبيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ بِهِ بقوله: «والصحيح الذي يعول عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف، وبه يُعرف اللهُ ويُفهَم كلامه، ويُوصل إلى نعيمه وتصديق رسله؛ إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعثت الرسل وأنزلت الكتب. فمثال الشَّرْع الشَّمْسُ، ومثال العَقْلُ الْعَيْنُ، فإذا فتحت وكانت سليمة رأَت الشَّمْسَ وأدركت تفاصيل الأشياء»^(١).

ويقول الشاطبيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ: «إنَّ مورد التكليف هو العقل وذلك ثابت قطعًا بالاستقراء التام، حتى إذا فُقدَ ارتفع التكليف رأسًا، وعَدَدُ فاقده كالبهيمة المهمَلة»^(٢).

٥- العقل له دور فعال في قضية الاجتهاد:

من المعلوم أنَّ استنباط الأحكام فيما لا يوجد فيه نصٌّ من كتاب أو سنة أو إجماع يرجعُ إلى الاجتهاد-الذي يقوم مداره على العقل-، حيث قال رسول الله ﷺ حاسِّاً عليه-عند فقد النَّصْ-: «إذا حَكَمَ الْحَاكِمُ فاجتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرٌ، وإذا حَكَمَ فاجتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»^(٣).

فجعلَ من اجتهاد العقل أساسًا للحكم -لمن هو أهله- عند فقدان النَّصْ، مع تثبيت الأجر عند الخطأ^(٤).

(١) «الجامع لأحكام القرآن»: (١٠/٢٩٣). (٢) «الموافقات»: (٣/٢٧) للشاطبي.

(٣) آخرجه البخاري في «صحيحة»: (كتاب الاعتصام بالسنة، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد، ١٥/٢٥٧)، رقم ٧١٨٧).

(٤) انظر: «العقلانيون أفراد المعزلة العصريون»: (ص ٣٠-٢٩) لعلي بن حسن عبد الحميد.

• ثانياً: مكانة العقل في الإسلام:

العقل نعمة عظيمة امتن الله بها على بني آدم، وتميزهم بها على سائر المخلوقات، غير أن هذا التكريم لا يتحقق إلا إذا كان العقل مهتدياً بوعي الله محكوماً بشرع الله، وبذلك ينجو صاحبه من الضلال والغواية، وبهتدى إلى الحق، كما قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكُفُّرُونَ وَأَنْتُمْ تُشَلِّ عَلَيْكُمْ مَا إِنْتُ اللَّهُ وَفِيهِ كُثُرَ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

أما إذا كان العقل مقدماً على وحي الله، حاكماً على شرع الله، فقد ضل صاحبه سوء السبيل^(١)، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ أَتَيْعَهُ وَهُنَّ بِعَذَابٍ هُدَىٰ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

ومن هنا وقف الإسلام موقفاً وسطاً تجاه العقل، فلم يتخد مسلك الفلاسفة والمعتزلة الذين غلوا في تقدير العقل وجعلوه الأصل لعلومهم ومعارفهم، وسيطر الوصول إلى الحقائق، والحكم المقدم على النقل والشائع.

ومن الأمثلة التي توضح مسلك الغلاة في العقل، ومدى خطورته، ما ذكر عمرو بن عبد الله^(٢) عن حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يَجْمِعُ خَلْقَهُ فِي بَطْنِ أَمْهَ ..»، الحديث، قال: «لَوْ سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ يَقُولُ هَذَا لِكَذْبِهِ، وَلَوْ سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ وَهْبٍ يَقُولُ هَذَا مَا أَجْبَتْهُ، وَلَوْ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ هَذَا مَا قَبْلَتْهُ، وَلَوْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ هَذَا لِرَدْدَتِهِ، وَلَوْ سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ هَذَا لَقْلَتْ لَهُ لِيْسَ عَلَى هَذَا أَخْذَتْ مِيثَاقِنَا»^(٣).

(١) انظر: «الاتجاه العقلاني لدى المفكرين الإسلاميين المعاصرلين»: (٢٦/١).

(٢) عمرو بن عبد الله بن كيسان التميمي القديري كبير المعتزلة، وأولهم. مات سنة ١٤٣هـ. انظر ترجمته في «ميزان الاعتدال»: (٣/٢٧٣، ٢٨٠)، و«سير أعلام النبلاء»: (٦/١٠٤) كلاماً للذهبي، و«تهذيب التهذيب»: (٨/٧٠) لابن حجر.

(٣) «تاريخ بغداد»: (١٢/١٧٢)، و«ميزان الاعتدال»: (٣/٢٧٨).

كما أنَّ الإسلام لم يتخذ مسلك الصوفية والرافضة الذين ذموا العقل وعطلوه واعتقدوا ما لا يقبلُ ولا يُعقلُ من الحماقات والخرافات.

ومن الأمثلة التي توضح مدى استخفاف الجفافة في هذا الباب، ما قاله مؤلف جواهر المعاني عن التجانبي الصوفي أنه قال: «من حصل له النظر فينا يوم الجمعة أو الاثنين يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب، إن لم يصدر منه سب في جانبينا ولا بغض ولا أذية...»^(١).

والرافضة لهم النصيب الأوفى والقدح المعلى في مثل هذه الخرافات والحماقات، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان ذلك: «ومن حماقاتهم تمثيلهم لمن يبغضونه بالجماد أو الحيوان، ثم يفعلون بذلك الجمامد والحيوان ما يررون له عقوبة لمن يبغضونه مثل اتخاذهم نعجة- وقد تكون نعجة حمراء لكون عائشة تسمى الحميراء- يجعلونها عائشة ويعذبونها بتنفس شعرها وغير ذلك، ويررون أن ذلك عقوبة لعائشة، ومثل اتخاذهم حلساً^(٢) مملوؤاً سمناً ثم يبعجون^(٣) بطنه فيخرج السمن فيشربونه، ويقولون: هذا مثل ضرب عمر وشرب دمه. ومثل تسمية بعضهم ليحرمارين من حُمر الرَّحَا أحدهما بأبي بكر والآخر بعمراً، ثم يعاقبون الحمارين، جعلاً منهم تلك العقوبة عقوبة لأبي بكر وعمراً^(٤).

إنَّ الإسلام كمنهج رباني أنزله اللطيف الخبير -جلَّ وعلا- اتَّخذ مسلكاً وسطأً تجاه العقل حيث عَرَف للعقل قدره؛ فَوضْعَه في مكانِه اللائق به بلا إفراط ولا تفريط، وإليكَ كلاماً نفيساً -يكتب بحقِّ- بمدادِ من ذهب على صفحاتِ من

(١) «التجانية»: (ص/ ٢٢٨) للدكتور علي بن محمد الدخيل.

(٢) المجلس: كُلُّ شيءٍ ظهرَ البعير والدَّائِيَة تحت الرَّخْل والثَّقْب والسَّرِّيج، وهي بمنزلة المِزَشَحة تكون تحت اللَّبَد. انظر: «السان العربي»: (٦/ ٥٤).

(٣) بَعْجَة، كَمَنَعَة: شَفَّة. انظر: «القاموس المحيط»: (ص/ ٢٣١) للفيروزآبادي.

(٤) انظر: « منهاج السنة»: (١/ ٤٩) لابن تيمية.

نور-لشيخ الإسلام ابن تيمية يُوضّح في حقيقة تلك المسالك المنحرفة تجاه العقل، مع بيان المنهج الوسطي (المنهج الحق) في هذه القضية، يقول رَحْمَةُ اللّٰهِ: «ولما أعرض كثير من أرباب الكلام والحرف. وأرباب العمل والصوت، عن القرآن والإيمان: تجدهم في العقل على طريق كثير من المتكلمة، يجعلون العقل وحده أصل علمهم، ويفردونه، ويجعلون الإيمان والقرآن تابعين له.

والمعقولات عندهم هي الأصول الكلية الأولية، المستغنية بنفسها عن الإيمان والقرآن.

وكثير من المتصوفة يذمون العقل ويعيرونه، ويرون أن الأحوال العالية، والمقامات الرفيعة، لا تحصل إلا مع عدمه، ويقرون من الأمور بما يكذب به صريح العقل.

ويمدحون السكر والجنون والوله، وأموراً من المعارف والأحوال التي لا تكون إلا مع زوال العقل والتمييز، كما يصدقون بأمور يعلم بالعقل الصريح بطلانها، ومن لم يعلم صدقه، وكلا الطرفين مذموم.

بل العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل؛ لكنه ليس مستقلاً بذلك؛ لكنه غريزة في النفس، وقوة فيها، بمنزلة قوة البصر التي في العين؛ فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن، كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار.

وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها، وإن عزل بالكلية: كانت الأقوال، والأفعال مع عدمه: أموراً حيوانية، قد يكون فيها محبة، ووجود، وذوق، كما قد يحصل للبهيمة.

فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة. والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه. لم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه،

لكن المسرفون فيه قصوا بوجوب أشياء وجوازها ، وامتناعها لحجج عقلية بزعمهم اعتقادوها حقاً ، وهي باطل ، وعارضوا بها النبوات وما جاءت به ، والمعروضون عنه صدقوا بأشياء باطلة ، ودخلوا في أحوال ، وأعمال فاسدة ، وخرجوا عن التمييز الذي فضل الله به بني آدم على غيرهم^(١) .

هكذا وقف الإسلام مُمتنعاً في منهج أهل السنة والجماعة موقفاً متميزاً تجاه العقل، ينسجم مع دوره ومنزلته في تسيير حياة الإنسان .

• موقف الليبراليين من النص الشرعي :

أما الليبراليون، فقد اتخذوا مسلك الفلسفه والمعتزلة تجاه العقل؛ حيث جعلوا العقل هو العمدة والأساس؛ مما وافق العقل من النصوص الشرعية قبلوه، وما خالقه حسب أهوائهم وأمزاجتهم طعنوا فيه؛ وهاك بعض الجوانب التي تُجلّى هذه الحقيقة :

- ١- تقديس العقل في مقابل التهويين والتهاكم من شأن النصوص.
- أ- خالص جلبي يدعو إلى أن يتتجاوز العقل نطاق الثوابت الدينية، ويقفز عليها؛ فيقول: «المواطن العربي اليوم محاصر في مثلث من المحرمات، بين الدين والسياسة والجنس، كل ضلع فيه يمثل حاجزاً شاهقاً لا يستطيع أفضل جحاصن عربي رشيق، أن يقفز إلا بالقفز إلى الإعدام»، ف أمام حائط الدين يُطلّ مفهوم الردة، وأمام جدار السياسة يبرز مصطلح الخيانة، وعند حافة الجنس تشتعل كل لوان الحرام والعيب، فالعقل مُصادرٌ ومؤمِّنٌ ولغبي حتى إشعار آخر، ثم يدعو إلى ثورة عقلية: «لا بد من تدريب عقولنا على النقاش والجدل، وذلك يفتح طرفاً عصبيةً رائدة، فالعقل النَّقدي حي والعقل النَّقلي ميت»^(٢).

(١) «مجموع الفتاوى»: (٣/٣٣٨-٣٣٩).

(٢) جريدة الرياض، العدد (١٠٣٤٩)، تاريخ: ٢٤/١٠/١٩٩٦م.

• تعليق:

تأمل أخي القارئ هذه العبارة الخطيرة: «العقل التقلي ميت» !!

بــ وهاهو يوسف أبا الخيل يرى أن النصوص في الشريعة الإسلامية جاءت محدودة بطبيعتها باعتبار توقف الوحي بعد وفاة الرسول ﷺ، ومن هنا اقتصرت الشريعة بناءً على تلك النصوص على بيان الفروض والحدود، أما ما سوى ذلك فهو ميدان العقل والتدبر الإنساني ، وقد استند يوسف أبا الخيل في رأيه هذا على كلام ابن المقفع الفارسي؟

وَهَا هُنَّا حَقِيقَ بَكَ أَنْ تَعْجَبَ أخِيَ الْقَارِئِ غَايَةَ الْعَجَبِ، أَتَدْرِي لَمْ؟!
لأنَّ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي جَعَلَهُ يُوسُفُ أباَ الْخَيْلِ مُنْطَلِقَهُ وَعُمَدَتُهُ فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنْ رَأْيٍ هُوَ رَجُلٌ مُتَهَمٌ بِالرَّنْدَقَةِ^(١).

يقول: «وبما أن النصوص في الشرع الإسلامي محدودة بطبيعتها باعتبار توقف الوحي بوفاة الرسول ﷺ، في مقابل تجدد النوازل وتغير الأحوال بتجدد الزمان وتطور الاجتماع ، وهو أمر طبيعي إذ لو أن الشرع على رأي ابن المقفع لم يغادر حرفاً من الأحكام والأوامر والنواهي وجميع ما هو حادث في الناس منذ مبعث النبي ﷺ إلى يوم يلقونه إلا جاء فيه بحكم معين لكان الناس قد كلفوا ما لا يطيقونه فضلاً عنهم أمرهم وأتاهم ما لم تسع له أنفهامهم ولا قلوبهم ولحرارت عقولهم وألبابهم التي امتن الله بها عليهم ولكن تلك العقول لغوًا لا يحتاجون إليها في شيء ، ولذلك فمن لطف الله بعباده أن اقتصرت الشريعة على بيان الفروض والحدود ، أما ماسوى ذلك فهو من ميدان العقل والتدبر الإنساني»^(٢).

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء»: (٢٠٩/٦)، و«البداية والنهاية»: (٥/٩٦) لابن كثير، و«الوافي بالوفيات»: (٦/١١).

(٢) في مقال له بعنوان (العلاقة بين الديني والمدني عند ابن المقفع)، نشر في (جريدة الرياض: الخميس ٢٤ رمضان ١٤٢٦هـ - ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٥م - العدد: (١٣٦٣٩)).

• تعلق:

أين القياس على الشرع، والرجوع إلى كليات الشرع وأصوله.

جـ- وهاب إبراهيم البليهي يجعل العقل الناقد هو الحكم على رؤى الإنسان وموافقه وسلوكه، يقول: «أما المفتاح الوحيد الذي يعيد للفرد ذاته فهو امتلاكه العقل الناقد الذي يتبع للفرد أن يراجع محتويات ذهنه ويعيد فحص عاداته وطريقة تفكيره فيبني وعيه بنفسه ويتحمّل مسؤولية تكوين آراؤه وموافقه وسلوكه»^(١).

• تعلق:

تأمل معي أخي القارئ قوله: «المفتاح الوحيد»؛ فتدرك مواطن الخلل في هذا الكلام.

٢- تقديم المصلحة المتوجهة على النص:

هذا الموقف المنحرف متفرّغًّا عمّا سبق من غلوهم في جانب العقل على حساب التقليل -عياذًا بالله-، حيث اعتقدوا أنَّ العقل له الصلاحية الكاملة، والأهلية التامة في أن يستقل بإدراك المصالح والمحاسد بعيدًا عن نور الوحي، وهذا بلا ريب مصادم للحق والحقيقة؛ إذ إنَّ العقل -كما ذكرنا آنفًا- تابع للشرع، وخاضع تحت حكمه، فلا يجوز له حينئذ أن يتخطى ما حدَّه الشرع زاعمًا أنه إنما يتبع المصلحة ويريد الإحسان والتوفيق، بل الحكم الأول والأخير للشريعة.

وعلوم أن العلماء جعلوا المصالح على أنواع منها: مصالح معتبرة يؤخذ بها، وهي ما دل الدليل على اعتبارها وجوازها ودعا إليها، ومصالح ملغاة لا اعتبار ولا ميزان لها، وهي ما جاء النص صراحة ببالغتها؛ كما حرم الخمر مع اشتتماله على بعض المصالح، وهي مصالح ملغاة بنص الشارع الحكيم،

(١) في مقال له بعنوان (التباس مفهوم الثقافة)، نُشر في (جريدة الرياض: الأحد غرة ذي الحجة ١٤٢٦هـ - ١ يناير ٢٠٠٦م - العدد: ١٣٧٠٥).

وأصحاب هذه المدرسة يصرّحون - كما سوف يأتي - باعتبار المصالح الملغاة ويضرّيون بالنصوص الشرعية التي جاءت مصادمة لهذه المصالح عرض الحائط، فيصبح الدين تبعاً للهوى وما تملّيه الشهوات والأهواء لا عبودية لرب الأرض والسماء.

«ولقد زعمت طوائف كثيرة من البشر بأنَّ العقل - الذي لا يخضع لحكم الشرع - يمكن أنْ يُعرَفَها بمصالحها فماذا صنعت؟

أ- كان أهل الجاهلية الأولى يرون أنَّ المصلحة في وأد البنات!!!

ب- كان أهل الجاهلية يرون حرمان الإناث من الإرث ، ومثلهم في ذلك أهل الجاهلية الحديثة حيث ظلَّ القانون الإنجليزي يحرم الإناث من الإرث قرابة عشرة قرون!!!

ج- قانون الجاهلية الأولى يرى المصلحة في أنَّ المدين إذا لم يستطع أن يدفع لدائه؛ فعليه أن يدفع مقابل الأجل فوائد حتى يقضي أو يُقضى عليه ، وأمّا القانون الروماني فهو أشد جاهليّة ، فإنه يجيز للدائن أن يسترق مدنه إذا لم يستطع أن يقضي دينه ، وإذا كان هناك أكثر من دائن ولم يجدوا من يرغب في شراء المدين فإنَّ لهم الحق بـبـموجب القانون-أن يقتسموا جنته !!!****

د- أعطى القانون الأمريكي الحق للموصي أن يُوصي بكلِّ ثروته لخليلته - فإنهم يتذدون الأخذان- ويرى أنَّ المصلحة في إعطاء الخليل وخليلته الحرية لأنَّ ذلك لا مفسدة فيه»^(١)!!!

هكذا يصنع العقل بصاحبه إذا جعله هو الحاكم المقدَّم ، وأعطاه كامل الصلاحية في أنْ يستقل بإدراك المصالح والمفاسد بعيداً عن نور الوحي .

ثم إنَّ ها هنا أمراً مهمًا للغاية ، وهو أنَّ تقديم المصلحة المدعاة على النصوص

(١) انظر: «الثبات والشمول»: (ص ٤٢٩ و ٤٨٢) للشيخ عابد السفياني .

الشرعية فيه جهلٌ فاضحٌ بحقيقة ما تنطوي عليه النصوص ، وسوء ظنٌ بها ، حيث إنَّ الشارع كما جاء بمصالح العباد ، جاء بالطريق الذي يدلنا على ذلك ، فجعل النصوص محققة للمصلحة ابتداءً؛ ذلك لأنَّها هي رحمة للعالمين ، فإنَّ القرآن هدى ورحمة ، فلو لم تتحقق نصوصه المصلحة ، فكيف يكون هدى ورحمة؟! وكذلك الرسول ﷺ رحمة للعالمين ، فلو لم تكن أحاديثه تحقق المصلحة والرحمة ، فكيف يكون هو رحمة للعالمين؟!

فالمصالح إذا جاءت بِها الشريعة ، والطريق للتعرف عليها جاءت ببيانه الشريعة أيضًا ، ألم يُبيَّن اللَّهُ لَنَا أَنَّ كَتَابَهُ هُوَ الْمَرْصُدُ الْمُسْتَقِيمُ ، وَأَنَّ سَنَّةَ نَبِيِّنَا ﷺ هِيَ الْبَيَانُ لَهُ ، وَأَنَّ مَنْ اتَّبَعَ هَذَا النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هُدِيٌّ إِلَى ذَلِكَ الْمَرْصُدِ الْمُسْتَقِيمِ؟!

أَفَلَا يقتضي هذا اتباع نصوصه ورفض الأهواء وعدم تحكيم العقول المخالفة لمقتضى تلك النصوص؟!

أَفَلَا يكفي كل ذلك للقطع بِأنَّ الْهُدِيَّ وَالْخَيْرُ وَالْمَصْلَحَةُ وَالرَّحْمَةُ فِي اتِّبَاعِ هَذِهِ النَّصُوصِ؟! ، فكيف تنكص أَقْلَامُ هُؤُلَاءِ الْكُتَّابِ عَلَى أَعْقَابِهَا ثُمَّ يَقُولُونَ: إِنَّ الْمَصْلَحَةَ تَقْدِمُ عَلَى النَّصِّ ، أَوْ لَمْ يَكْفُمُهُمْ إِقْرَارُهُمْ أَنَّ الشَّرِيعَةَ جَاءَتْ لِإِقْامَةِ الْمَصْالِحِ وَأَنَّهَا هُدِيٌّ وَرَحْمَةٌ ، فَكَيْفَ يَطْلَبُونَ مَصْلَحَةً فِيمَا يُخَالِفُهَا؟!^(١)

ولنا أن نأتي بمثال تطبيقي نرد به على القائلين بتقديم المصلحة على النص ، وهو موقف عمر من أبي بكر رضي الله عنهما في إنفاذ جيش أسامة رضي الله عنهما حيث تظاهر فيه مقابلة المجتهد النص بالمصلحة التي يحسبها شرعية .. ولننظر أي قبل ذلك منه أم لا؟

لقد طلب المسلمون-كما جاء ذلك في كتب التاريخ والسير- ومنهم الفاروق-رضي الله عنه من الصديق رضي الله عنه-يقاًف جيش أسامة رضي الله عنه الذي عقد لواءه

(١) انظر: «الثبات والشمول»: (ص/ ٥٠١ و ٥٠٠) للشيخ عابد السفياني.

النبي ﷺ بنفسه قبل موته^(١)؛ نظراً لأنَّ المصلحة الراهنة كانت تقتضي ذلك، حيث عظم الخطب، واشتد الحال، وتَجَمَّع النفاق بالمدينة، وارتدى من ارتدى من أحياء العرب حول المدينة، وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصديق، ولم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة... . تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في تصوير هذا الموقف العصيب-: «لما قبض رسول الله ﷺ ارتدى العرب قاطبة واشرأب النفاق، والله لقد نزل بي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها، وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم معزى مطيرة في حش في ليلة مطيرة بأرض مسبعة، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بخطلها وعنانها وفصلها...»^(٢).

ومع هذا الواقع المرير المحاط بالأخطار من كُلّ جانب، امتنع الصديق ﷺ من ذلك، وأبى أشدَّ الإباء؛ تمسّكاً بالنصِّ في مقابل المصلحة، وتنفيذَا لأمرِ رسول الله ﷺ، وفي ذلك قال عليهما السلام كلمة الخالدة التي سجلَّها التاريخ في صفحات من نورٍ بمدادٍ من ذهب-: «والله لا أحل عقدَة عقدَها رسول الله ﷺ، ولو أنَّ الطير تخطفنا، والسباع من حول المدينة، ولو أنَّ الكلاب جرث بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزن جيشاً»^(٣).

ولنا أن نتساءل: ما قيمة هذا الإجراء الذي اتخذه الصديق ﷺ، وهل جَرَ على الأمة أي نوع من الويلات والنكسات؟!

بالنظر إلى فلسفة الليبراليين القائمة على تقديم المصلحة القائمة على الهوى وحظوظ الدنيا على النص فإنَّ هذا الإجراء في حد ذاته يعدُّ نوعاً من السفه والتهاون والجمود وعدم التلاؤم مع الواقع ومستجدات الحياة، ومن ثم فإنَّ فيه تضييعاً لمصالح الأمة!!!؛ وعليه فإنَّ الأمة ستكون في خطير محدق، وهلاك مُحَتمم،

(١) صحيح البخاري: (٧-٧٥٨-٧٥٩) مع الفتح.

(٢) البداية والنهاية: (٣/٣٠٤).

(٣) المرجع السابق.

وستكون عرضة للضياع، ونُهبة للأعداء.

أما أتباع الوحي وأنصار الرسالة (أهل السنة)، فإن نظرتهم تختلف اختلافاً جذرياً عن أولئك، فهم ينطلقون من منطلقات ربانية راسخة لا تُزعزعها الرياح العاتية ولا تؤثر فيها بحول الله -الأعاصير المحرقة، لذا فإنهم ينظرون لهذا الإجراء بكل إجلال وإكبار، ويرون فيه عين الحق وقمة المصلحة، وهذا ما تم خضت عنه الأحداث، فكان ما فعله الصديق رض فيه المصلحة كُلُّها، وفيه الخير كُلُّه، حيث كان جيش أسامة رض لا يمر بحى من أحياء العرب إلا أربعوا منه، وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة، فقاموا أربعين يوماً ويُقال سبعين يوماً، ثم أتوا سالمين غانمين^(١).

ففي هذه القصة دليل واضح على أن المصلحة التي تعارض النص مردودة، حتى وإن ظنَّ المجتهد أنَّها مصلحة، وأية قبولها شهادة الشرع لها، فإذا لم يقبلها لم تُقبل، قال الشاطبي رحمه الله تعالى معلقاً على القصة -: «وسأله في ردِّ أسامة ليستعين به وبين معه على قتال أهل الردة، فأبى لصحة الدليل عنده بمنع ردِّ ما أنفذه رسول الله ص»^(٢).

كما أنَّ في القصة بياناً واضحاً لمنهج الصحابة رض حيث لم يُصرُّوا على موقفهم -بدعوى المصلحة المتوهمة- بل انقادوا للحق أتم الانقياد بعدما استبان لهم ذلك بواسطة الصديق رض، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فالصحابه في زمان أبي بكر لم يكتُنوا يتنازعن في مسألة إلا فضلها بيتهم أبو بكر، وارتقاء النزاع، فلا يُعرف بيتهم في زمانه مسألة واحدة تنازعوا فيها إلا ارتفاع النزاع بيتهم بسيبه كتنازعهم في وفاته رحمه الله ومذفنه وفي ميراثه، وفي تجهيز جيشِ أسامة، وقتل مائعي الزكاة، وغير ذلك من المسائل الكبار، بل كان خليفة رسول الله ص».

(١) «البداية والنتيجة»: (٣٠٨ / ٣٠٩).

(٢) «الموافقات»: (٤ / ٢٢٥).

فيهم يعلمُهم ويقوِّمُهم، ويُبَيِّنُ لَهُمْ مَا تَرَوْلُ مَعَهُ الشُّبُّهَةُ»^(١).

وجدير بالذكر هنا أن يُقال: إنَّ باعث الصَّحَابَةَ رض من وراء ذلك لَمْ يكن هو الهوى أو حظوظ الدنيا، كما هُو الشَّأنُ عند أصحاب الفكر الليبرالي، بل كان باعثه الغيرة والخوف على المسلمين من أن تستأصل شأفتهم، وتُستباح ببيضتهم؛ فيغدون أثراً بعد عين.

وقد نقلَ جَمْعُ من الأئمة كالغزالى^(٢)، والشاطبى^(٣)، الإجماع على رد المصلحة إذا خالفت النَّصْ الشرعي، وهذا المعنى الذي انعقد عليه الإجماع بدهى من بديهيات الإسلام؛ لأنَّ الله -جَلَّ وعلا- هو الشَّارع، ولم يترك لأحدٍ من خلقه هذا الحق؛ لأنَّه سبحانه وهو الرحيم بهم يعلم ابتداءً أنَّ عقولهم -التي خلقها لهم- لا تُطيقه وأنَّهم إنْ حَكَمُوا العقل فستغلب عليه الأهواء والمصالح وتتقلب البشرية إلى أحزابٍ متناحرة، تتبع ما فيه هلاكها من المذاهب والشائع، وتعرض عما فيه نجاتها من الاستسلام لله وحده والخضوع لحكمه.

ثم نحن نتساءل أخيراً: إذا كان العقل له الصلاحية الكاملة، والأهلية التامة -كما يعتقد الليبراليون- في أن يستقل بإدراك المصالح والمفاسد بعيداً عن نور الوحي، فما الفائدة إذا من إنزال الكتب، وإرسال الرسل؟!

كما أنَّ هذا الاعتقاد قد يقودهم إلى أمر خطير للغاية، ألا وهو: اتهام الله -جلَّ وعلا- بالعبث في أفعاله وتقديره -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا-، ذلك لأنَّ من غايات إنزال الكتب وإرسال الرسل تعريف الناس بالشر والخير، وبيان المصالح والمفاسد لهم^(٤)، فإذا كان العقل البشري يستقل بمعرفة ذلك -كما

(١) «الفتاوى الكبرى»: (٤٨٨/٦) لابن تيمية.

(٢) انظر: «المتصفى»: (١/٢٨٤، ٣١٠، ٣١١) للغزالى.

(٣) انظر: «الاعتصام»: (٢/١١٣) للشاطبى.

(٤) انظر: «الرسل والرسالات»: (ص/٤٣، ٥٥) للدكتور/ عمر سليمان الأشقر.

يعتقد كثيرون من الليبراليين - كان إنزال الكتب وإرسال الرسل - حينئذ - لا طائل من ورائه ولا جدوى فيه ، وهذا هو حقيقة العبث الذي يتعالى الله عنه علواً كبيراً .

إنَّ هذه المفاسد الخطيرة الناجمة عن اعتقادهم باستقلال العقل في إدراك المصالح والمفاسد تكفي العاقل المنصف في بيان فساد هذا الاعتقاد وانحرافه عن جادة الصواب .

• أقوال الليبراليين في هذا الجانب :

أمّا أقوال الليبراليين التي تبرهن على أنَّهم يقدمون المصلحة المزعومة على النُّصِّ الشرعي ، فهي كما يلي :

أ- ويقول مشاري الذايدي : «نحن مطلوب منا أن نمارس السياسة وفق مصالحتنا ، وحيث ما كانت المصلحة كان دين الله ، هكذا أفهم الأمور ، هكذا أفهم الأمور»^(١) .

ب- يقول محمد محمود : «ما نحتاجه الآن : قطيعة نوعية مع تراث بشري تراكم على مدى أربعة عشر قرناً ، يقابلها اتصال خلاق بالنص الأول في مقاصده الكبرى ، وليس مجرد ظاهرية نصوصية لا تعني ما بين يديها ولا ما خلفها»^(٢) .

ج- يقول يوسف أبا الخيل - معلقاً على معايدة الحدبية - : «ولم يشا أن يستصحب خلال أي من تلك المناسبات الظرفية التاريخية أياماً من نصوص الشريعة التي كان يطبقها في الداخل الإسلامي قدر استصحابه ما يؤمن به المصلحة العليا له ولصحابته ولغير المسلمين ومن ينضوون تحت لواء الدولة الإسلامية مثل يهود المدينة»^(٣) .

(١) انظر : «موقع قناة العربية» - برنامج إضافات ، بتاريخ : ٢٢/١٢/٢٠٠٤ م.

(٢) جريدة الرياض ، الخميس ٢٥ ربيع الآخر ١٤٢٦هـ ، ٢ يونيو ٢٠٠٥ م - العدد : ١٣٤٩٢ .

(٣) جريدة الرياض ، بتاريخ : ٢/٢/٢٠٠٤ م.

ويقول أيضًا : « إن الشرائع كلها منزَّلة من الله تعالى لصلاح البشر في العاجل والأجل ، أي في حاضر الأمور وعواقبها الدنيوية فقط ، إذ أن تلك الشرائع لا تحدد للناس سيرهم في الآخرة التي تعتبر دار جزاء على أعمال الدنيا فقط ، وبالتالي فإن ما يجب مراعاته عند تطبيق الأحكام الشرعية هو مدى تحقيقها للمصالح الدنيوية فقط التي تعتبر بطبعتها متغيرة حسب ظروف الزمان والمكان وبالتالي فيجب أن تدور الأحكام معها وجودًا وعدمًا . »

على أن القول بارتياط المصالح الدنيوية مع الأحكام الشرعية إنما ينصرف هنا تحديدًا إلى باب المعاملات (البيع والشراء والاقتراض وأمور الزواج .. الخ) باعتبارها أساس حياة الناس في معاشهم الحاضر ، وبالتالي فيجب اعتبار الأحكام الشرعية التي تنظمها بمثابة وسائل لغايات هي المصالح المتواخدة منها ، ومن ثم فمتي ما تخلفت تلك الوسائل عن غاياتها أدت إلى تقضي الهدف من التشريع وتحولت هي الأخرى إلى غايات بذاتها وأصبحت ضارة بدل أن تكون نافعة .

لأخذ حكمًا واحدًا في باب المعاملات لنرى آثار تخلف الوسيلة فيه عن الغاية ، فالله تعالى حرم الربا في كتابه وتوعد عليه بالعذاب الشديد ممثلاً في آيات عديدة منها قوله تعالى : ﴿وَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَوْا أَضْعَدْنَا مُضْكَعَفَةً وَأَنْقَوْا اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣١ - ١٣٢] .

وعدَ الرسول ﷺ الربا ببابًا من بضع وسبعين شعبه أدناها مماثلاً لجريمة إتيان الرجل لأمه ، فما هي يا ترى الغاية المتواخدة من تحريم هذا النوع من المعاملات الذي توعد الله المتعاملين به بمكره ، اليم عقابه؟ لتذكر أن الإسلام حرم الربا أول ما حرم في بيته فقيرة وصفها إبراهيم عليه السلام بأنها « بِوَادٍ غَيْرِ ذِي رَزْعٍ » ، بيته حولها الفقر إلى مجتمع طبقي ، طبقة قليلة مترفة ثرية تتنقل قوافل تجارتها ما بين الشام واليمن ، وطبقة واسعة محرومة من أبسط أساسيات الحياة ، والتي كانت تلجأ إلى اقتراض ما يسد رمقها ورمق أولادها من أولئك التجار برهن ما يستطيعون زراعته

أو حظبه أو عشبة مما تجود به الأرض الجرداء، فإذا حال الحال ولم يستطع ذلك المقترض تسليم المبلغ أنظره التاجر إلى حين وزاد عليه الفائدة التي كان قد اتفق معه عليها، مما يؤدي في الغالب من الأحيان إلى فقدان كثير من أولئك المُعدمين لبيوتهم وما عليه يعتمدون لإعالة من تحت أيديهم جراء التنازل عنها لمن أقرضهم عندما لا يستطيعون التسليم، ولتفادي الوصول إلى مثل ذلك الوضع البائس جاء الإسلام بتحريم الربا، أي أن المقصود من تحريمه كان انتفاء الإضرار بالناس عن طريق استغلال عوزهم وحاجتهم للمال، وهو ما يوجب على الفقيه استصحابه كفاية عند النظر في تكيف كل باب من أبواب المعاملات سواء أكانت بيعاً أو شراءً أو إقراضًا أو أي نوع من أنواع المعاملات المالية»^(١).

ويقول تكملاً لموضوعه السابق: «إعمالاً لتلك القاعدة أعني قاعدة دوران الحكم مع علته وجوداً وعدماً فإن الاقتراض لأجل هدف آخر غير الهدف الذي حماه التشريع من استغلال من هم بحاجة إليه يصبح في تقديره غير قابل للإنزال حكم تحريم الفائدة عليه باعتبار انتفاء الحاجة الماسة إلى القرض من ناحية عدم ارتباطه بالحاجات الضرورية ومن ثم انتفاء شبهة الاستغلال فيه، ومثاله ما تعتمد عليه الاقتصاديات الحديثة من الاعتماد على الاقتراض من المصادر من أجل تمويل مشروعات تجارية، فالاقتراض هنا لا يتم من أجل سد حاجات أساسية لفقراء معوزين، بل من أجل تمويل مشروعات لا تقوم بطبعتها إلا على التمويل المصرفي، وبينما الوقت فهي تنشد الربح من عملياتها ولا تقترض الأموال لحاجة أساسية يمكن للمصرف استغلالها عن طريقها، وهي من جهة أخرى ضرورية لتقديم ورفاهية المجتمعات الحديثة، بل إن من عمليات البنوك الإقراضية ما يؤدي إلى سد الباب أمام استغلال حاجة الناس، خذ على سبيل المثال ما تقوم به

(١) في مقال له بعنوان: «ضرورة مراعاة المقاصد عند إعمال الأحكام الشرعية»، جريدة الرياض: الثلاثاء ٣ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ - ٣٠ مايو ٢٠٠٦م - العدد ١٣٨٥٤.

المصارف من إقراض الأفراد لشراء مساكن أو سيارات أو ما شابهها من الحاجات الأساسية بفائدة بسيطة، وتعتمد على تحصيل حقوقها على الاقتطاع من رواتب المفترضين بما لا يزيد على ثلث الراتب (وهو الحد الأعلى للاقتطاع)، فهذه قروض تساعد ذوي الدخل المحدود على ادخار جزء من مداخيلهم لتأمين متطلباتهم الأساسية، وبينما الوقت تقىهم عوز وذل الحاجة عندما تومن لهم المساكن المملوكة لهم بدل إفشاء مداخيلهم البسيطة في استئجار بيوت من أناس يستغلون أولئك البسطاء عن طريق التأجير»^(١).

• التعليق والتعليق:

١- قرر يوسف أبا الخيل أن الشرائع كلها منزلةٌ من عند الله لصلاح البشر؛ وعليه فإن الأحكام الشرعية التي اشتملت عليها تلکمُ الشرائع؛ يجب إلا يلتفت إليها إلا من جهة تحقيقها للمصالح الدنيوية فقط؛ ولما كانت المصالح الدنيوية متغيرةً حسب ظروف الزمان والمكان، وجب أن تدور الأحكام معها وجودًا وعدمًا.

ومن هنا كانت الأحكام مجردةً وسائلًا لتحقيق تلکم الغايات، ومتى ما اصطدمت الوسائل (الأحكام) مع الغايات (المصالح)، وجب تقديم الغايات (المصالح) على الوسائل (الأحكام)؛ إذ إن الوسائل (الأحكام) في هذه الحالة تعتبر ضارةً، تؤدي إلى نقض الهدف من التشريع.

والمتأنلُ بعين البصيرة فيما قررَه وقعدهُ يوسف أبا الخيل، يدركُ يقينًا أنَّ فيه مزالق خطيرةً، تستوجب ضرورة كشف النقاب عنها، والردُّ عليها؛ وفق ما تقتضيه القواعد الشرعية، والحجج العلمية؛ وذلك فيما يلي:

(١) في مقال له بعنوان: «ضرورة مراعاة المقاصد عند إعمال الأحكام الشرعية»، جريدة الرياض: الأربعاء ٤ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ - ٣١ مايو ٢٠٠٦م - العدد ١٣٨٥٥

• المزلق الأول والرَّدُّ عليه:

• المزلق الأول:

أما المزلق الأول، فهو القول بأن الشريعة الإسلامية إنما جاءت لتحقيق بعض المصالح العامة دون اهتمام بوسائل تحقيقها - التي هي في حقيقة الأمر الأحكام التفضيلية.

وانطلاقاً من هذه النّظرة فإنَّ الاجتهاد في استباط الأحكام الشرعية لدى أصحاب الاتجاه العصري يرتكز على اعتبار المقاصد الشرعية دون الأحكام الجزئية^(١).

ويوسف أبو الخيل في انطلاقه من تلك النّظرة ليس يدعى من العصرانيين؛ بل هو سائر في ركابهم؛ مُتبِّع لآثارهم؛ حذو القذة بالقذة، فها هو ذا (حسن حنفي) يلُوح بهذه النّظرية؛ فيقول:

«ربط الحكم بالعلة في الفلسفة القرآنية لا يقصد لذاته، وإنما يرمي الشارع من وراءه إلى تحقيق مقاصده؛ فالتعبد إذن في الشريعة هو السعي الحيث ل لتحقيق مقاصدها العليا»^(٢).

أما محمد عابد الجابري؛ فيدعو إلى بناء التجديد الأصولي؛ اعتماداً على المقاصد الشرعية دون الأحكام الجزئية؛ إذ يقول:

«إنَّ المطلوب اليوم هو إعادة بناء منهجية التفكير في الشريعة؛ انطلاقاً من مقدّمات جديدة ومقاصد معاصرة. وبعبارة أخرى إنَّ المطلوب اليوم هو تجديد ينطلق لا من مجرَّد استئناف الاجتهاد في الفروع؛ بل من إعادة تأصيل الأصول،

(١) انظر: «محاولات التجديد في أصول الفقه ودعوانه»: (٢/٧٠١) لهزاع بن عبد الله الغامدي.

(٢) انظر: «ظاهرة اليسار الإسلامي»: (٤٥/٦) لمحسن الملي.

من إعادة بنائـها^(١).

الردد عليه:

أـ المقاصـد التي يـدندـن حولـها العـصـرـانـيون؛ إنـما يـتـم التـعـرـف علىـها، والـكـشـف عـنـها باـسـقـرـاء نـصـوصـ الشـرـع وأـحـكـامـه الـكـلـيـة والـجـزـئـية، وـهـذـه المـعـرـفـة دـلـيـل بـيـنـ علىـ الـارـتـبـاط الـوـثـيقـ الـذـي لاـ يـنـفـصـم بـيـنـ الـمـقـاصـدـ وـالـنـصـنـ الـجـزـئـيـ؛ فـكـيفـ تـهـمـلـ الـوـسـلـيـة الدـالـلـة بـعـدـ ذـلـكـ؟

إنـ التـوـقـفـ عـنـ الـمـقـاصـدـ فـقـطـ، وـهـيـ الـمـسـتـبـطـةـ مـنـ الـنـصـوصـ، إـهـمـالـ الـمـقـاصـدـ ذاتـهـ بـاـهـمـالـ الـطـرـيقـ الـمـوـصـلـ إـلـيـهـ^(٢).

فـكـيـفـ إـذـا كـانـ الـمـقـاصـدـ الـمـتـوـهـمـ لـمـ يـتـمـ اـسـتـبـاطـهـ بـالـطـرـيقـ الـشـرـعيـ، بلـ بـالـرـغـبـةـ وـالـهـوـيـ وـالـعـقـلـ الـعـاصـرـ؛ كـمـاـ هـوـ الشـائـعـ عـنـ أـصـحـابـ الـاتـجـاهـ الـعـصـرـانـيـ؟ـ وـمـنـ هـذـا الـمـنـطـلـقـ فـإـنـهـ يـجـبـ «ـعـلـىـ الـبـاحـثـ فـيـ مـقـاصـدـ الشـرـيعـةـ أـنـ يـطـيلـ الـتـأـمـلـ، وـيـجـيدـ الشـبـتـ فـيـ إـثـابـ مـقـاصـدـ شـرـعيـ، وـإـيـادـ وـالـتـسـاهـلـ وـالـتـسـرعـ فـيـ ذـلـكـ، لـأـنـ تـعـيـنـ مـقـاصـدـ شـرـعيـ كـلـيـ أوـ جـزـئـيـ أـمـرـ تـفـرـعـ عـنـ أـدـلـةـ وـأـحـكـامـ كـثـيرـةـ فـيـ الـاسـتـبـاطـ؛ فـقـيـ الـخـطـإـ فـيـ خـطـرـ عـظـيمـ؛ فـعـلـيـهـ أـلـاـ يـعـيـنـ مـقـاصـدـ شـرـعيـاـ إـلـاـ بـعـدـ اـسـقـرـاءـ تـصـرـفـاتـ الشـرـيعـةـ فـيـ النـوـعـ الـذـي يـرـيدـ اـنـتـرـاعـ الـمـقـاصـدـ الشـرـعيـ مـنـهـ، وـبـعـدـ اـقـتـفـاءـ آـثـارـ أـئـمـةـ الـفـقـهـ؛ لـيـسـتـضـيـءـ بـأـفـاهـمـهـ وـمـاـ حـصـلـ لـهـمـ مـنـ مـمارـسـةـ قـوـاـدـدـ الشـرـيعـ^(٣).

وـمـنـ هـنـاـ كـانـتـ الشـرـيعـةـ جـامـعـةـ بـيـنـ الـمـقـاصـدـ وـوـسـائـلـ تـحـقـيقـهـاـ عـلـىـ نـسـقـ بـدـيـعـ وـاـنـسـجـامـ فـرـيـدـ؛ يـعـصـمـ مـنـ الـوـقـعـ فـيـ التـعـارـضـ بـيـنـ الـمـقـاصـدـ الـمـسـتـبـطـةـ.

(١) درجة نظر: (ص/٥٩) لمحمد عابد الجابري.

(٢) انظر: «محاولات التجديد في أصول الفقه ودعواته»: (٢/٧١٠).

(٣) انظر: «مقاصـدـ الشـرـيعـةـ الـإـسـلـامـيـةـ»: (ص/٤٠) للطـاهـرـ بـنـ عـاشـورـ.

كما أنَّ المقاصد المستنبطَة لا بُدَّ أن تتوافر فيها الضوابطُ الشرعيةُ التي تجعلُ منها مقاصد شرعية حقيقةٌ^(١).

بــ هناك آثارٌ سلبيَّةٌ للغاية تترتبُ على النَّظريةِ العصرانيَّةِ القائلةِ بالاعتمادِ الكليِّ على المقاصدِ دون التفاتٍ للأحكامِ الجزئيَّةِ، لعلَّ أبرزها ما يلي:

ـ الدُّعوةُ إلى العلمانيةِ (اللادينية):

يبدو هذا جليًّا عندما يكتفى بالقول بأنَّ الشريعةَ مقاصدُ، ومقاصدها هي: العدالة والحرية والمساواة . . . إلخ، ثُمَّ يتركُ للعقلِ مجالٌ واسعٌ لوضعِ الأحكامِ وتحديدِ الطُّرقِ المحققةِ للمقاصدِ، دون الرُّجوعِ لأحكامِ الشرعِ وأدلةِه.

وهذا لا جرمَ منهجٌ خارجٌ بالكُلِّيةِ عن المنهجِ الإسلاميِّ؛ إذ هُوَ يفتحُ بابَ الحريةِ على مصارعيه للعقلِ والأهواءِ، في مجالِ تقنينِ القوانينِ وسنِّ الأحكامِ المحققةِ لمقاصدها^(٢).

ـ إلغاءُ مقاصدِ الشريعةِ الحقيقة:

النظريةُ العصرانيةُ للمقاصدِ تتفقُ بصورةٍ أو بأخرى مع أصحابِ الدُّعواتِ المشبوهةِ القائلينَ: بأنَّ الشريعةَ لم تأتِ بجديدٍ، وأنَّ ما تدعو إليه من مقاصدٍ؛ كالعدلِ والحريةِ، موجودٌ في كتبِ الفلسفةِ والحكماءِ؛ مما الداعي إذن أن تأتي عن طريقِ الوحي؟!^(٣).

إنَّ الشريعةَ الإسلاميَّةَ تتضمَّنُ مقاصدَ ووسائلَ لتحقيقِها؛ فهي مقصودٌ ووسيلةٌ، وكلياتٌ وأدلةٌ جزئيَّةٌ، وقواعدٌ وأحكامٌ تفصيليَّةٌ، ولا يمكنُ أخذُ البعضِ وتركُ الآخرِ^(٤).

(١) انظر: «محاولات التجديد في أصول الفقه ودعواته»: (٢/٧١٠-٧١١).

(٢) المرجع السابق، (ص ٧١١).

(٣) انظر: «ظاهرة اليسار الإسلامي»: (ص ١٠٦) لمحسن الميلبي.

(٤) انظر: «محاولات التجديد في أصول الفقه ودعواته»: (٢/٧١٢).

• المزلق الثاني والرّد عليه:

• المزلق الثاني:

أمّا المزلق الثاني؛ فهو القول بأنّ المصلحة أصلٌ مستقلٌ في التشريع، والناظر في هذا المزلق، يَجِدُ أنَّ المزلق الأول الذي مرّ معنا آنفًا، قد مهدَّ له الطريق لا حيَّا؛ بحيث صار المزلق الثاني -عياذا بالله- هو التّيجة الحتمية الطّبيعية له.

والمقصود بالاستقلال هنا: بناء الأحكام على المقاصد دون مراعاة للنصوص، وهذا على التّحقيق مذهب العصرانين بصورة عامّة، ويلوح هذا بشكلٍ سافر في كلام يوسف أبا الخيل؛ فقد جعل الأحكام الشرعية تبعًا للمصلحة؛ فحيثما وُجدت المصلحة -على حد زعمه- أخذ بالّنصّ، وحيثما تعارضت المصلحة مع النّصّ قُدِّمت المصلحة وأُبطل النّصّ^(١).

ومن العجيب حقًّا أنَّهم هنا «لا يُفرّقونَ في القول بين مصالح ضرورية وحاجيَّة وتحسينية؛ بل يُطلّقونَ القول بالمصلحة؛ لتشمل كُلَّ المصالح المراده من طرفهم»؛ فهناك مصلحة عامَّة، ومصلحة معاصرة (تراعي ظروف العصر)، وغير ذلك^(٢).

هذا هو المزلق الأول بصورة واضحة جليّة، وأمّا الرّد عليه؛ فهو من الوجوه الآتية:

أ- أنَّ شريعة الخالق تبيّن صلاح وهدى لعباده، بجميع ما تضمنته من أحكام جزئية أو كُلية، فكيف يتصرّر عقلٌ سليمٌ أنَّ المصلحة قد تكون خارج شرع الله، وأنَّ تقديمها عليه ممكן؟!

ألا يكون ذلك إبطالاً للقول التي قررت تضمن الشّرع للمصلحة ثم ردَّه (أي

(١) انظر: «ظاهر اليسار الإسلامي»: (ص/١٠٦).

(٢) «محاولات التجديد في أصول الفقه ودعوانه»: (٧٢٩/٢).

الشرع) لمعارضته للمصلحة؟!»^(١).

أليس في ذلك تناقضٌ صارخٌ بينَ أنَّ الشَّرائِعَ إنَّما أَنْزَلَتْ لِتُحَقِّقَ الْمَصَالِحُ، وبينَ افتراضِيَّنَّ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرِيعِيَّةِ مَا قَدْ يُصَادِمُ الْمَصَلَحةَ؟!

والمقرُّ في الأصولِ؛ كما نَصَّ على ذلك شيخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تِيمِيَّةَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، أَنَّ «الْتَّنَاقْضُ أَوَّلُ مَقَامَاتِ الْفَسَادِ»^(٢).

وعليه؛ فإنَّ ما قَرَرَهُ يُوسُفُ أَبَا الْخَيْلِ هُوَ في غَايَةِ الْفَسَادِ وَالْبَطْلَانِ.

بـ- أَنَّ الْمَصَلَحةَ الْمَعَارِضَةَ لِلنَّصْرِ الشَّرِيعِيِّ؛ كَمَا مَرَّ مَعَنَا، هِيَ (الْمَصَلَحةُ الْمُلْغَاةُ) التَّيْ دَلَّ الشَّرَعُ عَلَى إِلْغَائِهَا وَعَدَمِ اعْتِبَارِهَا، وَهَذَا النَّوْعُ مِمَّا اتَّفَقَ عَلَى إِبْطَالِهِ وَامْتِنَاعِ التَّمْسِكِ بِهِ، فَلَا يَصِحُّ بَنَاءُ الْأَحْكَامِ عَلَيْهِ؛ لَأَنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى تَغْيِيرِ جَمِيعِ حَدُودِ الشَّرَائِعِ وَنَصْوَصِهَا؛ بَلْ إِلَى اِنْدِرَاسِ مَعَالِمِ الدِّينِ بِالْكَلِيلِيَّةِ؛ فَهَذَا القَوْلُ يَفْتَحُ مَجَالَ الْعَبِثِ وَاللَّعِبِ بِأَدْلَةِ الشَّرِيعَةِ وَأَحْكَامِهَا؛ بِحَجَّةِ الْمَصَلَحةِ؛ بَلْ قَدْ يَبْيَحُ الزِّنَا وَبَعْضَ الْمَعَالِمَاتِ الرِّبُوبِيَّةِ وَبَعْضَ الْمَسْكَراتِ، وَتُوْضَعُ الْقَوَانِينُ الْبَشَرِيَّةُ، وَتُوْجَدُ الْمَحْرَمَاتُ، وَيُحَارَبُ شَرُّ اللَّهِ؛ بِحَجَّةِ الْمَصَلَحةِ الْمَزْعُومَةِ^(٣)، أَعَادَ اللَّهُ الْأَمَةُ الْإِسْلَامِيَّةَ مِنْ ذَلِكَ.

جـ- أَنَّ النَّصْوَصَ مَرَاعِيَّةً لِلْمَصَالِحِ بِالْإِجْمَاعِ؛ فَلَا سَبِيلَ لِتَعَارِضِ الْمَصَالِحِ مَعِ النَّصْوَصِ^(٤).

دـ- أَنَّ الْعُلَمَاءَ مَجَمُونُونَ مِنَ الْعَصُورِ الْأَوَّلِيِّ إِلَى عَصْرِ الطُّوفِيِّ عَلَى أَنَّ الْعَبْرَةَ بِالنَّصْوَصِ، وَلَا يُلْتَفِتُ لِمَا يُتوَهَّمُ كُونَهُ مَصَلَحةً مَا دَامَتْ مَعَارِضَةً لِلنَّصْوَصِ^(٥).

(١) «محاولات التجديد في أصول الفقه ودعواته»: (٧٢٩/٢).

(٢) «مجموع الفتاوى»: (٩٩/١٧).

(٣) انظر: «المستصفى»: (١/٢٨٥) للغزالى، و«مجلة البحوث الإسلامية»: (ع: ٤٧، ص: ٢٧٦) في دراسة بعنوان: «المصلحة عند الحنابلة» لسعد بن ناصر الشثري.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

ومن هنا يستتبّن لكل ذي بصيرة أنَّ (الظُّوفِيَّ) هُوَ سلفُ العصرانين جميعاً في أنَّ المصلحة المجردة من الضوابط الشرعية هي أصلٌ في التشريع، بل هي قطب مقصود الشارع؛ وبالتالي فإنَّها مقدمة على النص في حال التعارض^(١).

وقد شنَّع كثيرون من العلماء على الظُّوفِيَّ ونظريته الشاذة في باب المصالح؛ ومن هؤلاء: العلامة (أبو زهرة)^(٢)، ود. (عبد الوهاب خلاف)^(٣)، وغيرهم من أهل العلم والفضل.

ونختُم الحديث في باب المصالح بكلمة تصصيلية نفيسة رائقة لشيخ الإسلام ابن تيمية؛ فيقول تعالى تَعَالَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

«وَالْقَوْلُ الْجَامِعُ أَنَّ الشَّرِيعَةَ لَا تُهْمِلُ مَضْلَحَةَ قُطْبٍ بَلَّ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَكْمَلَ لَنَا الدِّينَ وَأَتَمَ النِّعَمَةَ فَمَا مِنْ شَيْءٍ يُقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ إِلَّا وَقَدْ حَدَّثَنَا بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَكَّنَ عَلَى الْيَقْضَاءِ لِيُلَيَّهَا كَنَهَارِهَا لَا يَرِيَغُ عَنْهَا بَعْدَهُ إِلَّا هَالِكٌ لَكِنْ مَا اعْتَقَدَهُ الْعَقْلُ مَضْلَحَةٌ وَإِنْ كَانَ الشَّرْعُ لَمْ يَرِدْ بِهِ فَأَحَدُ الْأَمْرَيْنِ لَازِمٌ لَهُ إِمَّا أَنَّ الشَّرْعَ دَلَّ عَلَيْهِ مِنْ حِيثُ لَمْ يَعْلَمْ هَذَا النَّاطِرُ أَوْ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَضْلَحَةٍ وَإِنْ اعْتَقَدَهُ مَضْلَحَةً؛ لِأَنَّ الْمَضْلَحَةَ هِيَ الْمَنْفَعَةُ الْخَاصَّةُ أَوْ الْعَالِيَّةُ وَكَثِيرًا مَا يَتَوَهَّمُ النَّاسُ أَنَّ الشَّيْءَ يَنْتَفَعُ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَيَكُونُ فِيهِ مَنْفَعَةٌ مَرْجُوَةٌ بِالْمَضَرَّةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْحَمْرَ وَالْمَنِسِيرِ : «فَلَمْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَيْرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا» [البرة: ٢١٩]. وَكَثِيرٌ مِمَّا ابْتَدَعَهُ النَّاسُ مِنَ الْعَقَائِيدِ وَالْأَعْمَالِ مِنْ بَدْعِ أَهْلِ الْكَلَامِ وَأَهْلِ التَّصْوِيفِ وَأَهْلِ الرَّأْيِ وَأَهْلِ الْمُلْكِ حَسِبُوهُ مَنْفَعَةً أَوْ مَضْلَحَةً نَافِعًا وَحَقًّا وَصَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ بَلْ كَثِيرٌ مِنَ الْخَارِجِينَ عَنِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْيَهُودِ وَالصَّارَى وَالْمُشْرِكِينَ وَالصَّابِرِينَ وَالْمَجْوُسِينَ يَحْسَبُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ أَنَّ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ إِاعْتِقَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَالْعِبَادَاتِ مَضْلَحَةٌ

(١) انظر: «محاولات التجديد في أصول الفقه ودعوانه»: (١٩٨/١).

(٢) انظر: «ابن حنبل»: (ص/٣٥٩) لأبي زهرة.

(٣) انظر: «مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نصّ فيه»: (ص/١٠١) لعبد الوهاب خلاف.

لَهُمْ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا مَوْنَعَةٌ لَهُمْ ﴿الَّذِينَ حَضَلَ مَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَخْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ مُضْطَعِفًا﴾ [الكهف: ١٠٤] وَقَدْ زُرْنَ لَهُمْ سُوءُ عَمَلِهِمْ فَرَأَوْهُ حَسَنًا . فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ يَرَى حَسَنًا مَا هُوَ سَيِّئٌ كَانَ اسْتِخْسَانَهُ أَوْ اسْتِضْلَالُهُ قَدْ يَكُونُ مِنْ هَذَا الْبَابِ﴾ اهـ^(١) .

٢- بنى يوسف أبو الغيل مقاله على «معرفة خاطئة - وما بُني على خطأ فهو خطأ» - وهي كما يقول: «أن الإسلام حرم الربا أول ما حرم في بيته فقيرة وصفها إبراهيم عليه السلام بأنها (واد غير ذي زرع، بيته حولها الفقر إلى مجتمع طبقي ...) إلى آخر ما ذكر، وهو يقصد مكة شرفها الله . وما ذكره خطأ من وجوهه، منها:

أنّ وصف إبراهيم عليه السلام لمكة كان قبل دعوته لها ، ولو أن الكاتب أكمل الآية لعرف معناها الصحيح ، وتمّة الآية: ﴿فَاجْعَلْ أَقْيَدَةَ مِنْ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الْثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧] .

فاستجاب الله دعوة خليله عليه السلام ، ورزقهم من الطيبات ..

والوجه الثاني - وهو المهم -: أن الربا إنما حُرِم تحريرًا قاطعًا في أواخر العهد المدني بعد أن بلغت دولة الإسلام كمال عزّها ، وبعد أن أنزل الله: ﴿أَتَيْتُمْ أَكْلَمُ لَكُمْ وَيَكْتُمُ وَأَنْهَمُ عَلَيْكُمْ يَعْمَلُ وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِشْلَامَ وَيَنْهَا﴾ [المائدة: ٣] .

ولذا فإن آيات الربا هي آخر ما نزل من القرآن كما هو معلوم عند أهل العلم ، فأين المجتمع الطبيعي في زمن سيد الخلق - عليه أفضل الصلاة والتسليم - ودولته ، وهو الذي بعث لإزالة مثل هذا المجتمع؟! ..

أما قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَلَبِيَّاً أَضْعَفْتُمْ أَضْعَافَةَ مُضْطَعِفَةَ﴾ [آل عمران: ١٣٠] . فقد نزل كما هو معلوم - في أعقاب غزوة أحد في السنة الثالثة للهجرة ، قبل أن يحرم الربا تحريرًا قاطعًا ، فلا مفهوم له كما يظنّ كثير من الناس ، ومن لا علم له بنصوص الشريعة ، ومقدارها وتدرجها في بعض الأحكام .

(١) «مجموع الفتاوى»: (١١/٣٤٢-٣٤٥).

ثم من الذي يحدد المقاصد الشرعية، هل يحددها كاتب صحفي غير متخصص، أم يحددها العلماء الراسخون في العلم؟^(١)

٣- لو سُلِّمَ لهؤلاء أنَّ الربا المنصوص عليه في القرآن هُوَ ما كانت الجاهلية تفعله لما سُلِّمَ لهم قصر التحرير عليه، بل إنَّ التحرير واقع كذلك على كُلِّ ما حرمَ رسول الله ﷺ ونصَّ عليه من بيوغات الربا^(٢).

يقول الحصاص رحمه الله : «فأبطل الله تعالى الربا الذي كانوا يتعاملون به، وأبطل ضرورياً أخرى من البياعات وسماتها ربا؛ فانتظم قوله تعالى : ﴿وَحَرَمَ الْرِبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥] تحريم جميعها لشمول الاسم عليها من طريق الشَّرِيعَة^(٣).

وقال القرطبي رحمه الله : «قوله تعالى : ﴿وَحَرَمَ الْرِبَا﴾ الألف واللام هنا للعهد، وهو ما كانت العرب تفعله كما بيَّناه، ثمَّ تناولَ ما حرمَه رسول الله ﷺ ونهى عنه من البيع الذي يدخله الربا ، وما في معناه من البيوع المنهي عنها»^(٤).

وقد جاءَ ردَّ حاسمٌ في أحد قراراتِ مجمع الفقه الإسلامي في دورته العاشرة المنعقدة في مكة المكرمة على مستشار قانوني بمؤسسة النقد السُّعودي، يُقالُ له (إبراهيم بن عبد الله الناصر)، أَلْفَ بحثاً بعنوان: « موقف الشريعة من المصارف»، أباحَ فيه ربا القرض؛ كيوف أبا الخيل، وأضرابه من العصراين، ك(العلaili)^(٥) و(الدمنهوري)^(٦)؛ بدعوى المصلحة العامة، وفيما يلي استعراضٌ لبعض ما جاءَ في الرَّدِّ بما يناسبُ المقامَ:

(١) نقلًا عن: «شبكة نور الإسلام» على الشبكة العنكبوتية، في ردٍ منشور عليها للدكتور محمد عبد العزيز المسند.

(٢) إرسال الشواذ على من تتبع الشواذ»: (ص/ ١٧٨) لصالح الشمراني.

(٣) «أحكام القرآن»: (٢/ ١٨٤) للحصاص.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن»: (٣/ ٣٤٠) للقرطبي.

(٥) و(٦) انظر: «الربا»: (١/ ١٩٧) للسعدي.

• المجمع يستنكِر بشدة هذا البحث:

- ١- لخروجه على الكتاب والسنة والإجماع^(١) يبابحه ربا القرض بفائدته، حيث اعتبره الباحث مغاييرًا لربا الجاهلية الذي نزل بسيبه القرآن.
- ٢- دعوه أن هذه المصارف التي تقرض بفائدة، مصلحة يحتاج الناس إليها مردود، بل الربا مفسدة، ولو صحت أنه مصلحة فهي مصلحة ملحة بالأدلة المحرمة للربا.

... والمجمع ينادي الذين يريدون الكتابة عن شريعة الإسلام أن يتقدوا الله؛ فلا يكتبوا إلا عن بينة، ولا يبحثوا إلا عن بصيرة، ولا يفتحوا أبواب الشبه، ولا ينشروا الجهالات؛ لئلا يصرفوا الناس عن الحق، ويلبسوا على المسلمين دينهم.

وقد وقع على هذا القرار كوكبة من علماء العالم الإسلامي، بلغ عددهم أربعة عشر عالِيًّا^(٢).

وهذه طريقة القوم في التعامل مع النصوص الشرعية، حيث لا يذعنون لها، ولا يرفعون رأساً بها، ومن تأمل بتجدد وإنصاف في المصلحة التي يقدمونها على النص، يجد أنها مصلحة مزعومة قائمة على الهوى، نابعة من ضغوط الواقع الفاسد الذي يعايشونه، ويحيط بهم من كل جانب !! والله المستعان.

٣- دعوى تعدد قراءات النص الواحد:

يعتقد الليبراليون أنَّ النص الشرعي له قراءات متعددة وطرائق متنوعة لفهمه

(١) نقل جمُع من أهل العلم الإجماع على تحريم (ربا القرض) ومنهم: ابن المنذر، وابن قدامة، والقرطبي، وابن تيمية، وابن حجر الهيثمي، والمرداوي، والعيسي. انظر: «المغني»: (٤٣٦/٦) لابن قدامة، و«الجامع لأحكام القرآن»: (٢٣٠/٣)، و«مجموع الفتاوى»: (٢٩/٣٣٤)، و«الزواجر»: (٤٨٣/١) للهيثمي، و«الإنصاف»: (٥/١٣١) للمرداوي، و«عمدة القارئ»: (٤٥/١٢) للعيسي.

(٢) انظر: «إرسال الشواذ على من تتبع الشواذ»: (ص/١٧٩-١٨١).

والاستنباط منه، وكلها صحيحة، وهذه العقيدة من الفساد بمكان؛ لأنّها تفتح الباب على مصراعيه لكل مبطل أن يستدل على مذهبه الفاسد من النص الشرعي بدعوى (تعدد قراءات النص)، ولا ريب أنّ هذا أصل خطير يُسْوِغ زندقة كل متزندق وكفري كل كافر، فالباطني مثلاً الذي يفسر قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذَبَّحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] بأنّها عائشة رضي الله عنها بنتها بناء على ذلك الأصل قوله حق، والذي يقول: إنّها البقرة المعروفة قوله حق^(١).

ويُظْلِيقُ بعض الأئمة على هذا الأصل (دعوى عدم إفاده النص للعلم واليقين)^(٢).

والعجب أنّ زنادقة عصرنا من المتكلمين الذين يسمون (مثقفين!!)، و(عصريين!!) اتكأوا على هذا الأصل لتسويغ باطلهم وتمرير انحرافهم، ولهذا زعم من زعم منهم أنّ القرآن يمكن أن يدل على كل مذهب في الأرض.

وقد أشار إلى هذا الأصل وبين فساده الإمام ابن قتيبة رحمه الله حيث قال: «ثم نصير إلى عبيد الله بن الحسن وقد كان ولی قضاء البصرة فتهجم من قبيح مذاهبه وشدة تناقض قوله . . . وذلك أنه كان يقول: إن القرآن يدل على الاختلاف فالقول بالقدر صحيح وله أصل في الكتاب والقول بالإجبار صحيح وله أصل في الكتاب ومن قال بهذا فهو مصيّب ومن قال بهذا فهو مصيّب لأن الآية الواحدة ربما دلت على وجهين مختلفين واحتملت معنيين متضادين.

وسئل يوماً عن أهل القدر وأهل الإجبار فقال: كل مصيّب هؤلاء قوم عظموا الله وهو لا يهؤلاء قوم نزهو الله.

قال: وكذلك القول في الأسماء فكل من سمي الزاني مؤمنا فقد أصاب، ومن

(١) انظر: «مجموع الفتاوى»: (٥٥١/٥).

(٢) انظر: «الصواعق المرسلة»: (٢/٧٩٣-٦٣٣) لا بن قيم الجوزية.

سماه كافراً فقد أصاب ، ومن قال : هو فاسق وليس بمؤمن ولا كافر فقد أصاب ، ومن قال : هو منافق ليس بمؤمن ولا كافر فقد أصاب ، ومن قال : هو كافر وليس بمشرك فقد أصاب ومن قال : هو كافر مشرك فقد أصاب لأن القرآن قد دل على كل هذه المعاني .

قال : وكذلك السنن المختلفة كالقول بالقرعة وخلافه والقول بالسعاية وخلافه وقتل المؤمن بالكافر ولا يقتل مؤمن بكافر وبأي ذلك أخذ الفقيه فهو مصيب .

قال : ولو قال قائل إن القاتل في النار كان مصيباً ، ولو قال هو في الجنة كان مصيباً ، ولو وقف فيه وأرجحا أمره كان مصيباً إذ كان إنما يريد بقوله إن الله تعالى تعبده بذلك وليس عليه علم المغيب . وكان يقول في قتال علي لطلحة والزبير وقتالهما له : إن ذلك كله طاعة لله تعالى .

وفي هذا القول من التناقض والخلل ما ترى ، وهو رجل من أهل الكلام والقياس وأهل النظر»^(١) .

وقد بيّنَ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَبَرَّهُ أنَّ أصل هذا المذهب الفاسد ، يرجع إلى قول السوفسطائية^(٢) من الفلسفه ، ثُمَّ أخذه عنهم طوائف من ملاحدة الصوفية^(٣) .

(١) «تأويل مختلف الحديث»: (١/١٣) لابن قتيبة.

(٢) السوفسطائية: مأخوذة من السفسطة ، وهي : قياس مركب من الوجهيات ، وهم طائفة من فلاسفة اليونان من ينكرون الحسيات والبدويات ، ومعناها باليوناني (سوفا) : اسم للعلم ، و(اسطا) : اسم للغلط ، فسوفسطا : معناه علم الغلط ، ومثلو لإنكارهم للحداث بأنَّ الأحوال قد يرى الواحد اثنين ، والماثي يرى القمر ذاهباً؛ وعليه فلا يُجزم بأنَّ أيهم يعرف حقاً وأيهم يريد باطلاً. انظر : «كشف اصطلاحات الفنون»: (٢/٦٦٥)، و«التعريفات للجرجاني»: (ص/١٥٨)، و«مجموع الفتاوى»: (٢/٩٨).

(٣) انظر : «مجموع الفتاوى»: (٢/٩٨).

والفلسفة المعاصرة الحديثة أخذت في بعض تقريراتها بهذا المذهب الفاسد، فصححوا كُلَّ الأديان، والمذاهب الباطلة، ولم يجعلوا لنصوص القرآن والسنة منزلة ولا حرمة، فكُلُّ شخص يفهم النص بما يريد ويشتهي لا بما هو عليه في الحقيقة.

وقد أثبتت هذه الحقيقة أحد المفكرين الغربيين، فقال: «لقد خلَّف لنا التاريخ تصوريين مختلفين للتأويل، فتاویل نص ما: حسب التصور الأول يعني الكشف عن الدلالة التي أرادها المؤلف، أو على الأقل الكشف عن طابعها الموضوعي، وهو ما يعني إجلاء جوهرها المستقل عن فعل التأويل، أمَّا التصور الثاني فهو على العكس من ذلك حيث يتمثل في كون النصوص تحتمل كل تأويل...»^(١).

إذاً؛ فهو يرى أنَّ هناك مذهبين: أمَّا الأوَّل، فهو يرى الوقوف مع النص على ظاهره أيًّا كان هذا النص، وأمَّا الثاني، فهو على نقشه تماماً يرى أنَّ النص يحتمل كل تأويل يُمكن أن يخطر ببال بشر.

والمعركة التي تدور رحاها الآن بين أقطابِ الزندة المعاصرین ومن قُبَّلَ بهم من يزعمون أنَّهم مثقفون! وبين المتمسكيَّن بدينهِم، والثوابت أساسها، تتمثلُ في هذه القضية الكبرى: النصِّ، وهل يمكن لأيٍّ أحدٍ أنْ يُفسِّره بما شاء؟^(٢).

- أقوال الليبراليين في هذا الجانب:

أ- يوسف أبا الخيل يزعم أنَّ دعوى تعدد قراءات النص الواحد قد أصلها على تقليده، بينما القول بوجود قراءة واحدة للنص هو مذهب الخوارج!!.

يقول: «لم يقاتل الخوارج عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه من أجل مفهوم

(١) «التأويل بين السيميائيات والتفسيرية»: (ص/ ١١٧) لإيميلتو إيكو، ترجمة: سعيد بنكراد.

(٢) انظر: «منهج أهل السنة والجماعة في تدوين علم العقيدة إلى نهاية القرن الثالث الهجري-رسالة علمية تحت الطبع»: (٩١٢/٢).

دنيوي ابتغوه عاجلاً أو أنسوا له آجلاً، ولكنهم قاتلوه وقتلوه في النهاية لأنهم ابتغوا فرض منطقهم التأويلي للقرآن الكريم عليه وعلى الصحابة الأجلاء معه، ومن يومها وعلى وقع تلك الأيديولوجية تشكلت في جذور الثقافة العربية ما يعرف بـ«ثقافة فرض الرؤية الشخصية بكافة تمظهراتها على الآخرين ولو بالقوة»، من جانبه فقد دشن عليٌّ^{عليه السلام} على هامش معركته مع أولئك الخوارج ثقافة تعددية قراءة النصوص بقوله (القرآن بين دفتي المصحف لا ينطق وإنما يتكلم به الرجال) ويعني بذلك أن سياق القراءة، سواء للقرآن الكريم أو للسنة النبوية ابتغا استنباط الأدلة منها، إنما هو سياق مختلف متعدد المشارب، تعتمد القراءة فيه على ثقافة كل قارئ وأيديولوجيته وزمانه ومكانه، ومراميه من القراءة نفسها.

في مقابل ذلك التسامح الذي كان الإمام عليٌّ^{عليه السلام} يحاول تهيئه جينات الثقافة العربية لقبوله، كانت الأيديولوجية الخوارجية تنطلق من مبدأ (ما أريككم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد)، وهي أيديولوجية تعتمد على قراءة حرفية للنصوص مهملة كافة السياقات المختلفة لها، مع اعتقاد جازم لا يتزعزع بأنها القراءة الوحيدة الصحيحة وما سواها فضلال وزيف وتنكب عن الصراط المستقيم^(١).

ويقول أيضاً: «إنَّ أول خطوة في مكافحة العصاب الوسواسي للتعصب تكمن في تقديرى في إصلاح مناهج المواد الدينية التي تقدم للناشئة في مراحل التعليم العام بما يؤدي بها إلى أن تقدم مضموناً يعلم الطالب التفرقة بين النص الديني في ذاته المتعالية وبين قراءته البشرية، بحيث يتم (تبعة) الذهنية الطيرية الغضة بأن النص في ذاته كبنية متعلالية هو واحد لا يتعدد ولا يتنسب (من النسبية) أما قراءة البشر لهذا النص فهي تتعدد وفقاً للدوافع الرغبوية للقارئ وللظروف الزمانية والمكانية وال حاجات المعيشية والتوازن الجديدة التي تحيط به سواء أكان هذا

(١) في مقال له بعنوان (طمس صور الشوارع: ثقافة فرض الرؤية الخاصة على الآخرين)، نشر في (جريدة الرياض: الخميس ٥ من ذي الحجة ١٤٢٦هـ - ٥ يناير ٢٠٠٦م - العدد: ١٣٧٠٩).

القارئ فرداً أو جماعة أو مذهباً أو طائفة»^(١).

٤- رد السنة صراحة لأنّها لا تتوافق مع العصر ومتطلباته ومستجداته :

- يقول عبد الله بن بجاد العتيبي في مقال له بعنوان (حتى لا يتحكم فينا الخارجون من التاريخ) -نقلأ عن موقعه على الشبكة- : «يُينما نقرأ على وجه العملة الآخر لخارجين آخرين من التاريخ يناقضون هؤلاء تماماً على النتيجة ويملكون نفس مفتاح الخروج ولكن بيقين معاكس، ويمثل هؤلاء بعض المتشددين من الجماعات الدينية والتي تمثل الجماعات الإسلامية المتشددة مثلهم الصارخ في مقابلة خصوم الصراع، وينطق بن لادن ومنظروه باسمهم، لقد أثر هؤلاء الخروج من التاريخ هروباً للخرافة ليثبتوا مقولاتهم التي يعوزها المنطق والواقع، وقد حدثونا عن سفياني سيخرج وقططاني سيسوق ومهدى سيملا الدنيا، ولذا فهم ينتظرون هذا ويُسخنون العالم لذاك، ولكن طرف في العملة يتلقيان على العالم ليحرقاً في مبخرة التعالي عليه والهروب منه ويقدماه قرباناً لناظرة أيديولوجية ضيقة لا تستطيع صدورها أن تحمل أعجازها ولا تطبق مقدماتها ثقل نتائجها ، الطرفان يبنيان ناطحات سحاب على بيوت عنكبوت، ويسكنان العالم مرغماً في بنياتهما المهرئة»^(٢)

فانظر أخي القارئ، كيف وصلت به الجرأة على أن يصف الأحاديث التي جاء فيها ذكر القحطاني^(٣) والمهدى^(٤) بأنّها خرافة ، وقد جاءت بأسانيد صحيحة عن

(١) جريدة الرياض، بتاريخ: السبت ١٨ ذي القعدة ١٤٢٧هـ - ٩ ديسمبر ٢٠٠٦م - العدد: (١٤٠٤٧).

(٢) ثبت حديثه في الصحيحين، فقد أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب المناقب، باب ذكر قحطان، ٤/١٥٩، رقم ٦١)، وكتاب الفتنة، باب تغير الزمان حتى يبعد الأوثان، ٨/١٠٠، رقم ٩٢) ومسلم في «صحيحه» (كتاب الفتنة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيمني أن يكون مكان الميت من البلاء، ٤/٢٢٣٢، رقم ٢٩١٠).

(٣) أحاديث المهدى كما حكى غير واحد من أهل العلم متواترة، وتواترها توادر معنوي لكثرة طرقها، واختلاف مخارجها وصحابتها ورواتها وألفاظها، وقد نصّ على صحة هذه الأحاديث جمع كبير من =

المعصوم عليه السلام وهو الذي لا ينطق عن الهوى، إنْ هو إلَّا وحِيُّو حِيٌّ؟!
أمّا ما ورد في شأن السفياني من أحاديث وخروجه في آخر الزمان، فلا يصح منها شيء سندًا، ولا يصلح للاعتماد على روایاتها؛ لأنَّ الكثير منها موقوفات بل ومقطوعات ضعيفة الإسناد، فيها مجاهيل وضعفاء، وكذا المرفوع لا يصح منه شيء^(١).

٥- تقسيم السنة إلى سنة تشرعية وسنة غير تشرعية، وما كان غير تشرع
فلا يلزم الأخذ به :

يرى كثير من الليبراليين أنَّ السنة النبوية ليست على نمط واحد، فمنها ما هو تشرع يلزم الأخذ به وهو ما يسمى عندهم بـ(السنة التشرعية)، ومنها ما هو تشرع لا يلزم الأخذ به، وهو ما يعبرون عنه بـ(السنة غير التشرعية)، ومن تأمل في هذا التقسيم، وقلب فيه النظر، أدرك بجلاءً أنَّ هذا التقسيم هو -بحقٍّ وحقيقة- من أخطر شبّهاتهم في هذا الميدان، وقد اعتمدوا في هذا التقسيم المحدث المبتدع على حديث (تأبير النخل)، وانطلقو منه في ترسیخ تلك الشبهة وتكريس بنائهم الفكري عليها.

• ولنا أن نجمل الرد عليها في النقاط الآتية :

أولاً : تقسيم السنة إلى سنة تشرعية وأخرى غير تشرعية تقسيم باطل لا مستند عليه، والصواب الذي أجمع عليه أئمة المسلمين أنَّ كُلَّ ما أقرَّ عليه رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه

= نقاد الحديث وأئمته، منهم: الحاكم، والذهبي، وأبو نعيم، وابن العربي المالكي، والقرطبي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، وابن حجر العسقلاني، والسيوطى، وغيرهم. انظر: «الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدى»: (من/١٥٧) للشيخ عبد المحسن العباد، و«السلسلة الصحيحة»: (٤/٣٨، و٢/٣٣٦) للشيخ الألباني رحمه الله.

(١) انظر: «السلسلة الضعيفة»: (٤/٣٦٩)، و«ضعيف الجامع الصغير»: (٤/٢٢٤) للألباني، و«إتحاف الجماعة»: (١/٤٩) للشيخ حمود التويجري.

من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ قبل وفاته ثُمَّ لم ينسخ هو شرعٌ ودينٌ يُتَبَعُ اللَّهُ بِهِ، ولكن هذا الدين والتشريع يختلف حكمه، فمنه ما هو فرضٌ عينٌ، ومنه ما هو فرضٌ كفاية، ومنه ما هو واجبٌ، ومنه ما هو سنة مؤكدة، ومنه ما هو مندوبٌ، ومنه ما هو مباحٌ. وكلُّ من عمل شيئاً من ذلك بنية التقرب إلى اللَّهِ يُثاب على فعله، سواءً كان فرضاً، أو سنة مؤكدة أو مندوباً، أو مباحاً^(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ وَجَلَّهُ بَعْدَ النَّبُوَّةِ وَأَقْرَأَهُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُنْسَخْ فَهُوَ تَشْرِيعٌ، لَكِنَّ التَّشْرِيعَ يَتَضَمَّنُ الإِيجَابَ، وَالتَّحْرِيمَ وَالإِبَاحةَ^(٢).

وقد قال اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَيْوَمَ أَكْلَمْتُ لَكُمْ دِيَنَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ فِعْمَاتِي وَرَضِيَتُ لَكُمْ إِلَاسْلَمَ دِيَنَّا﴾ [المائدة: ٣]، وما لم يكن في ذلك اليوم ديناً فلن يكون اليوم ديناً، وحدود الشريعة حدّها رسول اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ وَجَلَّهُ، وليس لأحدٍ بعده أن يحذف منها، أو يضيف إليها؛ لأنَّ أمور الدِّين توقيفية، فاللَّهُ تَعَالَى هو المشرع، والرسول رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ وَجَلَّهُ هو المبلغ، وما علينا إِلَّا التسليم.

يقول الإمام محمد بن شهاب الزهري رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ وَجَلَّهُ: «من اللَّهِ يُكَلِّنُ الرِّسَالَةَ، وعلى رسول اللَّهِ يُكَلِّنُ الْبَلَاغَ، وعلىنا التسليم»^(٣). وحذف شيءٍ مِمَّا جاء به الرسول رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ وَجَلَّهُ لا يقل خطراً وإثماً عن إضافة شيءٍ جديدٍ.

ثانيًا: أنَّ اللَّهَ جعل رسوله رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ قدوةً للمؤمنين، حيث قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

(١) انظر: «الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية-دراسة نقدية»: (ص/ ٢٧٠ ، ٢٧١) للدكتور/ مفرح القوسي، بتصرف يسير.

(٢) «مجموع الفتاوى»: (١٨/ ١١-١٢).

(٣) انظر: «فتح الباري»: (٢١/ ١٢١).

وهذا - بلا ريب - يعم كل نواحي حياته الشريفة بلا تمييز إلّا ما خصّه الله تعالى به كتزوجه بأكثر من أربع زوجات، ووصلاته في الصيام.

وأمر سبحانه بطاعة رسوله ﷺ بدون قيد أو شرط، فقال: **﴿وَمَا أَنذَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانهُوا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [الحشر: ٧]، وقال أيضاً: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولُو الْأُمُورِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَّعُمُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ يَا اللَّهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحَسْنُ تَأْوِيلًا﴾** [النساء: ٥٩]، وقال **﴿إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَبِيُوهُ، وَإِذَا أَمْرَتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾**^(١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه كان يكتب كل ما سمع من النبي ﷺ، فقالت له قريش: إنَّ رسول الله ﷺ يتكلّم في الغضب والرضا فلا تكتب كل ما تسمع، فسأل النبي <��>عن ذلك، فقال له: «اكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه إلّا حَقّاً»، وأوْمًا يا صبيعه إلى فيه^(٢).

إذاً؛ فكل ما صدر عن النبي <��>تشريع؛ لأنَّه يدل على حكم شرعي، سواء في ذلك مسائل باب العبادات أو المعاملات أو العقوبات، ويدخل فيه أيضاً ما صدر عنه <��>من أفعاله بمقتضى جبلته البشرية وطبيعته الإنسانية، فهذا النوع من الأفعال وإن لم يكن فيه أسوة أو قدوة ولا يتعلق به أمر باتباعه ولا نهي عن مخالفته، إلّا أنه يدل على الإباحة، والإباحة من الأحكام الشرعية^(٣)، فالimbah قسم من أقسام السنة، والسنة ليست على درجة واحدة من درجات الإلزام، ثم «أليس تحليل

(١) أخرجه البخاري في «صححه»: (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، الباب(٢)، ١٣/٢٥١) رقم (٧٢٨٨)، ومسلم في «صححه» (كتاب الفضائل، باب وجوب اتباعه رضي الله عنهما، ١٥/١٠٩).

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم»: (١/٨٥)، وأخرجه أبو داود في «سته» (كتاب العلم، باب (في كتاب العلم)، ٣١٨/٣ رقم ٣٦٤٦). وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ولهذا-أي الحديث المذكور-طرق أخرى عن عبد الله بن عمرو يقوى بعضها بعضاً». انظر: «فتح الباري»: (١/٢٠٧).

والحديث صحيح الشيخ الألباني رحمه الله في «الصححة»: (٤/٥٤ و ١٠٦).

(٣) انظر: «إرشاد الفحول»: (ص/٣٥) للشوكاني رحمه الله.

الحلال من أهم مقتضيات الإيمان؟ ألا يقبح في الإيمان تحريم الحلال أو تحليل الحرام؟ ، فإذا كان الحل والجواز بمثل هذه الأهمية، فكيف تكون السنة التي تدل على هذا الحل وهذه الإباحة سنة غير شرعية؟!!»^(١).

ثالثاً: إدراج ما جاء في السنة من مسائل باب (المعاملات) ضمن السنة غير الملزمة بحجّة أنها من أمور الدنيا التي نحن أعلم بها جرم عظيم، ذلك أنَّ كل ما بينه الرسول ﷺ وجاءت به سنته فهو من أمور الدين التي يجب على كل مسلم الالتزام بها، ومما يؤكد ذلك أمران:

الأول: أنَّ النبي ﷺ لم يُبَيِّنْ لنا فرقاً واضحاً في سنته بين أمور الدنيا وأمور الدين، ولو كان مثل هذا التقسيم حقيقة قائمة لاوضحة لنا كيف نميز بين القسمين تمييزاً لا نقع معه في لبس؛ لأنَّ الحاجة ماسة لمثل هذا التمييز، فلما لم نجد بياناً عنه ﷺ مع قيام الحاجة إليه تأكيناً أنَّ هذا التقسيم إلى سنة خاصة بأمور الدين وسنة خاصة بأمور الدنيا تقسيم لا وجود له. وحتى أولئك الذين ولدُوا همهم هذا التقسيم لم يستطع أحد منهم أن يقدم معياراً صحيحاً للتمييز بين ما ظنوه سنة شرعية وغير شرعية.

الثاني: أنَّ الصحابة والتابعين وأئمة المجتهدین والفقهاء خلال أربعة عشر قرناً من الزمان لم يُعرف عن أحد منهم أنه ردَّ سنة من سنن الرسول ﷺ بحجّة أنها خاصة بأمور الدنيا، مع تنوع أقوالهم، وردَّ بعضهم على بعض عند تعارض الأدلة^(٢).

رابعاً: تصرفات الرسول ﷺ في القضاء والإمامـة إنما هي تشريع يلزم العمل

(١) «مفهوم تجديد الدين»: (ص/٢٤٦) لبساطي سعيد. وانظر: «الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية-دراسة نقدية»: (ص/٢٧٣-٢٧٤).

(٢) «مفهوم تجديد الدين»: (ص/٢٥٢)، وانظر: «مناقشة هادئة لبعض أفكار الدكتور حسن الترابي»: (ص/٨٢-٨١) للأمين الحاج احمد.

به، وأما ما ذهب إليه الإمام القرافي من تقسيمه تصرفاته بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إلى أربعة أقسام: تصرفات بوصفه رسولاً، وبوصفه مفتياً، وبوصفه قاضياً، وبوصفه إماماً(رئيس دولة)، فليس فيه أدنى حجة على ما ذهب إليه الليبراليون من اعتبار تصرفاته في القسمين الآخرين ليست من السنة التشريعية الملزمة، ذلك لأنَّ من تمَّن فيما ذكره الإمام القرافي يتضح له أنَّ مقصوده بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من تقسيماته تلك «هو التفرقة بين الأمور الخاصة بالسلطة التنفيذية والتي لا يجوز للأفراد العاديين مباشرتها، والأمور الخاصة بالسلطة القضائية والتي لا يجوز لعام الأفراد ممارستها إلا بعد حكم قضائي وإذن، وبين الأمور التي ترك للناس الحرية في التصرف فيها دون حاجة إلى إذن من السلطات. فالمقصود من كلام القرافي البحث عن ذلك في تصرفات الرسول بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بياناً للاختصاصات، وتوزيعاً للسلطات، وحصرًا لما يدخل تحت اختصاص كل سلطة من سلطات الدولة»^(١).

ولا يفهم من كلامه بحالٍ أن تصرفات الرسول في قسمي الإمامة والقضاء ليست تشريعية، بل إنَّ صفة الرسالة وهي الوظيفة التشريعية لا تفارق الرسول حتى وهو حين يتصرف باعتباره رئيس دولة، أو حين ترفع إليه الخصومات ويقضى فيها بوصفه قاضياً، فهو حين يقسم الغنائم، أو حين يقيم الحدود، أو حين يعلن الحرب وكل ذلك من تصرفات الإمام (رئيس الدولة)- تشريعه في هذه الأمور تشريع لازم لكل إمام بعده وكذلك أحکامه القضائية»^(٢).

خامسًا: حديث تأبير النخل الذي ينطلق منه الليبراليون في ذلك التقسيم المحدث، هو برواياته المتعددة لا يجوز الاحتجاج به على أنَّ من سنته بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ما لا يُعدُّ تشريعًا ملزماً؛ لأنَّه خارج محل النزاع لسبعين:

(١) انظر: «الإحکام في تمیز الفتوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام»: (ص/ ٨٦، ١٠٨).

(٢) انظر: «مفهوم تجديد الدين»: (ص/ ٢٥٦-٢٥٧)، و: «الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية- دراسة نقدية»: (ص/ ٢٧٤).

أحدهما : أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يصدر عنه في هذا الحديث أمر لقوم بترك التلقيح ، ولم يصدر منه خبر أنَّ التلقيح مفيد أو غير مفيد ، بل هو قد ظنَّ ظنًا وغلط القوم في فهم هذا الظن فتركوا التلقيح بناء عليه . ونجد هذه الحقيقة صريحة في رواية موسى بن طلحة عن أبيه قال : « مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْمٍ عَلَى رُؤُوسِ النَّخْلِ فَقَالَ : مَا يَضْنَعُ هُؤُلَاءِ ؟ فَقَالُوا : يُلْقَحُونَهُ يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الْأُنْثَى فَيَلْقَحُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا أَظْنُنُ يُعْنِي ذَلِكَ شَيْئًا قَالَ : فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَالَ : إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَضْنَعُوهُ فَإِنَّمَا ظَنَّنْتُ ظَنًا فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا فَخُذُوهُ بِهِ فَإِنَّمَا لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »^(١) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موضحاً ذلك : « هُوَ عَلَيْهِ لَمَّا رَأَهُمْ يُلْقَحُونَ النَّخْلَ قَالَ لَهُمْ : مَا أَرَى هَذَا يُعْنِي شَيْئًا ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : إِنَّمَا ظَنَّنْتُ ظَنًا فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللَّهِ فَلَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ » وَقَالَ : « أَنْتُمْ أَغْلَمُ بِأَمْوَارِ دُنْيَاكُمْ فَمَا كَانَ مِنْ أَمْرٍ دِينِكُمْ فَإِلَيَّ » وَهُوَ لَمْ يَنْهَاهُمْ عَنِ التَّلَقِّيْحِ لِكِنْ هُمْ غَلِطُوا فِي ظَنِّهِمْ أَنَّهُ نَهَاهُمْ كَمَا غَلِطُوا فِي ظَنِّهِمْ أَنَّ (الْحَيْطَ الْأَبَيَضَ) وَ(الْحَيْطَ الْأَسْوَدَ) . هُوَ الْحَيْلُ الْأَبَيَضُ وَالْأَسْوَدُ »^(٢) .

ويؤكد الإمام التوسي رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الحقيقة ، فيقول : « قال العلماء : ولم يكن هذا القول خبراً ، وإنما كان ظنًا »^(٣) .

الثاني : أنَّ مسألة تلقيح النخل تُعدُّ من أمور معايش الدنيا التي لم يتعرض لها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيان ، والتي يتعامل معها المرء بحسب خبرته ويكون هو أعلم بها ، شأنها في ذلك شأن خياطة الملابس وصنع السيوف والدروع ونصب الخيام وطبع الأطعمة . . . ، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض روايات الحديث : « إِذَا كَانَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ

(١) آخر جهه مسلم في « صحيحه » (كتاب الفضائل ، باب وجوب امثال ما قاله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) شرعاً ، ١٥ / ص ١١٦ - ١١٧ .

(٢) « مجمع الفتاوى » : (١٨ / ١٢) .

(٣) « صحيح مسلم » : (١٥ / ١١٦ - بشرح التوسي) .

دنياكم فشأنكم به»، وقال: «أنتم أعلم بأمر دنياكم». والنزاع إنما هو في المسائل التي أقرّها النبي ﷺ أو فعلها أو صدرت فيها الأوامر والنواهي منه وأقرّ عليها قبل وفاته^(١).

يقول د. الشريف حاتم بن عارف العوني -وفقه الله- : «ومن هنا أدخل في الجواب عن الحديث الذي جعله بعضهم مُتَكَأً لرَدِّ كثير من السنن الثابتة عنه ﷺ، لا من جهة عدم صحتها عنه ﷺ عندهم، وإنما من جهة أنها اجتهاد قابل للصواب والخطأ . فهم قد لا يعارضون في الثبوت ، بل قد يقررون أن النبي ﷺ قد قال ذلك الحديث؛ لكنهم يعارضون في وجوب التصديق بما تضمنه ذلك الحديث ، وفي العمل بما دلّ عليه ؛ لأنَّه عندهم ليس من السنة التي هي وحي .

وهذا الحديث هو حديث عائشة وأنس : أن النبي ﷺ مرّ بقوم يلقحون ، فقال : «لولم تفعلوا الصَّلَحَ» ، فخرج شيئاً ، فمرّ بهم فقال : «ما لنا خلكم؟!» ، قالوا : قلت كذا وكذا ، قال : «أنتم أعلم بأمر دنياكم» . (آخرجه مسلم : رقم ٢٣٦٣).

وفي لفظ آخر لهذا الوجه من أوجه روايات الحديث : فقال : «لو لم يفعلوا الصَّلَحَ ذلك» ، فأمسكوا ، فلم يأْبُرُوا عامتَه ، فصار شيئاً . فذُكر ذلك للنبي ﷺ فقال : «إذا كان شيءٌ من أمر دنياكم: فشأنكم ، وإذا كان شيءٌ من أمر دينكم: فإليّ» (آخرجه الإمام أحمد : رقم ١٢٥٤ ، ٢٤٩٢٠ ، وابن ماجه : رقم ٢٤٧٠ ، وابن حبان : رقم ٢٢).

ووجه دلالة هذا الحديث على ما يستدل به القوم المشار إليهم آنفًا : أنه صريح في أنَّ النبي ﷺ يجتهد في أمور الدنيا ، وأنَّه ﷺ لذلك قد يخطئ ، وبناءً على ذلك وضع قاعدةً عامةً لنصوصه المتعلقة بأمور الدنيا ، وأعلمنا أنَّ الأمر فيها راجع إلى تحقيق المصلحة التي يعرفها أهل الدنيا ، وأنَّه لا يلزمنا فيها اتباع أمره ﷺ ، وذلك عندما قال : «أنتم أعلم بأمر دنياكم» ، وقال : «إذا كان شيءٌ من أمر دنياكم:

(١) انظر : «مفهوم تجديد الدين» : (ص / ٢٤٧ ، ٢٤٩).

ف شأنكم ، وإذا كان شيء من أمر دينكم : فإليّ ». .

هذا الحديث هو عمدة فئامٍ كبيرٍ ممَّن رَدُوا عَامَةَ السَّنَةِ أو قَدْرًا مِنْهَا ، وجعلوه أصلًا ما أكثر ما يلهجون به في مقالاتهم وبحوثهم ، وكأنَّه أصل الأصول ، وأصح منقول !!

وأول ما يؤخذ على هؤلاء هو هذا الاعتماد المبالغ فيه وفي دلالته ، حيث جعلوا هذا الحديث الوحيد أساساً ترجع النصوص إليه ؛ وكأنَّه هو المُحْكَمُ الذي تؤول إليه كل نصوص القرآن والسنة التي تقدم قطرةً من بحرها ، وغرفةً من نهرها !! وهذا خطأً منهجيًّا ، لا من جهة أنه نصٌ واحد مقابل عشرات ... بل مئات النصوص ، بل من جهة أنَّهم لم يُمعنوا النظر في ألفاظ الرواية ، لينظروا هل هي دالة على ما يريدون ، أم لا تدل ؟ وهذا الخطأ كان سيكون مقبولًا ، لو لم يكن هذا الاستدلال يخالف جميع تلك النصوص . أما وقد خالفها ، فكان هذا يوجب عليهم عميق النظر والدراسة .

و قبل الدخول إلى مناقشتهم في انتقائِّهم لأحد ألفاظ الرواية ؛ لأنَّها هي الرواية التي يُؤيد لفظُها مُرادُهم ، أوَّلَةً مُبَاخَثَتِّهم في أصل استدلالهم باللفظ الذي أوردوه واستدلوه به :

فأقول لهم : ما المراد بأمر الدنيا الذي يجعلونه مما لا يرجع فيه إلى السنة ؟ حيث إنه يدخل في أمر الدنيا كلَّ ما لا يدخل في أمر العقائد والعبادات المحسنة كالمعاملات : من بيع وشراء ، ونكاح وطلاق ، وآداب للحديث واللباس والطعام والشراب وعموم الأخلاق ... وغير ذلك . فإن قالوا : المقصود جميعُ ما ذُكر ، لدخوله تحت دلالة قوله (أمر الدنيا) ، كان هذا القول منهم دليلاً على سقوط فهمهم وبطلانه ؛ لأنَّه خالف قطعيات الكتاب والسنة الدالة على وجوب طاعة النبي ﷺ فيما ذُكر من أمور المعاملات والأداب والأخلاق ، وخالف أيضاً إجماع العلماء : فهذه كتب الفقه على جميع المذاهب وكتب العلم لدى جميع

أهل العلم: حفيلة بنصوص السنة في ذلك، عظيمة العناية بالاحداث بنورها، مستضيئه بهدایتها. وإن قالوا: بل بعض ذلك دون بعض، كاحاديث الطب. قلنا: وما دليل هذا التخصيص؟ ثم إن الحديث الذي تحتاجون به ليس في الطب، بل النص الذي تعتمدونه ظاهر العموم (أمر الدنيا). فالتفصيص بلا دليل، دليل على بطلان ذلك القيل.

وبذلك نخلص أن هذا الفهم باطلٌ من أساسه؛ فلا عموم مقبول، ولا خصوص بالذي يُساعدُه الدليل؛ بل بطلان طرفيه أوضح من أن يحتاج إلى شيء من التطويل.

وهذا يكفي لانعقاد القلوب على خلاف هذا الفهم، وعلى أن نعلم علم اليقين أن معارضة النصوص القاطعة في الكتاب والسنة بهذا الفهم السقيم لهذا الحديث غير قويم.

فإن قيل: فما الفهم الصحيح لهذا الحديث؟

قيل: هو أن تجمع طرق الحديث، وتنظر في ألفاظه أولاً:

فقد روى هذا الحديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، قال: مررت مع رسول الله صلوات الله عليه وسلم بقوم على رؤوس النخل، فقال: «ما يصنع هؤلاء؟» فقالوا: يلْقَحونه: يجعلون الذكر في الأنثى فيلقيح، فقال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «ما أظن يُغْنِي ذلك شيئاً»، قال: فأخِبِرُوا بذلك، فتركوه. فأخَبَرَ رسول الله صلوات الله عليه وسلم بذلك، فقال: «إن كان ينفعهم ذلك فليصنعواه، فإني إنما ظنتُ ظناً، فلا تؤاخذوني بالظن». ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً، فخذوا به. فإني لن أكذب على الله عَزَّ ذِلْكَ» (آخر جه مسلم: رقم ٢٣٦١).

ورواه رافع بن خديج، فقال: قدم نبي الله صلوات الله عليه وسلم المدينة، وهم يأْبُرُون النخل (يقول: يلْقَحُون النخل)، فقال: «ما تصنعون؟» قالوا: كُنَّا نصنعه، قال: «العلكم لو لم تفعلوا كان خيراً»، فتركوه، فَنَفَضَتْ (أو نقصت)، قال: فذكروا ذلك له؛ فقال: «إنما أنا بشر، فإذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من

رأي، فإنما أنا بشر». قال عكرمة بن عمار (أحد رواة الحديث): أو نحو هذا.
 (أخرجه مسلم: رقم ٢٣٦٢، وابن حبان رقم ٢٣).

• وسنقف مع هذين اللفظين عدة وقفات:

أولاً: جاء التصريح في كلا اللفظين من النبي ﷺ أنه لم ينفهم عن تلقيح النخل إلا بناء على الاجتهاد، ووضح لهم ﷺ ابتداء أنه لا يقول ما ي قوله في ذلك اعتماداً على خبر السماء، بل اعتماداً على ظنه واجتهاده. فقد قال في رواية طلحة رضي الله عنه: «ما أظن يغنى ذلك شيئاً»، وقال في رواية رافع رضي الله عنه: «لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً»، ومن المعلوم أنه لو كان ما قاله في شأن تلقيح النخل وحيّاً لما قال: «أظن» ولا «العلم»، فهذا اللفظان قاطعان لمن سمعهما منه رضي الله عنه أنه لا يُخبر عن وحي السماء، وإنما يُخبر عن اجتهاده.

وهذا التنبية يوجب علينا التفريق بين نصّ نبوّي صريح بأنه اجتهاد غير مجزوم به، مثل هذا النص، ونص آخر صدر منه رضي الله عنه على وجه القطع وعدم الشك، فهذا حقّ مطلقاً، إلا أن يُصوّبه النبي رضي الله عنه بما يُوحى إليه من قرآن أو سنة.

ثانياً: أن الخطأ في هذا الحديث قد وقع من الصحابة الذين تركوا تلقيح النخل؛ لأنهم حملوا ظن النبي رضي الله عنه على عدم احتمال الخطأ، وكأنه وحي، فقدموا ظنه رضي الله عنه على ما علموه يقيناً من ضرورة تلقيح النخل !!

قال المناوي في (فيض القدير): «قوله: «إنما أنا بشر» يعني: أخطئ وأصيب فيما لا يتعلّق بالدين؛ لأن الإنسان محل السهو والنسوان، ومراوده بالرأي: في أمور الدنيا، على ما عليه جمّع. لكن بعض الكاملين قال: أراد به الظن؛ لأن ما صدر عنه برأيه واجتهاده وأقرّ عليه حجّة الإسلام مطلقاً».

وهذا الذي ذهب إليه هؤلاء الكاملون، هو الذي يدلّ عليه لفظ الحديث وسياقه، فاحرص أن تكون من الكاملين !! فإنك إن نظرت في لفظ الحديث برواياته السابقتين، تجد أنه رضي الله عنه أخبرهم بظنه المصرّح بأنه ظن، ثم لما أخذوا بظنه قال

لهم : «إنما ظنتُ ظنًا ، فلا تؤاخذوني بالظن» ، أي ما دمت قد صرحت لكم بأنني أظن فلا مؤاخذة عليَّ ، ثم إنه يَعْلَمُ اللَّهُ أَكْبَرُ جعل الذي يُقابل الظن : ما أخبر به عن الله تعالى ، فقال : «ولكن إذا حدثكم عن الله شيئاً فخذوا به». إذن فليس هناك إلا ظن أو وحي ، والظن هو ما صرَّح بكونه ظنًا ، والوحي ما قطع به وأقرَّ عليه ؛ لأنَّه يَعْلَمُ اللَّهُ أَكْبَرُ لا يُقرَّ على خطأ .

ويشهد لذلك أيضًا اللفظ الآخر ، فإنه يَعْلَمُ اللَّهُ أَكْبَرُ قال : «إنما أنا بشر ، فإذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذدوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأي ، فإنما أنا بشر» ، فتبين أنه قابل بين الدين والرأي (أي : الاجتهاد الظني) ، ولم يُقابل بين الدين والدنيا . والمعنى : أنَّ السنة التي من الدين (أي من الوحي) هي التي لم تكن باجتهاد ، ولن يُقال هي التي تكون في أمور الدنيا مطلقاً . فسياق الحديث دلَّ الصحابة على الطريقة التي يفرقون بها بين سنة الدين والرأي (الاجتهاد) ، ولم يأت في الحديث ما يفرقون به بينهما ؛ إلا تصريحه بأنه قال ما قال عن ظنَّ واجتهاد . فالحديث جاء للتفریق بين النص الذي يُصرَّح فيه بأنه ظن ، والنَّصُ الآخر القاطع .

أما ما اجتهد فيه النبي يَعْلَمُ اللَّهُ أَكْبَرُ وأخبر به جازماً ، ثم صوبه الوحي بعد ذلك ؛ فهذا وجْه آخر للتفریق بين سنة الوحي والاجتهاد منه يَعْلَمُ اللَّهُ أَكْبَرُ الذي ليس بوحي ، لأنَّ يُقال في هذا الوجه : إنَّ ما أقرَّ عليه النبي يَعْلَمُ اللَّهُ أَكْبَرُ فهو وحي ، وما صوبَ فقد عرفنا بالتصويب أنه ما قاله قبله ليس وحيًا .

وقد سبق أنَّ ما اجتهد فيه النبي يَعْلَمُ اللَّهُ أَكْبَرُ وصوبه له الوحي لا يختص بأمور الدنيا ، فقد اجتهد النبي في أمور الدين أيضًا وصوب الوحي له اجتهاده . فإنَّ كان مجرد تصويب الوحي لا اجتهاد يَعْلَمُ اللَّهُ أَكْبَرُ في أمور الدنيا سبباً لاعتقاد أنها ليست وحيًا ، فيلزم أن يكون تصويب الوحي لا اجتهاد يَعْلَمُ اللَّهُ أَكْبَرُ في أمور الدين سبباً لاعتقاد أنها ليست وحيًا أيضًا !! وهذا ما لا يقوله إلا غلاة أهل الضلال ؛ لأنه يخالف قطعيات الكتاب والسنة وإجماع علماء المسلمين وعواهم .

وبذلك نخلص أن الشرع المحفوظ ونوصوته المصنونة قد جعلا لنا وسليتين للتمييز بين: سنة الوحي التي لا تحتمل إلا الصدق وتوجب العلم أو العلم والعمل، وسنة الاجتهد التي تحتمل الصواب والخطأ.

وهاتان الوسليتان هما:

(١) ما صرّح النبي ﷺ فيه بأنه يقوله عن ظنّ واجتهد.

(٢) وما لم يُقرّه عليه الوحي، فصوبيه له. وما سوى ذلك وحيًّا مطلقاً، سواءً أكان في أمور الدين أو أمور الدنيا.

ولذلك لما سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية: «ما حدُ الحديث النبوي؟ أهو ما قاله في عمره؟ أم بعدبعثة؟ أو تشريعًا؟»، أجاب رَضِيَ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: «فكل ما قاله بعد النبوة وأقرّ عليه ولم ينسخ فهو تشريع، لكن التشريع يتضمن الإيجاب والتحريم والإباحة، ويدخل في ذلك ما دلّ عليه من منافع الطبّ...» (إلى أن قال:) والمقصود: أن جميع أقواله يستفاد منها الشرع، وهو رَضِيَ اللَّهُ لِمَا رَأَاهُمْ يَلْقَاهُونَ النَّخْلَ قال لهم: «ما أرى هذا يُغْنِي شِيئًا»، ثم قال لهم: (إنما ظننت طنًا فلا تؤاخذوني بالظنّ. ولكن إذا حدثكم عن الله فلن أكذب على الله)، وقال: (أنتم أعلم بأمور دنياكم، فما كان من أمر دينكم فإليّ)، وهو لم ينفهم عن التلقیح، لكنهم غلطوا في ظنّهم أنه نهاهم، كما غلط من غلط في ظنه أن الخيط الأبيض والخيط الأسود هو الجبل الأبيض والأسود». انتهى كلامه رَضِيَ اللَّهُ.

ثالثاً: قوله ﷺ في اللفظ الذي يحتاج به المخالفون: «أنتم أعلم بأمر دنياكم»، لم يأت مبتوراً بلا قصة، ولا كان هو اللفظ الوحيد الذي جاء به هذا الخبر، والروايات الصحيحة يفسّر بعضها بعضاً، بل هي أولى ما يُفسّر به الحديث.

فالنبي ﷺ عندما قال: «أنتم أعلم بأمر دنياكم»، إنما قاله لما صرّح لهم بالظنّ والاجتهد، وما دام هذا هو سياق الخبر، فالمعنى على هذا السياق: إذا أخبرتكم بالظنّ وكان عندكم يقينٌ بخلافه مما تعلموه من أمور دنياكم، فقدموه يقينكم بالأمر

الدنيوي على ظني فيه .

ومن ثَمَّ : لم يكن قوله ﷺ : «أنتم أعلم بأمر دينكم» قاعدةً عامةً في أمور الدنيا ، ولا يصح أن يُتصوَّر هذا في عموم العقلاة والحكماء أصلًا ، فضلًا عن النبي ﷺ . فإنه مما لا شك فيه أن النبي ﷺ كان له من العقل والحكمة ما يجعله باجتهاده أقدر على تسيير كثير من أمور الدنيا في السياسة العامة وترتيب أمر الدولة وإصلاح المجتمع وغير ذلك بما لا يصل إليه أعلمُ أهل الدنيا علمًا بها . فكيف يصح تصوَّر فهم المخالفين ، من أن قوله ﷺ : «أنتم أعلم بأمر دنياكم» قاعدةً عامةً في كل أمور الدنيا ؟ !! هلَا أتزلوا النبي ﷺ منزلة عامة العقلاة الذين لا بد أن يكون للواحد منهم من اليقين في أمور الدنيا اليقينياتُ الكثيرة !! إذن فيلزمهم أن لا يقولوا : إن ذلك النص قاعدةً عامة ، بل عليهم أن يقولوا : إن المقصود به بعض أمور الدنيا لا كلها ، أو بعض أخباره ﷺ عن أمور الدنيا لا كل أخباره ﷺ عنها . ثم لا بد بعد هذا التبعيض أن يبيّنوا كيفية تمييز هذا النوع من ذاك ، وإلا أدى عدم التمييز إلى إبطال الكل ، وما هذا في السوء إلا كالذي هربنا منه ، من إزوال النبي ﷺ دون منزلة بقية العقلاة ؛ لأن القولين أديا إلى رد كل أخباره ﷺ في أمور الدنيا ، وكان النبي ﷺ عندما قال لهم : «أنتم أعلم بأمر دنياكم» على هذا الفهم السقيم يُشرع لهم مخالفته في كل أمور الدنيا ، وكأنه يقول لهم : لا تطعوني في أمور دنياكم أبدًا ، إنما الطاعة في الدين فقط !!! وما أقبح هذا من فهم !! وما أسوأ أثره على الدين والدنيا !!!

ونحن نعلم أن هناك فرقاً بين أحکامه ﷺ في حوادث خاصة ، مما لا عموم لها ، كحكمه بين الخصوم للقضاء ، مما يُعتبر عنه العلماء بأنه حادثة عين لا عموم لها ، فهناك فرقٌ بين هذه وبين إطلاقاته العامة التي لا علاقة لها بفرد ولا اختصاص لها بأحد ، وإن كان بعضها قد جاء لسبب ، إذا العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

وهذه الأحكام الخاصة التي لا عموم فيها (كحكمه عليه السلام على سبيل القضاء والإمامية والسياسة) هي التي ربما عَبَرَ عنها العلماء بأمور الدنيا، التي لا يلزم أن تكون بوجي، بل التي قد يحكم النبي صلوات الله عليه وآله وسالم فيها بحكم ولا يُصوّب ويكون مخالفًا للواقع. لأن الخطأ في هذه الأمور لا يؤدي إلى خطأ في التصور للأمة كلها إلى قيام الساعة، ولا يفهم الناس منه أنه حكم يتعدى إلى غير من حكم له أو عليه، ولا يؤود إلى خلل في بلاغ الدين.

ولذلك علق القاضي عياض على حديث التأيير بقوله: «وقول النبي صلوات الله عليه وآله وسالم هنا للأنصار في النخل ليس على وجه الخبر الذي يدخله الصدق والكذب، فَيُنَزَّهُ النبِيُّ صلوات الله عليه وآله وسالم عن الْخُلْفِ فيه، وإنما كان على طريق الرأي منه، ولذلك قال لهم: «إنما ظنتنَا، وأنتم أعلم بأمر دنياكم» (قال القاضي): وحكم الأنبياء وأراوئهم في حكم أمور الدنيا حكم غيرهم، من اعتقاد بعض الأمور على خلاف ما هي عليه، ولا وصِمَ عليهم في ذلك، إذ همْ هُمْ متعلقة بالآخرة والملا الأعلى وأوامر الشريعة ونواهيها، وأمرُ الدنيا يُصادُها».

فانظر كيف جعل سبب عدم عَدَّ ما وقع منه صلوات الله عليه وآله وسالم في هذا الخبر خلْفًا للواقع هو أنه رأيٌ وظنٌ واجتهادٌ، ولم يجعل السبب أنه من أمور الدنيا. ولذلك لما ساوي بين الأنبياء وغيرهم في أحكام الدنيا ينبغي أن يُحمل قوله على أحد أمرين: إما على مساواة ظنهم واجتهادهم في احتماله الخطأ لظنّ غيرهم في مطلق هذا الاحتمال، وهو الذي يشهد له فاتحة كلامه. وإما أن يُحمل على حوادث الأعيان التي لا عموم لها، فاجتهادهم فيها غير معصوم.. لا ابتداء ولا انتهاء.

وكيف يفهم كلام القاضي عياض على خلاف ذلك، وقد نقلنا آنفًا كلامًا له يقطع بأنه لا يخالفه، والذي قال في خاتمه متحدثاً عن أقواله صلوات الله عليه وآله وسالم في أمور الدنيا: « وأنه صلوات الله عليه وآله وسالم معصومٌ من الْخُلْفِ، هذا فيما طرقه الخبر المحسن، مما يدخله الصدق والكذب».

فالجمعُ بين قوله **يُبَيِّنُ مُرَادَه** بوضوح، خاصةً مع تنبئه **نَحْمَلُهُ** أن كلام النبي ﷺ في تأثير النخل لم يكن خبراً أصلاً، وإنما كان ظناً؛ لأن الخبر هو الذي يتحمل التصديق والتكذيب، وأمّا الظن فلا يتحملهما، وإن كان يتحمل التخطيء والتوصيب. وهذا هو الفرق بين: القول الجازم وهو الخبر المحسن، فلا يصح اعتقاد خلفه؛ لأن الخلف فيه يدل على التكذيب. وأمّا الظن والاجتهاد فاعتقاد الخلف فيه لا يدل إلا على اعتقاد الخطأ، فلم يكن فيه معارضة لمقام النبوة.

رابعاً: في هذا الحديث (حديث تأثير النخل) حجّة قوية على المخالفين، من جهة إظهار الفهم الذي كان مستقرّاً في قلوب الصحابة رضي الله عنهم، ولو كانت في أمير من أمور الدنيا. فإنهم **لَمْ يَرْشَدُوا** ما إن سمعوا بإرشاده في ترك التأثير، حتى سارعوا بتركه دون مراجعة، وهم أهل النخل العارفون بضرورة تأثير النخل لإصلاحه. فقدمو ما فهموا أنه جزم منه **نَحْمَلُهُ**، فرجحوه على يقينهم؛ لأن اليقين المتلقّى عن الوحي أقوى من أي يقين سواه؛ فإن الله قادر على تبديل السنن، والسنن لا تخالف أمر الله تعالى.

ثم إن النبي ﷺ لم يخطئهم في اتباعهم لأمره، ولو كان من أمور الدنيا، بل خطأهم في عملهم بظنه الذي صرّح لهم فيه أنه مجرد ظن: «إني إنما ظنت ظناً، فلا تؤاخذوني بالظن». وقد تقدّم بيان هذا، أن خطأهم في اتباعهم الظن مع معارضته ليقينهم، لا في اتباعهم له في أمر من أمور الدنيا.

الصحابي رضي الله عنه قد بلغ تعظيمهم لأمر النبي ﷺ في أمر الدنيا والدين، أنهم قدمو ظنونه **لِيَقِينَاهُم**!! ما أبعد هذا ممّا أراد أن يقدم ظنون نفسه على يقينياته **نَحْمَلُهُ**!! وهي كل خبر جازم أقره الله تعالى عليه، سواء أكان في دين أو دنيا.

... وهذا الذي كان عليه الصحابة من طاعة النبي ﷺ في كل أمر، سواء في الدين أو الدنيا، أكثر من أن يحتاج إلى انتزاع دليل عليه، أو أن تنصّب في تسوييد صفحات فيه.

وما زال علماء الملة كذلك، وهذه مصنفاته من الموطأ للإمام مالك (ت ١٧٩ هـ)، إلى المسانيد والمصنفات، إلى كتب الصحاح والسنن كلها لا تفرق بين أحاديث النبي ﷺ في أمور الدنيا عن أمور الدين، منْ كان يبوب بباب ما يدل عليه لفظها، ومن كان لا يبوب بوردها بالسياق الذي يورد فيه غيرها من السنن، فلا أمور الدنيا عندهم بدون أمور الدين في وجوب التثبت لها والتحرى في شأنها، ولا تجنبوا العناية بتدوينها وكتابتها، بل هي أحاديث النبي ﷺ، كلها عندهم سواء. بل نصوا على التساهل في أحاديث الترغيب والترهيب والفضائل، ولا نصوا على التساهل في أحاديث الطلب مثلاً»^(١).

كذلك ونختتم الكلام في هذا الحديث بكلام نفيس للشيخ أحمد شاكر رحمه الله حيث يقول:

«وهذا الحديث مما طنطن به ملحدو مصر، وصنائع أوربة فيها من عبيد المستشرين، وتلامذة المبشرين، فجعلوه أصلًا يحججون به أهل السنة وأنصارها، وخداع الشريعة وخدعاتها، إذا أرادوا أن ينفوا شيئاً من السنة وأن ينكروا شريعة من شرائع الإسلام في المعاملات وشؤون الاجتماع وغيرها يزعمون أنَّ هذه من شؤون الدنيا، يتمسكون برواية أنس: أنتم أعلم بأمر دنياكم «والله يعلم أنهم لا يؤمنون بأصل الدين، ولا بالألوهية، ولا بالرسالة، ولا يصدقون القرآن، في قراره نفوسهم، ومن آمن منهم فإنما يؤمن لسانه ظاهراً، ويؤمن قلبه فيما يُخَيِّلُ إليه، لا عن ثقة وطمأنينة، ولكن تقليداً وخشية، فإذا ما جد الجد، وتعارضت الشريعة، الكتاب والسنة، مع ما درسوا في مصر أو أوربة، لم يتربدوا في المفاضلة، ولم يحجموا عن الاختيار، فَصَلُّوا ما أخذوه عن سادتهم، واختاروا ما أشربته قلوبهم! ثم ينسبون نفوسهم بعد ذلك، أو ينسبهم الناس إلى الإسلام!! والحديث

(١) في دراسة علمية له بعنوان: «السُّنَّةُ وَشَيْءٌ مِّنْ رَبُّ الْغَالِبِينَ فِي أَنْزَلِ النُّبُّوَّةِ وَالدُّنْيَا» [٢/٢]، منشورة في (موقع الإسلام اليوم)، الثلاثاء ١٨ شعبان ١٤٢٧ الموافق ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٦.

واضح صريح، لا يعارض نصاً، ولا يدل على عدم الاحتجاج بالسنة في كل شأن؛ لأنَّ رسول الله لا ينطق عن الهوى، فكل ما جاء عنه فهو تشريع، **﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾** [النور: ٤٥]، وإنما كان في قصة تلقيح النخل أن قال لهم: «ما أظن ذلك يعني شيئاً» فهو لم يأمر ولم ينه، ولم يُخَبِّر عن الله، ولم يسن في ذلك سنة، حتى يتسع في هذا المعنى إلى ما يهدم به أصول التشريع، بل ظنٌ، ثم اعتذر عن ظنه، قال: «فلا تواخذوني بالظن» فأين مما يرمي إليه أولئك؟ هدانا الله وإياهم سوء السبيل^(١).

-أقوال الليبراليين في هذا الجانب:

يقول يوسف أبا الخيل: «هكذا ينظم ابن المقفع^(٢) العلاقة بين الشأن المدني والديني بتحديد مجال وحدود كلٍّ منها مما يؤدي إلى فك الإشكال بينهما بشكل سليم، ومن الواضح أنه يقصد بكلمة هذا أن كل ما من شأنه تنظيم العلاقة بين الإنسان وبين ربه (العبادات المفروضة عليه مثلاً) فهو خاص به لا يجوز لأحد أن يتدخل فيها ما لم يكن في تنظيمها مصلحة ظاهرة للمجتمع كالحجج مثلاً، أما ما شأنه المعاملات على اختلاف أنواعها سواء منها ما يختص بعلاقة أفراد المجتمع بعضهم ببعض (السياسة الداخلية) أو سواء ما يتعلق منها بعلاقة الدولة بغيرها من الدول (السياسة الخارجية) فهي أمور مدنية صرفة متزوك أمر تدبيرها وفق الصالح العام والمصلحة الوطنية للحاكم أو الحكومة بشكل عام . . . هذا التكيف الرائع لمسألة ظلت شائكة وعصبة الفهم على الفكر العربي إلى اليوم يتفق في تقديري مع ما أرشد الرسول ﷺ صحابته إليه لفك مثل هذا الإشكال عندما يعترضهم في

(١) «مستند الإمام أحمد»: (٢/ ٣٦٤-٣٦٥-الهامش)، تحقيق وشرح الشيخ أحمد شاكر رحمه الله.

(٢) أرأيت أخي القارئ كيف أنَّ القوم ينطلقون في تقرير باطلهم من نظريات أناس مشبوهين متهمين بالزندة؟

وَصَدَقَ مَنْ قَالَ: إِنَّ الظُّبُورَ عَلَى أَشْكَالِهَا تَقْعَ.

حياتهم، ففي مسند الإمام أحمد بن حنبل عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: (سمع رسول الله ﷺ أصواتاً فقال ما هذا؟ قالوا يلقحون النخل فقال لو تركوه فلم يلقحوه لصلاح، فتركوه فلم يلقحوه فخرج شيئاً، فقال النبي ﷺ ما لكم؟ قالوا تركوه لما قلت، فقال رسول الله ﷺ إذا كان شيء من أمر دنياكم فأنتم أعلم به، أمّا ما كان من أمر دينكم فإليّ)، إذاً أمر الدين يُرجع فيه إلى ما شرعه ﷺ وهو كمارأينا يتحقق عملياً -وفقاً لنظرية ابن المقفع- في أمر الفرائض والحدود وجميع العبادات التي يجعلها العبد جسراً لعلاقته مع خالقه ﷺ، أما ما كان من أمر الدنيا، أو من الشأن المدني كما في اللغة المعاصرة فيُرجع فيه إلى المصلحة الراجحة التي يقررها الإمام أو الحكومة التي تنطلق في تأطيرها وتكييفها بما يتفق والصالح العام الذي يختلف باختلاف ظروف الزمان والمكان، وليس من العقل ولا من الشرع أن يترك أمر تقريره لأحد الناس أو جمعهم اتكاء على تقرير ما إذا كان فيه ثمة مخالفة أم لا ، فالتشريع النظمي أو القانوني له من قبل الدولة معناه اكتسابه صفة الإلزام بطاعته والالتزام بمحدداته»^(١).

* * *

(١) في مقال له بعنوان (العلاقة بين الديني والمدني عند ابن المقفع)، نشر في (جريدة الرياض) بتاريخ: الخميس ٢٤ رمضان ١٤٢٦هـ - ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٥م-العدد: (١٣٦٣٩).

المعلم الثاني: موقفهم من قضايا

العقيدة وأصول الدين الكبرى

١- موقفهم من قضايا التوحيد والإيمان:

موقف الليبراليين من قضايا التوحيد والإيمان موقف في غاية القبح والشّناعة، حيث يلوح في مقالاتهم التهويون والتقليل من شأن قضايا التوحيد، بل وصل الأمر لبعضهم إلى درجة الاستخفاف والسخرية بهذا الأصل العظيم الذي قامت من أجله السموات والأرض.

كما أنّهم حَرَفُوا مفهوم الإيمان، وأخرجوه عن مدلوله الشرعي الذي جاء واضحاً بيّنا في نصوص الوحيين، كذلك فإنّك تلحظ في كتابات بعضهم التزعة الإلحادية المادية كقولهم: إنَّ الطبيعة هي التي تعطي، والطبيعة هي التي تمنح !!.

-أقوال الليبراليين في هذا الجانب:

أ-يرى محمد محمود أنَّ تطبيق التوحيد على أرض الواقع من المنظور السلفي بقارب الهوس الإيديولوجي ، حيث يقول : «إنَّ السلفية التقليدية المتغلغلة في أعماق وعيانا الاجتماعي والثقافي ، تزعم أنَّ(التوحيد) هو مرتكز خطابها ، وأنها -كخطاب أيديولوجي نشط- تسعى للقضاء على مظاهر التوئن ، أيًّا كانت تظاهراتها في المجتمع ، وهذا الزعم يكاد -إيًّا محاولة موضعته في الواقع- يقارب درجة الهوس الإيديولوجي ، أو يتم من خلاله ممارسة سلوك النفي (المفاسدة) للآخر الإسلامي في الداخل والخارج ، تحت وعاء التمذبب والافتراق»^(١).

(١) كتاب الرياض الإلكتروني "حروف وأفكار": (ص/١٧) لمحمد بن علي محمود، في مقال له بعنوان (التقليد والتؤين)، وقد نُشر في جريدة الرياض بتاريخ: ١/٩/٢٠٠٥ م.

كما يقول: «ربما كان من قدر المرأة لدينا، أن تواجه أكثر من سور منيع، يحول بينها وبين الحصول على أقل القليل من حقوقها الفطرية، تلك الحقوق التي منحتها إياها الطبيعة ابتداء»^(١).

وها هو محمود يضع لـ«تأسیسًا غریبًا» لمعنى الإيمان ومدلوله بعيدًا عن المعنى الشرعي المنصوص عليه، حيث يجعل الإيمان مرتبطا بالإنسان والعلم المادي، قائمًا عليهما كما هو الشأن في عصر التویر الأوروبي، يقول: «لم ينهض التویر الأوروبي المجيد، الذي أخرج الإنسانية من ظلمات الجهل والتخلّف والانحطاط، إلى نور العلم والتقدم والمدنية الإنسانية، إلا على إيمان راسخ وعميق بهذا الإنسان، إيمان متفائل، يتکنّ على فعالیات عقلية، ومعطیات تجربية من عالم الواقع المادي، ولكنه - قبل ذلك وبعده - يکاد يكون عقيدة کلية، تستولي على مشاعر أولئک الفلسفه العظام، في عصر النهضة الأوروبي».

ويقول في نفس السياق: «... وإذا كان هذا الإيمان هو الروح العام، الذي سرى في خلايا الإنسان الأوروبي آنذاك، ومکنه من انجاز الوعد الحضاري، فإن وجود بعض الأصوات التي تشکك بالإنسان - بخيريته وبقدرته - لم تكن لتوقف مسيرة الإنسان المؤمن. كانت تلك الأصوات لا تعبر عن المکنون العام، ومن ثم، لم تعرقل المسيرة. ومن تأمل هذا التشکك، وجد أنه يتکاعد في أوقات الأزمات، وخاصة الحروب التي تضع الإنسانية على حافة الهاوية. لكنها سرعان ما تراجع أو تخفت أو تقل درجة تأثيرها عندما تتعافى المسيرة، وتنهض من كبوتها».

وبقى التاريخ شاهدًا وحكمًا عدلاً على أن الإيمان بالإنسان هو المنتصر دائمًا. والديمومة هنا لا تعني عدم وجود فترات الانكسار والتراجع، بل إن وجود

(١) في مقال له بعنوان «المرأة... من الإيديولوجيا إلى الإنسان»، نُشر في جريدة الرياض، بتاريخ: الخميس ٢٤ المحرم ١٤٢٧هـ - ٢٣ فبراير ٢٠٠٦م - العدد: (١٣٧٥٨).

هذه الفترات الاستثنائية في تعثرها المتشكك ، والتي تستطيع المسيرة تجاوزها ،
هودليل على حقيقة الانتصار الإنساني»

ويقول: «درجة الإيمان بالعلم الذي يصنع المعجزات للإنسان ، كانت قبل
قرنين أقوى مما هي عليه الآن في وعي الطلائع المثقفة . كانت الحالة الأوروبية
نموذجية في وعي تلك الطلائع ، بحيث تستحق الاحتساء والتماهي . لكن ، كان
النفس القومي والإسلامي لهذا الوعي التقدمي بالمرصاد ، بل كانت الإسلامية
- فيما بعد - كارثة على هذا الاتجاه التقدمي الصاعد»^(١) .

ب- يقول ابن بجاد العتيبي -تعليقًا على حديث جبريل ﷺ : «ولنأخذ أمثلة
على الزيادات التي أدخلها المتصارعون على النص ليبرروا بها رغباتهم
وأهدافهم ، فمن ذلك نجد الحديث السابق يقول: (أن تشهد أن لا إله
إلا الله) ، غير أنَّ المتصارعين لم يجدوا هذه العبارة كافية بالنسبة لهم للحكم
بالإيمان والإسلام ، بل رأوا أنه يجب أن تتم تجزئتها إلى جزءين كحد أدنى:
الجزء الأول (لا إله) والجزء الثاني (إلا الله) ، ثم تأتي مرحلة الشحن التأويلي
ومرحلة التعبئة التفسيرية ، فيكون الجزء الأول: (لا إله) المقصود به هو «الكفر
بالطاغوت» ونفي جميع «الأديان» و«التآویلات» الأخرى ، ويضاف لذلك تكفير
المخالفين وقتالهم والبراءة منهم ، ثم يأتي دور الجزء الثاني: (إلا الله) لتنتم
تعييتها كالتالي: أي لا معبد بحق إلا الله ، أو لا موجود إلا الله ، أو غيرها من
التفاسير المشحونة والملغومة التي اختلفت باختلاف المدارس والفرق
والمنادين والطوائف ، وعلى هذا فقس .

وإذا كان هذا جزءاً من التشويه الأيديولوجي لأهم مبدأ في الإسلام
(الشهادتين) فما بالك بما دون ذلك من عقائد وشعائر ، من روحانيات

(١) في مقال له بعنوان: (المستقبل لهذا الإنسان) ، نُشر في جريدة الرياض ، بتاريخ: الخميس ١٦ صفر
١٤٢٧ هـ - ١٦ مارس ٢٠٠٦م - العدد: (١٣٧٧٩).

ولسلوكيات ، من عبادات ومعاملات !»^(١).

جـ- يقول يوسف أبا الخيل : « أما موقف الإسلام من اليهود ، فمن المعلوم أن النبي ﷺ اعتبرهم ، عندما انتقل إلى المدينة ، من ضمن رعايا دولته ، وذلك بأن آخى بينهم وبين المسلمين من خلال عقد صحيفية المدينة التي ضمنت لهم حقوقهم بالمساواة مع المسلمين . وفوق ذلك أشارت إليهم الصحيفة بلقب ديني محب إليهم (يهود) ولم تعتبرهم الصحيفة كفاراً رغم بقائهم على دينهم . إلا أن الأمر اختلف عندما انبرت طوائف منهم لحرب الإسلام ومظاهرة مشركي قريش عليه وإخفائهم حقيقة الإسلام ونبيه اللذين يجدونهما مكتوبين عندهم في التوراة ، حيث نزل القرآن المدينة بتكفير المعادين منهم فقط ، من جنس قوله تعالى : ﴿لَتَعِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَّابًا لِّلَّذِينَ أَمْتَوْا أَلْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْهُ﴾ [المائدة: ٨٢] وقوله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِنْ قَبْلٍ يَتَنَاهُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [آل عمران: ٨٩] .

أما من لم يحارب الإسلام ، سواءً من الكتابيين الموحدين أو من أتباع العقائد الأخرى ، فلم يرميهم الإسلام بالكفر على الرغم من بقائهم على دينهم ، بل اعتبرهم من ضمن الفرق الناجية»^(٢) .

لعل أكتفي في هذا المقام بنقل تعقيب وردّ اثنين من كبار علماء البلد على هذين المقالين :

١- فتوى العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك - يحفظه الله - :

«الحمد لله . فإن من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن رسالة محمد ﷺ

(١) في مقال له بعنوان : «إسلام النص وإسلام الصراع» ، جريدة الرياض : الاثنين ٢٩ ذي الحجة ١٤٢٨هـ (حسب الرؤية) - ٧ يناير ٢٠٠٨م - العدد : (١٤٤٤).

(٢) في مقال له بعنوان : «آخر في ميزان الإسلام» ، جريدة الرياض : الأحد ٦ ذي الحجة ١٤٢٨هـ - ١٦ ديسمبر ٢٠٠٧م - العدد : ١٤٤١.

عامةً للبشرية كلها ، بل للثقلين الجن والإنس . فمن لم يقرَّ بعموم رسالته فما شهد أن محمداً رسول الله ، مثل من يقول : إنه رسول إلى العرب ، أو إلى غير اليهود والنصارى . ومقتضى عموم رسالته أنه يجب على جميع البشر الإيمان به واتباعه . سواءً في ذلك الكتابيون اليهود والنصارى ، أو الأميون وهم سائر الأمم . قال تعالى - ﴿فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنْ أَتَّبَعَنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمَمَنَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلُوا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بِصَرِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠] . وقال - تعالى - ﴿فَلْ يَتَأْتِيَهَا النَّاسُ إِلَيْ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] . وفي الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصةً ، وبعثت إلى الناس عامةً» . وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «والذي نفس محمدٌ بيده ، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة ؛ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ . ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» .

ومن هذا الأصل أخذ العلماء أن من نواقض الإسلام اعتقاد أن أحداً يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فمن زعم أن اليهود والنصارى أو غيرهم أو طائفة منهم لا يجب عليهم الإيمان بمحمد ﷺ ، ولا يجب عليهم اتباعه ، فهو كافر وإن شهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وبهذا يتبيّن أن (من زعم أنه لا يكفر من الخارجين عن الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ ، إلا من حاربه) ، أو زعم (أن شهادة ألا إله إلا الله لا تقتضي الكفر بما يعبد من دون الله ، والبراءة منه ومن عابديه ، ولا تقتضي نفي كل دين غير دين الإسلام مما يتضمن عدم تكثير اليهود والنصارى وسائر المشركين) فإنه يكون قد وقع في ناقض من نواقض الإسلام . فيجب أن يحاكم ليرجع عن ذلك . فإن تاب ورجع ، وإلا وجب قتله مرتدًا عن دين الإسلام ، فلا يغسل ولا يكفن ، ولا يصلى عليه ، ولا يرثه المسلمون . فنعود بالله من الخذلان وعمى القلوب ، فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور .

وإن من المؤسف المخزي نشر مقالات تتضمن هذا النوع من الكفر في بعض صحف هذه البلاد المملكة العربية السعودية؛ بلاد الحرمين. فيجب على ولاة الأمور محاسبة هذه الصحف على نشر مثل هذا الباطل الذي يشوّه سمعة هذه البلاد وصورتها الغالية. وليعلم الجميع أنه يشترك في إثم هذه المقالات الكفرية كل من له أثرٌ في نشرها وترويجه من خلال الصحف وغيرها، كرؤساء التحرير فمن دونهم كلّ بحسبي. فليتقوا الله وليقدروا مسؤوليتهم ومقامهم بين يدي الله. نسأل الله أن يهدي الجميع إلى صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين»^(١).

٢- ردُّ الشِّيخ العلامة صالح الفوزان على مقال (إسلام النص وإسلام الصراع) :

تجرأً كاتب في جريدة الرياض الصادرة يوم الاثنين ٢٩ ذي الحجة العدد ١٤٤٤ نكتب تحت عنوان: (إسلام النص وإسلام الصراع) متناولاً أعظم ثوابت الإسلام كلمة لا إله إلا الله كلمة الإخلاص كلمة التقوى، العروة الوثقى يحاول إبطال مدلولها الذي هو إفراد الله تعالى بالعبادة وترك عبادة ما سواه، تلك الكلمة العظيمة التي بعث الله بها رسالته فقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِّي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَأَعْبُدُونِ﴾ [الأنياء: ٢٥].

قال هذا الكاتب عن أهل التوحيد (إنهم جزءوا لا إله إلا الله جزئين الجزء الأول: (لا إله) والجزء الثاني (إلا الله) فيكون الجزء الأول: (لا إله) المقصود به هو الكفر بالطاغوت ونفي جميع الأديان والتآویلات الأخرى ويضاف إلى ذلك تكفير المخالفين وقتالهم والبراءة منهم ثم يأتي دور الجزء الثاني: (إلا الله) لتنم

(١) نقلًا عن موقع (الشيخ البراك)، و(شبكة نور الإسلام).

تعيّتها كالتالي: أي لا معبد بحق إلا الله أو لا موجود إلا الله أو غيرها من التفسيرات المشحونة - كما قال - والملجمة التي اختلفت باختلاف المدارس والفرق والمذاهب والطوائف وعلى هذا فقس وإذا كان هذا جزء من التشويه الأيدلوجي لأهم مبدأ في الإسلام فما بالك بما دون ذلك).

أقول: هكذا يريد هذا الكاتب أن يبطل مدلول لا إله إلا الله الذي هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالظَّلْمَوْتِ وَيَؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ أَسْتَسْكَ بِالْعِزَّةِ الْوَنْقَنَ لَا أَنْفِصَامَ لَهُ﴾ [البقرة: ٢٥٦] والمدلول الذي وضّحه الله تعالى بقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشَرِّكُونَ﴾ [٣٣] إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ [٣٤] إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ [٣٥] وَيَقُولُونَ أَيْنَا لَنَا رَبُّنَا إِلَهُنَا إِلَهَنَا تَبَعَّدُنَّ بِنَجَّةٍ يَأْتِيَنَّ حِلْقَ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ [٣٦] [الصفات: ٣٧-٣٣] وقال عن الكفار: ﴿وَقَالَ الْكُفَّارُ هَذَا سِحْرٌ كَذَلِكَ [٣٧] أَجْعَلَ الْآيَةَ إِلَيْهَا وَجِدًا إِنْ هَذَا لَشَفَاعَ عَبْدٍ [٣٨] وَأَنْطَلَقَ الْمُلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آتَشْوَا سِحْرًا وَأَعْلَمَ إِلَهَتِكُمْ﴾ [ص: ٤-٦] وقال سبحانه عن البراءة من المشركين فيما ذكره عن إبراهيم الخليل [٣٩]: ﴿وَلَرَبِّ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠] وقال عن محمد ﷺ: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩] وقال سبحانه عن المسلمين: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [٣١] [الروم: ٣٢-٣١] وقال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿أَتَرَبَّ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ أَوْجَدَ الْفَهَارَ [٣٩] مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَإِبْرَأُوكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْهَا مِنْ سُلْطَنٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَرِئُمُ﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠] وقال سبحانه عن المخالفين لهذا الدين: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَاتَلُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةَ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَحْدَهُ﴾ [المائد: ٧٣] وأمر بقتالهم فقال سبحانه: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدُوكُمْ﴾ [التوبه: ٥] ﴿فَتَذَلَّلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبه: ٢٩] ﴿وَقَتَلُوكُمْ حَيْثُ لَا تَكُونُ فِتْنَةً وَلَيَكُونَ الَّذِينَ يُلْهُوكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٣] وأمر بالبراء منهم فقال سبحانه: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادِدُونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا مَأْبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وكل هذا يطله الكاتب، ويعتبره تشویها بجرة قلم - ولما خاف الكاتب من غيرة أهل التوحيد على عقيدتهم التي مزقها بقلمه شر ممزق قال: (من الطبيعي أن يثير هذا الطرح سدنة القديم وحراس السائد وجند المألف وأن يجعلوا بخيлем ورجلهم عليه وعلى طارحه لأنه يزعزع المكتسبات الكثيرة التي يتمتعون بها وينزع مخالب السلطة التي يتولون بها على الناس ويكسر سيفهم المصلحة على رقاب العباد).

وأقول له: أبشر بسوئك فلن يسكن المسلمون عن الدفاع عن عقيدتهم التي هي أعز شيء لديهم وستبوء بالفشل - إن شاء الله وما أنت إلا كما قيل:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل
فهذا دين الله الذي بعث به رسلاً من أولهم إلى آخرهم وتکفل بنصرته فقال
سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولًا إِلَيْهِمْ بِالْهُدَىٰ وَبِنِعَمٍ لِّظَاهِرَةٍ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواٰ وَلَأَكْرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبه: ٣٣].

ثم قال الكاتب: (سيكون على حاملي شعلة التغيير والمتشبسين بأمل التطوير أن يتحملوا لأواء المتشددين وأن يستوعبوا ردة فعل المتسرعين بالتراث البشري والملقين على أكتافه رداء القدسية حتى يصلوا بشعلتهم غايتها و يجعلوا أملهم واقعاً معيشَاً على الأرض) وصف أهل الحق بالتشدد بما فيهم الأنبياء.

وأقول له: قد قال من مضى قبلك: ﴿أَنْشَأُوا وَأَصْبَرُوا عَلَيْهِ الْهَمَزَكُ﴾ [ص: ٦] وما وصفته بأنه تراث بشري هو وحي منزل من الله قد سماه من قبلك: (أساطير الأولين) فلم يستطعوا صده والوقوف بوجهه والله تعالى يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَمْ لَهُنَّ بِحَفْظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

نسأل الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويخذل أعداءه إنه سميع مجيب. وصلى الله على نبينا محمد وآلـه وصحبه^(١).

(١) في مقال له بعنوان: «كفووا عدو انكم على الإسلام»، المصدر: (موقع فضيلة الشيخ صالح الفوزان)- الأربعاء ١ محرم ١٤٢٩ هـ الموافق ٠١/٠٩/٢٠٠٨ م.

٢- موقفهم من قضايا الولاء والبراء والحكم بما أنزل الله :

يتضح من خلال كتابات الليبراليين التحرير والتبدل والتشويه لهذه القضايا العقدية .

-أقوال الليبراليين في هذا الجانب :

أ- يقول مشاري الذايدي : «التصور الحقيقي للولاء والبراء أن يكون مربوطاً بمصلحة الأمة ومصلحة الدولة ومصلحة المجتمع ..»

تركي الدخيل [مقاطعاً] : من يحدد مصلحة .. ؟

مشاري الذايدي [متابعاً] : لحظة شوية ، لا يجوز أن تكون مربوطة بمصلحة جماعة معينة وأيدلوجية معينة »^(١) .

ب- يقول منصور النقيدان : «فتحن بحاجة إلى إسلام متصالح مع الآخر ، إسلام لا يعرف الكراهية للأخرين من أجل معتقداتهم أو توجهاتهم »^(٢) .

وقال في إحدى الإجابات : «نحن نحتاج إلى إسلام كإسلام الجيل الثالث اليوم من أبناء المسلمين في فرنسا »^(٣) .

ج- محمود ، ولتأمل هذا المقطع من الحوار :

الدخيل : «ما هي مظاهر في تقديرك للتغلغل الأيديولوجي الإرهابي في مظاهر .. في تيار التشدد الديني وعندنا تقصد عندنا في السعودية .

محمد محمود : مظاهرها ؟

تركي الدخيل : أي .

(١) انظر : «موقع قناة العربية»- برنامج إضاءات- بتاريخ ٢٢/٤/٢٠٠٤ م.

(٢) موقع النقيدان بالشبكة العنكبونية .

(٣) المصدر السابق .

«الآن لو تقرأ ما يكتبه منظري الحركة الإرهابية، أو يعني هم يسمونهم مشرعين لهم لو تقرأ ماذا.. أو بماذا أو ما هي المحددات التي يتکونون عليها لوجدنا أنها محددات موجودة عندنا متغلغلة في نسيجنا الاجتماعي هم فقط..»

تركي الدخيل: زي إيش ممكن تكلمنا علشان ما نصير نتكلّم بنظرية ما تصير واضحة، أنا مش واضحه لي وأعتقد وأظن أن كثير من المشاهدين مش واضحه لهم؟

محمد محمود: مثلاً مثل مسألة الولاء والبراء كمثال مثلاً، هذه تطرح لا شك أنها تطرح وتدرس حتى في كلياتنا الشرعية وفي..

تركي الدخيل: أنت ضد مسألة الولاء والبراء؟

محمد محمود: لا ، لست ضدها وطبعاً لست ضدها من حيث مفهومها العام باعتبار أن كل عقيدة تقوم على نوع من المفاصلة ومن التحيز لمجموعاتها ولمفرداتها حتى العقائدية الأصلية.

تركي الدخيل: طيب إذن أين تحفظك على الولاء والبراء؟

محمد محمود: لأ، هو في مسألة العداء والكره والبغض، هم الآن يدرس على أنه كره ويغض في الله»^(١).

د-أمام يوسف أبا الخيل، فيرى أنَّ الأخوة ينبغي أن تبني على أساس الإنسانية لا على أساس الدين والمعتقد، ولا ريب أنَّ هذا هو دين الماسونية الخبيث، وليس دين الإسلام الذي أنزله الله -جلَّ وعلا- على نبيه الكريم ﷺ، يقول: «الإنسانية بآفاقها الرحبة الواسعة والطائفية بأفقها الضيق المنعزل ضدان لا يلتقيان، الأولى منها تعامل مع الإنسان انطلاقاً من قيمته المطلقة باعتباره

(١) انظر: «موقع قناة العربية»- برنامج إضاءات- بتاريخ: الأحد: ٦ ربيع الأول ١٤٢٨ هـ، ٢٥ مارس ٢٠٠٧ م.

ابناؤنا لا بدّ عن أية تصنیفات فثوية مكتسبة أو ملتصقة بالإنسان قسراً، أما الثانية فلا تجد بدّاً لكي تتمكن من التموضع

... الصراع بين هذين الضدين إنما هو صراع بين التقدم والتخلف، أو هو صراع بين الإنسانية والإنسانية، وإن شئت فقل هو صراع في مجمله بين الحياة والموت، لأن الفرد المتكور حول حمى الطائفية لن يكون على بيته من أمر قيمته في مجتمعه ما لم يحدد علاقته بأخيه المصنف في فئة أدنى وفق فوائل ثابتة صخرية لا تزعزعها أخاذيد الزمن ولا مراكمات التعليم الذي يظل مشدوداً بطبيعته إلى أفقه الثقافي الذي انطلق منه أصلاً.

ومن ثم فهو لا يتزدد عن أن يعمل كل ما في وسعه من أجل إعادة تلك المسافات الفثوية إلى نقاطها الفاصلة متى ما رأى أنها استبيحت، حتى ولو كلفه ذلك العبث بحياة من يعتقد أنهم حاموا حول حماها التي يتحصن داخلها في كهوف ظلام الطائفية البغيضة... (إلى أن قال): ... وهكذا طور القرآن آلية جديدة لتشكيل العلاقات الاجتماعية قوامها النظر إلى الإنسان بصفته الآدمية فقط» اهـ^(١).

ويقول أيضًا: «يتمثل رمي الجمرات في أيام الحج مغزى حنفيًا كبيراً مؤداه التصدي لمحاولات الشيطان إغواء الإنسان بصدره عن ذكر الله وملء قلبه بالشحنة والبغضاء والحسد وتمني السوء لأخيه في الإنسانية، ومثله بدلاً من ذلك بالحب والسكنية وتمثل القيم الإنسانية بكل معانيها وما يتربّ عليها من استحقاقات تجاه الآخر، هذا الآخر الذي يربطه بأخيه رباط الإنسانية المقدس قبل أي رباط هوبياني آخر»^(٢).

(١) في مقال له بعنوان (الإنسانية والطائفية: صراع الأضداد)، نُشر في (جريدة الرياض: الأحد ٢٠٠٦ المحرّم ١٤٢٧هـ - ١٩ فبراير ٢٠٠٦م- العدد: ١٣٧٥٤).

(٢) في مقال له بعنوان (رمي الجمرات: المغزى الرمزي لمحاربة الشيطان)، نُشر في (جريدة الرياض: السبت ١٤ من ذي الحجة ١٤٢٦هـ - ١٤ يناير ٢٠٠٦م- العدد: ١٣٧١٨).

ويوسف أبا الخيل له فلسفة منحرفة للولاء والبراء، حيث يقول: «... مفهوم الولاء والبراء من هذه الزاوية يشير إلى موالة الموالي المسالم الجانح للسلم والبراءة من المعتمدي أيًا كانت نحلته ومذهبها وديانته، ومن غير المعقول لكل من استقرأ نصوص الشريعة ومقاصديتها أن يتصور مفهوماً ينادي بالولاء للمعتمدي لأنَّه فقط يتمظهر أو ينطق بالإسلام وبنفس الوقت البراءة وما سيترتب عليها من استحقاقات أخرى من غير المسلمين ولو كان مسالماً باراً مؤدياً لشروط العلاقة السلمية مع المسلمين، هذا مفهوم مغلوط ومشين تُنَزَّه عنه الشرائع السماوية فضلاً عن الإسلام وهو خاتم الديانات، لأنَّه تعدٍ صريح على عدل الله تعالى بين خلقه، ولا يمكن أن تستقيم علاقة سلمية تعاونية مؤدية لخير الإنسانية ما دمنا نتصور أنَّ علاقَةَ الولاء والبراء مبنية على الولاء للمسلم ولو كان من جنس «الحجاج بن يوسف أو صدام حسين» والبراءة من غير المسلمين ولو كان على شاكلة داعيي السلام والإنسانية «المهاتما غاندي ونلسون مانديلا»^(١).

ولم يقف يوسف أبا الخيل عند حد ذلك الانحراف الخطير في قضية الولاء والبراء، بل تعدى ذلك إلى القول بأنَّ عقيدة الولاء والبراء التي طبَّقَها النبي ﷺ في المجتمع المدني قامت على أساس الوطن والبلد الواحد بغض النظر عن ملة الشخص وانتمامه الديني، يقول: «كان يمكن فض الاشتباك بين هذه الولاءات لو تم الاعتراف من البداية بمدنية الولاء الهوياني واعتبار الهوية الدينية التي تم تدشينها مع الانقلاب الأموي مجرد مرحلة على طريق تطور الفكر السياسي الإسلامي، كما كان عليه الأمر في التجربة الأوروبية الفروسيطية، كان يمكن مثلاً تفعيل مواد عقد الصحيفة^(٢) الذي عقده الرسول ﷺ بين كافة سكان المدينة من يهود

(١) في مقال له بعنوان (فلسفة الولاء والبراء في الإسلام)، نُشرَ في جريدة الرياض، بتاريخ: الثلاثاء ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ - ٢٦ يوليو ٢٠٠٥م - العدد: (١٣٥٦).

(٢) حكمَ جمِيعَ من الباحثين على مرويات هذه الصحيفة وأسانيدها بأنَّها ضعيفة لا تصح، ومن ثم لا ينبغي الاحتجاج بها، وعلى فرض ثبوت صحتها فإنه ليس فيها تقرير أو تأصيل لآية لعقيدة الولاء والبراء على =

ومسلمين والذي ينص على الدفاع عن المدينة وحمايتها(هوية مدنية) كجامع هوياني لسكانها ، مقابل فردية الهوية الدينية ، لقد كان ذلك العقد بمثابة عقد اجتماعي صرف يجعل العقيدة وما يترتب عليها من ممارسة شعائرية اختياراً شخصياً ، بينما يجمع كافة السكان حول شأن مدني يمكن له مع شيء من التفعيل أن يوحد بينهم على أساس قيم مشتركة من التآخي والتعاضد والتعاون والاعتراف العقائدي المتبادل»^(١).

هـ- ويقول عبد الله بن بجاد العتيبي في مقال له بعنوان: «أفكار العنف والبيئة التي تخلقه»: «إن أفكاراً كالولاء والبراء والحاكمية، وجاهلية المجتمعات المسلمة والعزلة الشعورية والغربية وغيرها من الأفكار التي تشكل عموداً فكريّاً يقف به الإرهاب والعنف على قدميه هي أفكار بعيدة الجذور وكثيرة التشعب في الخطاب الديني السائد لدينا ، وأي محاولة لجعل الخطأ في فهم هذه الأفكار وتطبيقاتها وليس فيها ذاتها لا يمكن أن يكون حلّاً بل سيكون تكريساً لها ، وأالية الولاء والبراء تحديداً كانت على مدار التاريخ الإسلامي الإيديولوجيا التي تتبعها

أساس الوطن أو البلد الواحد، وإنما غاية ما فيها -كما ذكر بعض العلماء- التطبيق العملي لأخلاق البر والعدل مع اليهود وغير المحاربين ، وهذا داخل في دائرة المعاملة بالحسنى وليس له علاقة بالولاء والبراء ، كما نص على ذلك القرآن العظيم : ﴿لَا يَنْهَاكُرُ اللَّهُ عَنِ الْأَيْنَ لَمْ يُقْتَلُوكُمْ فِي الْأَيْنِ وَلَا يُتَحْوِلُوكُمْ إِنْ يُرِيكُمْ أَنْ تَرْجِعُوهُمْ وَقَطِيرًا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْتَلِينَ﴾ [المتحدة: ٨] ، أمّا ما جاء في بنود الصحيفة عن الصلح مع اليهود بغير الجزية فهو منسخ بأية الجزية : ﴿فَتَلَوُا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يَأْتِيُونَ الْآخِرَةَ وَلَا يُخْرِجُونَ مَا حَرَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَبْيَثُونَ دِينَ الْحَقِيقَةِ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُمْطِرُوا الْجِزَنَةَ عَنْ يَوْمِ وَقْتِهِمْ كَفِرُوكُمْ﴾ [التوبية: ٢٩] ، وكان ذلك في سنة تسعة ، ومن المعروف أن سورة التوبية من أواخر ما نزل على رسول الله ﷺ . انظر: «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية»: (ص/ ٣١٨-٣٠٦) للدكتور: مهدي رزق الله ، «بيان الحقيقة في الحكم على الوثيقة(وثيقة المدينة)»: (ص/ ٣٣ ، و ٣٩-٣٨) للأستاذ/ ضيدان اليامي ، «والمجتمع المدني»: (ص/ ١١١) للدكتور: أكرم العمري.

(١) في مقال له بعنوان: (إشكالية الولاءات المزدوجة)، نُشر في جريدة الرياض، بتاريخ: الأحد ١٨ ربيع الأول ١٤٢٧هـ - ١٦ أبريل ٢٠٠٦م - العدد: (١٣٨١٠).

الفرق الخارجة عن القانون العام والمعبرة بعنف عن سلطتها على السلطة كالخوارج والشيعة، وذلك في مقابل السلطة تلك التي تبني بدورها أيديولوجية الطاعة والجبر لتقابل بها تلك الفرق، وحين يصبح الولاء والبراء المصنوع تاريخياً أساساً في خطاب ديني ما فإنه بالتأكيد سيجعله يأكل نفسه وأبناءه ومجتمعه لأنّه يقوم أساساً على اختزال المشهد المجتمعي المتنوع في طيفين اثنين، ويختزل بالتالي المواقف منهما في موالة تامة أو عداوة تامة، في غفلة تامة عن مدى التداخل في المجتمع الإنساني نفسه الذي يلزم منه ضرورة التداخل في المواقف المتعددة تجاه كل جزء منه»^(١).

• تعليق:

كلام ابن بجاد السابق، فيه زلل عظيم، وانحراف رهيب، مع ما فيه من التحرير والتزوير، وهذا يتضح فيما يلي :

١- أنَّ في كلامه دعوةً سافرةً للإلغاء عقيدة الولاء والبراء، فليس سبب التطرف والغلو من منظاره المنحرف ناجماً عن الفهم الخاطئ لقضايا الولاء والبراء من أولئك الغلاة المنحرفين ، بل السبب الرئيس في ذلك يتمثل في عقيدة الولاء والبراء نفسها !!!.

٢- أنَّه نسب عقيدة الولاء والبراء لبعض الفرق المنحرفة كالخوارج والشيعة من أجل تغير الناس عنها -عياذا بالله- ، والحق أنَّ الخوارج والرافضة لهم فهم خاص لقضية الولاء والبراء يخالفون به أهل السنة والجماعة، ففرقة الخوارج مثلاً لا تُواли إلَّا من يدين بتحلتها القائمة على تكفير مرتكب الذنوب وخاصة الكبائر^(٢) ، والرافضة يقولون: لا ولاء إلَّا براء: أي لا يتولى أهل البيت حتى يتبرأ

(١) انظر موقعه على الشبكة العنكبوتية.

(٢) «التبه والرد»: (ص/٥٣) للملطي.

من أبي بكر وعمر^(١).

ولئن كانت فرقتا الخوارج والروافض قد انحرفتا في عقيدة الولاء والبراء، فلا يعني هذا أبداً أن نلغي هذه العقيدة من أصلها وأساسها، بل الواجب -حيثني- أن نرد عليهم فهمهم المنحرف، وأن نفهم هذه العقيدة، كما فهمها أصحاب النبي ﷺ.

إنَّ هذه العقيدة المباركة دلتُ عليها نصوص الكتاب والسنة، بحيث صارت أصلاً من أصول الاعتقاد، وتاريخ الأنبياء الزاهر -عليهم الصلاة والسلام- عبر جهادهم الطويل مع أممهم يشهد بهذه الحقيقة كما هي الشمس في رائعة النهار، فها هو الخليل إبراهيم عليهما السلام يُعادِي قومه ويتبَرأ منهم، بسبب كفرهم وانحرافهم عن الصراط المستقيم، ويعلن ذلك بكل صراحةً ووضوح، ويأبى عليهما أن يتنتي معهم تحت مظلة الحب والود حتى يؤمِّنا بالله وحده، وقد جعل الله تعالى هذا الموقف الإيماني الباهر لإبراهيم عليهما السلام للأمم من بعده، وبخاصة الأمة الإسلامية، قال تعالى: «فَقَدْ كَانَتْ لَكُمْ أَشْوَأْ حَسَنَةً فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرْهَنُوا مِنْكُمْ وَمِنَّا تَبَدِّلُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كُلُّنَا يُكَذِّبُونَ وَرَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْمَذَاةُ وَالْبَعْضَةُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ»^(٢) [المتحدة: ٤].

يقول شيخ المفسرين ابن جرير الطبرى تَعَالَى في تفسير الآية: «قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه في هذه الأمور التي ذكرناها من مبادئ الكفار ومعاداتهم، وترك مواطنهم . . . يقول تعالى ذكره: فكذلك أنتم أيها المؤمنون بالله، فتبرعوا من أعداء الله من المشركين به ولا تتخلدوا منهم أولياء حتى يؤمِّنوا بالله وحده ويتبرعوا عن عبادة ما سواه وأظهروا لهم العداوة والبغضاء»^(٣).

يتضح مما تقدم أنَّ مفهوم الولاء والبراء عند أهل السنة لا ينطلق من أهواء ثائرة ولا من حظوظ نفسية-كما هو الشأن عند أهل البدع والأهواء-، بل يقوم على

(١) «شرح الطحاوية»: (ص/٥٣٢).

(٢) «تفسير الطبرى»: (٢٨/٦٢).

أساس الدين والعقيدة الصحيحة، فمن كان مؤمناً وجبت مواليه ونصرته ولو كان أبعد الأبعدين، ومن كان كافراً وجبت معادته والبراءة منه ولو كان أقرب الأقربين.

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «وحيث إنَّ الولاء والبراء تابعان للحب والبغض، فإنَّ أصل الإيمان أن تحب في الله أنبياءه وأتباعهم، وتبغض في الله أعداءه وأعداء رسالته»^(١). فملخص العبارة: ما ذنب من يحب من أحبه الله ويبغض من أبغضه الله؟

وممَّا ينبغي التنبِيَّه عليه هنا أنَّ هذا الأصل العقدي العظيم لا يعني بحالٍ أن نظلم الكافرين، أو نتعدى على حقوقهم المقررة في الشريعة الإسلامية، كحرمة دماء أهل الذمة والمعاهدين، وحرمة أموالهم وأعراضهم وكرامتهم، والرفق واللطف في معاملتهم، فهذا كُلُّه يدخل في دائرة المعاملة بالحسنى، ولا علاقـة له بالولاء للكافرين، والأصل في ذلك قوله تعالى: «لَا يَتَهَنَّكُرُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَا يَتَهَنَّكُرُ مِنْ دِيَرِكُمْ أَنْ تَبْرُوْهُمْ وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْيَطِينَ» (المتحدة: ٨).

يقول شيخ المفسرين ابن جرير رحمه الله بعد أن ساق أقوالاً مختلفة في تفسير الآية: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُني بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم، وتقسّطوا إليهم، إن الله يعلم عمّ بقوله: «الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَا يَتَهَنَّكُرُ مِنْ دِيَرِكُمْ» جميع من كان ذلك صفتـه، فلم يخصـن به بعضاً دون بعض، ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ، لأنَّ بر المؤمن من أهل الحرب من بينه وبينه قرابة نسب، أو من لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير محـرم ولا منهي عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له، أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بگرائـع أو سلاح. قد بين صحة ما قلنا في ذلك، الخبر الذي ذكرناه عن ابن الزبير في قصة أسماء وأمها»^(٢).

(١) «الفتاوـى السعدية»: (٩٨/١).

(٢) «تفسير الطبرـى»: (٦٦/٢٨).

«وفي تفسير آيات الأحكام للشافعي كتابه مبحث هام يتعلق بهذا الصدد نسقه أيضاً بنصه لأهميته: «قال: «قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوكُمْ فِي الْأَيَّةِ﴾ الآية . قال: يقال: والله أعلم إن بعض المسلمين تأثر من صلة المشركين أحسب ذلك لما نزل فرض جهادهم وقطع الولاية بينه وبينهم ونزل ﴿لَا يَمْحُدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادِرُونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية ، فلما خافوا أن تكون المودة الصلة بالمال أنزل ﴿لَا يَنْهَاكُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوكُمْ فِي الْأَيَّةِ وَلَدَ يَخْرُجُوكُمْ مِّن دِيَرِكُمْ أَنْ تَبْرُوْهُ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوكُمْ فِي الْأَيَّةِ وَلَا يَخْرُجُوكُمْ مِّن دِيَرِكُمْ وَظَاهِرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ قَوْلُوهُمْ وَمَنْ يَنْوِلُهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المتحدة: ٩-٨] ، وكانت الصلة بالمال والبر والإقساط ولبن الكلام والمراسلة بحكم الله غير ما نهوا عنه من الولاية لمن نهوا عن ولايته مع المظاهرة على المسلمين ، وذلك لأنه أباح بر من لم يظهر عليهم من المشركين والإقساط إليهم ولم يحرم ذلك إلى من لم يظهر عليهم بل ذكر الذين ظاهروا عليهم فنهاهم عن لا يتهم إذ كان الولاية غير البر والإقساط ، وكان النبي ﷺ فادي بعض أسرى بدر ، وقد كان أبو عزة الجمحى ممن منّ عليه ، وقد كان معروفاً بعداوته ، والتالib عليه بنفسه ولسانه ، ومنّ بعد بدر على ثمامة بن أثال ، وكان معروفاً بعداوته ، وأمر بقتله ثم منّ عليه بعد أسره وأسلم ثمامة وحبس الميرة عن أهل مكة فسألوا رسول الله ﷺ أن يأذن له أن يميرهم فأذن له فمارهم . ﴿وَيَطْعَمُونَ الظَّعَمَ عَلَى حَيْثُ مِسْكِينًا وَرَبِيعًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨] والأسرى يكونون من حاد الله ورسوله»^(١).

يقول ابن حجر كتابه: «البر والصلة والحسان لا يستلزم التحابب والتواضع المنهي عنه في قوله تعالى: ﴿لَا يَمْحُدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادِرُونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية فإنّها عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل»^(٢).

(١) «أضواء البيان»: (١٥٤، ١٥٥) للشنقيطي، بتصرف يسر.

(٢) «فتح الباري»: (٢٣٣/٥).

فهذه هي ثقافة التسامح والرحمة التي نادى بها الإسلام قبل أربعة عشرة قرناً من الزمان، وهي الوسطية بين تحريف الغاليين وتمييع الليبراليين.

• **ثأرهم وتبجيلهم لأهل الضلال والزيغ:**

ويدخل في دائرة انحرافهم في عقيدة الولاء والبراء: الثناء والمدح لأرباب الضلال والانحراف، سواءً أكان ذلك على مستوى الأديان والمذاهب الأرضية المعاصرة كالشيوعيين والزنادقة والفلسفه أو على مستوى الفرق الصالحة المبتدعة كالمعتزلة والجهمية، والترويج لما يحملونه من أفكارٍ ومعتقدات.

- **أقوال الليبراليين في هذا الجانب:**

أ- يقول جودت سعيد: «والشعور بالأناقة-المدنية- قد يكون في صورة انتصار عسكري، أو عدالة اجتماعية، كما في الثورة البلشفية، أو في صورة حقوق إنسان، كما في الثورة البلشفية...»^(١).

• **تعليق:**

لنا مع كلام جودت سعيد في مدحه للثورة البلشفية الشيوعية الوقفات الآتية:

١- إنَّه لمن عجائب الأمور أن يتناسى جودت الماسي التي تركتها الشيوعية في العالم؟ فقد حرمت الإنسان من حريته ومن حقه في أن يجني ثمرة عقله، وحقه في السعي والابتكار، وأرادت أن تساوي قسراً بين الناس.

٢- لماذا يتناسى جودت أن الشيوعية قد حاربت الأديان والقيم والأخلاق العليا، وسحقت كل المعارضين، وعاش ملايين المسلمين مضطهدین، أو منفيين إلى سيريا؟ ولماذا يتناسى جودت سعيد أن المسلمين كانوا في ظل الشيوعية الملحدة الآثمة يحتفظون ببعض نسخ القرآن في الأبنية والدهاليز لينقلوها إلى

(١) «فقدان التوازن الاجتماعي»: (ص/٢٧) لجودت سعيد.

أبنائهم بعيداً عن أعين السلطات الكافرة^(١).

أبعد هذا كله هل ثمّ مجال لأحدٍ كائناً من كان أن يرى العدالة الاجتماعية
تتمثل في الثورة البلشفية الحمراء؟!

بــ وها هو خالص جلبي يُشيدُ بالزّنديق (محمود محمد طه)^(٢)، ويَكيلُ لهُ
الثّناء العاطر، ويتباكي على إعدامه من قبل الحكومة السودانية في عهد الرئيس
محمد جعفر النميري، يقول: «وفي عام ١٩٧١م أُعدم «محمود طه» في السودان
بيد الطغمة العسكرية بتهمة الردة، وكان الرجل مجدداً، ولم يكفر ولم يرتد،
ولكنّها السلطة التي لا تتحمل النقد والمعارضة»^(٣).

جــ أمّا محمد بن علي المحمود، فقد أثني على رموز التنوير من الفلاسفة،
والتنويريين، حيث يقول: « بينما كان فيلسوف التنوير الأكبر (فولتير)^(٤) على فراش
الموت حضر إليه رجل الدين الكهتوتي ، يطالبه بالاعتراف؛ ليتحقق له الغفران،
وبيما أن فيلسوف التنوير قضى عمره الطويل في العمل في فضح الدجل الكنسي،

(١) انظر: «المدرسة العصرانية في نزعتها المادية»: (ص/٩٧).

(٢) قُتل هذا الرجل مرتّداً، وقد صدرت في حقه فتوى في هذا الصدد أنتتها المحاجم الفقهية، وصادقت
عليها منظمة المؤتمر الإسلامي؛ لأنّه أدعى التّبّؤة، ولمعرفته المزبد حول أفكار هذا الرجل، والتّبّصر في
شخصيته، انظر المصادر الآتية:

ـ موقف الجمهورين من السنة النبوية (لشوقي شبير).

ـ الردة ومحاكمة محمود محمد طه (للمكاشفي طه الكباشي).

(٣) مجلة الشرق الأوسط، العدد(٨٣٢٤) في ١٢/٩/٢٠٠١.

(٤) فولتير هو كفيري من فلاسفة التنوير ومن يعلدون من دهاقنة الماسونية ورموزها الكبار، وقد كان من دعاة
الإلحاد؛ حيث حارب الربوة والروحى، وأئمّ بالله غير الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن
خرزياته العظام التي تستوجب مقت اللّه وغضبه أنهــ لعنه اللّهــ أصدر تمثيلية أسماءها: «محمد والتعصب»
سبّ فيها النبي الكريم محمداً ~~رسولاً~~ سبّاً شديداً، وأهدى هذه التمثيلية القبيحة إلى الياباــ (بنيــ الرابع
عشر). انظر: «الموسوعة الفلسفية»: ٣٤٩، و«معجم الفلسفة»: (ص/٤٣٤)، و«أعلام وأفرام»: (٢/
٤٠٩ــ ٤١٠)، دــ سيد حسين العفاني.

وتعرية الاستغلال الكهنوتي، فقد رفض هذا الإجراء الذي لو قبله لكان تضحية فضائحية، بمسيرة عمره التنويري المليء بالصراع مع عالم الخرافه^(١).

ويقول: «رحلة البحث عن الإنسان، من خلال البحث عن العقل الممكن وإمكاناته، ومن خلال التمحوّل الحقوقي حول حرية المسوّبة، ومن خلال البحث عن سبل انتفافه من أسر ماضيه، ووضعه على عتبات المستقبل، كانت ملحمة من أروع الملاحم في تاريخ البشرية. تلك الرحلة التي بدأت بوادرها الخافتة منذ القرن الثالث عشر الميلادي، وظهرت جلية في المنجزات النظرية التي تعكس الوعي، كما عند لوثر، وسينوزا، وديكارت.. الخ، إلى راسل، وهيدجر، وفوكر، وريكور، ودريلدا.. الخ، مروراً بـكانت، وهيجل، وروسو، وفولتير»^(٢).

ويقول: «لم ينهض التنوير الأوروبي المجيد، الذي أخرج الإنسانية من ظلمات الجهل والتخلّف والانحطاط، إلى نور العلم والتقدم والمدنية الإنسانية إلا على إيمان راسخ وعميق بهذا الإنسان، إيمان متفائل، يتکن على فعالیات عقلية، ومعطيات تجريبية من عالم الواقع المادية، ولكنـ - قبل ذلك وبعده - يکاد يكون عقيدة كافية، تستولي على مشاعر أولئك الفلاسفة العظام، في عصر النهضة الأوروبي»^(٣). ويقول مشجعاً لنشر ثقافة رواد التنوير: «إنَّ كثیراً من كتب رواد التنوير العربي منذ الطهطاوي وإلى آخر كتاب ثقافي صدر في دور النشر العربية لا وجود لها في ذاكرة أبنائنا»^(٤).

(١) كتاب الرياض الإلكتروني «حروف وأفكار»: (ص/١٧) لمحمد بن علي المحمود، في مقال له بعنوان (التلذيد والتوفين)، وقد نُشر في جريدة الرياض بتاريخ: ٩/١/٢٠٠٥م.

(٢) في مقال له بعنوان: (المستقبل لهذا الإنسان)، نُشر بتاريخ: الخميس ١٦ صفر ١٤٢٧هـ - ١٦ مارس ٢٠٠٦ - العدد: (١٣٧٧٩).

(٣) في مقال له بعنوان: (المستقبل لهذا الإنسان)، نُشر بتاريخ: الخميس ١٦ صفر ١٤٢٧هـ - ١٦ مارس ٢٠٠٦ - العدد: (١٣٧٧٩).

(٤) كتاب الرياض الإلكتروني «حروف وأفكار»: (ص/٢٦) لمحمد بن علي المحمود.

ونقول لهذا الكاتب المفتون: ماذا تركت للأئمّة والمصلحيّن؟!
وانظر إليه كيف يبني على حسن المالكي؛ لأنَّه دَمَّ منهج السُّلْفِ وكتبه؟!
فيقول:

«ولعلَّ ما واجه الشيخ المحقق حسن المالكي، عندما أصدر كتابه «قراءة في كتب العقائد» من اهتمامٍ سلفي غير مبرر، كفيل بأن يبيّن حجم الذعر الذي يتلبّس المؤدلجين والتقليديّن، عندما يتم فضح مرتکبات الأدلة ومحدّدات التقليد على نحو صريح»^(١).

ولا غرو-بعدئذٍ- أنْ يبني المحمود على حركة التحرير المنحرفة في مصر، ويحاول جاهدًا أن يتلمس لها الأعذار!، إذ يقول: «ولو أننا نظرنا إلى مواقف كثيير من رواد الأسلامة من المسألة النسوية التي كانت تحديًا حضاريًا منذ فجر النهضة، لوجدناها تتسم بالسلبية والاتهام. فحركة التحرير النسوية المصرية دارت عليها رحى الاتهامات وتم وضعها كنقطة انحراف في مسيرة العفاف والاحتشام الإسلامي. لم يحاول أي منهم أن يتفهم سياق تلك الحركة التي أرادت معانقة العصر بعد اصطدام المجتمع بالحداثة، فكانت خطواتها في ذلك السياق خطوات تأخذ ردة الفعل أكثر مما تأخذ طابع الفعل.

لقد كانت تلك الحركة -وغيرها من فعاليات التنوير آنذاك- محاولة لتحرير المرأة من قرون من القمع والحجر في ظلمات الحرير التركي. ماذا كان يمكن أن تفعل الحركة النسوية التي حايثت التحرر النسوي الأوروبي، ما دام أنَّ النهضوي الإسلامي يرفض أن يراها قضية؟! بل يسعى إلى شرعة عهود القمع الحريري، ويعارض أي فاعلية إيجابية دون تقديم البديل»^(٢).

(١) كتاب الرياض الإلكتروني «حروف وأفكار»: (ص/٢٦) لمحمد بن علي المحمود.

(٢) كتاب الرياض الإلكتروني «حروف وأفكار»: (ص/٢١) لمحمد بن علي المحمود.

وانظر إليه كيف يُعلن عن فرحة وسروره وابتهاجه بِاقْبَالِ الْجَمَاهِيرِ في معرض الكتاب الأخير الذي أُقيم في مدينة الرياض على كتب المنحرفين من أصحاب المذاهب الهدامة، وعزوفها في الوقت نفسه عن كتب التراث الأصيلة التي يصفها -عياذاً بالله- بالعبثيات؟!، وياللها من كارثة!!

يقول: «... ما رأينا في معرض الكتاب الأخير، لم يكن متوقعاً. لقد كان الاقبال ليس على تلك العبثيات والتراثيات، كما كان متوقعاً، بل رأينا القارئ الجماهيري يتوجه صوب الكتب التي تؤسس لروح العلم والمعرفة النقدية بالواقع والتراث. ورأينا المشاريع العلمية النقدية تتتصدر قائمة المبيعات، وبأرقام تدعو إلى التفاؤل بِمُسْتَقْبِلِ وَاعِدٍ»، وقربـ - نسبياً - .

لقد كنتُ في غاية السعادة وأنا أرى كتب الجابرـي، وعبد المجيد الصغير، وحسن حنفي، وعلي حرب، ونصر أبو زيد، وأبي يعرب المرزوقي، وخليل عبدالكريم، واليوسفـي، والوردي، ومحمد مفتاح، ورمسيس عوضـ، والمسيري... الخ، أراها محل احتفاء وتقدير وإقبال شرائي كبير، من قبل القارئـين والقارئـات. والمبهـج، إن كل هذا يحدثـ، رغم الحجر الثقافـي، والدعـائية الـاـيديـولـوجـيةـ العـرـيـضـةـ، المـضـادـةـ لـهـذـهـ الأـسـمـاءـ أوـ بـعـضـهـاـ. وـهـوـ مـاـ يـعـنيـ أنـ إـلـيـانـ يـتـحدـىـ -ـ لـاـ شـعـورـيـاـ -ـ مـاـ يـحـسـ إـنـهـ يـتـهـدـدـ إـنـسـانـيـتـهـ، خـاصـةـ إـذـ مـهـدـتـ لـهـ الـظـرـوفـ الـتـيـ تـكـفـلـ لـهـ حرـيـةـ الـاـخـيـارـ»^(٢).

هـ- أما سعود السرحـانـ، فلا يكتـمـ ثـنـاءـ العـاطـرـ عـلـىـ الـفـلـسـفـةـ وـأـصـحـاـبـهــ، بل يـتـبـاكـيـ عـلـىـ عـدـمـ وـجـودـ جـامـعـاتـ فـيـ الـمـمـلـكـةـ الـعـرـبـيـةـ السـعـوـدـيـةـ تـدـرـسـ الـفـلـسـفـةـ، يـقـولـ: «ـنـحـنـ مـثـلـ كـثـيرـ مـنـ بـحـارـةـ الـمـجـاذـيفـ، تـقـضـيـ أـعـمـارـنـاـ وـنـحـنـ نـجـذـفـ بـاتـجـاهـ وـعـيـونـنـاـ مـعـلـقـةـ إـلـىـ الـورـاءـ بـاتـجـاهـ مـغـاـيـرـ»ـ، هـذـهـ الـجـملـةـ الـبـلـيـغـةـ تـصـورـ حـالـ الـعـلـمـ

(١) لا يلزم من ازدياد مبيعات كاتـبـ ماـ القـنـاعـةـ أوـ الإـعـجابـ بـفـكـرـهـ أوـ مـنهـجـهـ.

(٢) في مقالـ لهـ بـعنـانـ: (ـالـمـسـتـقـبـلـ لـهـذـاـ إـلـيـانـ)، تـشـيرـ فـيـ جـرـيـدةـ الـرـيـاضـ، بـتـارـيخـ: الـخـمـيسـ ١٦ـ صـفـرـ ١٤٢٧ـ هـ ١٦ـ مـارـسـ ٢٠٠٦ـ العـدـدـ: (١٣٧٩ـ).

والثقافة في السعودية بكل دقة، وتشريح سبب الجمود الذي أصاب الحركة السلفية؛ فقد ظلت نظرة ابن تيمية الحراني (٦٦١-١٢٦٣هـ / ١٣٢٨-١٢٦٣) إلى كثير من المسائل، والفلسفة واحدة منها، هي الحكم عند السلفيين على شئون توجهاتهم، ولم تتعرض مواقف ابن تيمية للدراسة والتلميح، بل بقيت أسيرة التقليد من الأتباع، وصار غايةً مطلب هؤلاء القوم فهم كلام ابن تيمية على وجهه، وقلما كانوا يفعلون ذلك، فضلاً عن النظر في صحة هذا الكلام أو ما وراءه، وصار غايةً بعضهم، وكدت أقوال غالبيهم، الاكتفاء بنقل كلام ابن تيمية دون تكليف لهم له أو دراسة، مما أدى إلى جمود الفكر، وضعف حال كثير من المنتسبين إلى وخريجي معاهده ومدارسه وجامعاته، ولو أخذنا «الفلسفة» مثلاً، فانظر إلى موقف ابن تيمية دراسته لها، وقارنه أول ما تقارنه بموقف تلميذه ابن القيم، في كتابه «إغاثة اللهفان» فيتبين لك صدق كلامي.

تجاوز أهمية هذا البحث مجرد كونه عرضًا لموقف ابن تيمية من الفلسفة إلى توضيح آثار هذا الموقف على الواقع العلمي والثقافي في السعودية، فبسبب هذا الموقف توجد في السعودية قرابة عشر جامعات وعشرات الكليات لا تحوي بين جنباتها قسمًا واحدًا لدراسة الفلسفة، واعتمادًا على نظرة ابن تيمية إلى الفلسفة التي تراها كفرًا وضلالًا لم تتجروا أي جامعة سعودية على فتح قسم للفلسفة في أي من كلياتها، ولا على تدريس مواد فلسفية، وإن مر ذكر الفلسفة عرضاً فيبنيغي وصفها بالكفر والضلال، والتأكيد على أن تحكيم العقل هو طريق الهالاك.

.. هذه نماذج من آثار موقف ابن تيمية من الفلسفة ونظرته إليها، ولا يتوقف هذا التأثر على جامعة الإمام بل يتعداها إلى جميع الجهات التعليمية في السعودية، ومع هذا التأثير الكبير لابن تيمية إلا أنه لم تظهر حتى الآن (في السعودية) أي دراسة علمية محايدة تدرس موقف ابن تيمية من الفلسفة^(١).

(١) في مقال له بعنوان (الحكمة المصلوحة: مدخل إلى موقف ابن تيمية من الفلسفة)، نشر في موقع (جدل) الذي يشرف عليه بتاريخ: ٢ ديسمبر ٢٠٠٣م.

و- يوسف أبا الخيل يشتبه على رجل متهم بالزنقة وهو (عبد الله بن المقفع)، يقول: «عبد الله بن المقفع أحد أعلام «فقه السياسة العربي» صاحب أشهر ترجمة عن التراث الهندي بفضل ترجمته لكتاب (كليلة ودمنة) والذي يعد من أبرز الكتب القديمة التي خلدها التاريخ، وهو من تأليف الفيلسوف الهندي بيبيبا ، ويقدم الكتاب الكثير من الحكم والمواعظ التي يلقاها الفيلسوف على مملكة دشليم جاعلاً الحيوانات أبطالاً لقصصه، مما جعله - أي الكتاب - يظهر بأسلوب جذاب وحافز للقارئ للاستماع بقراءاته حتى النهاية.

هذا العلم العربي (وهو بالمناسبة من أصل فارسي) قام بالتنظير لمسألة لا زالت حتى الآن وبعد مرور ما يقرب من ألف وثلاثمائة سنة على وفاته شاغلة دنيا العرب والمسلمين ، وهي مسألة العلاقة بين الشأن الديني والشأن المدني ، أو بتعبير هي مناسبة للتراث الذي كان ابن المقفع ينطلق منه آنذاك العلاقة بين الدين والدنيا^(١).

ز- أمّا إبراهيم البليهي الذي يعتبر أحد رموزهم الكبار، فلا يجد غضاضة ولا حرجاً في حشد حالات الثناء والمدح على جماعة من المنحرفين كالفلسفه اليونانيين ، ورموز الحداثة كأدونيس وجبران خليل جبران وجبرا إبراهيم جبرا ، وزكرييا نجيب محمود الذي يعد رأساً من روؤس العلمنة والتغيير.

يقول في مدح الفلسفة والفلسفه اليونانيين^(٢): «إن الفلسفة التي أبدعها

(١) في مقال له بعنوان (العلاقة بين الديني والمدنى عند ابن المقفع)، نشر في (جريدة الرياض: الخميس ٢٤ رمضان ١٤٢٦هـ - ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٥م- العدد: ١٣٦٣٩).

(٢) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في شأن الفلسفه اليونانيين -: «وأما أرسطو وأصحابه فكانوا مشركين يبعدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، وبينون لها هيأكل في الأرض، ويصورون لها أصناماً يجعلون لها طلاسم، من جنس شرك التمود بن كتعان وقومه الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل- صلوات الله وسلامه عليه-، وهكذا كان دينهم قبل ظهور دين المسيح فيهم . وكان أرسطو قبل المسيح بحوالي ثلاثة سنـة». «كتاب الرد على المنطقيـن»: (ص/ ٢٨٣) بتصـرف.

اليونانيون ابتداءً من القرن السابع قبل الميلاد والتي بلغت ذروة ازدهارها في القرن الخامس قبل الميلاد والتي أحياناً الأوربيون في العصر الحديث تمثل طفرة ثقافية هائلة على المستوى الإنساني كله فهي أول انطلاقة ذاتية للعقل البشري خارج السائد والمعروض فقد كان الناس قبلها وما زالوا في المجتمعات التي لم تستفيد من الفكر الفلسفي يستسيغون أن يقروا نسخاً مكررة . . .^(١).

ويقول أيضًا: «لذلك فإن اهتمام الإنسان اليوناني إلى سبب العطالة الحضارية وإصراره بأن يتغلب على هذه العطالة الراسخة كان حدثاً غير مسبوق في التاريخ البشري إلا في الرسائلات الإلهية التي ينحرف عنها الناس سريعاً لذلك فإن تكرار وصف الباحثين والدارسين لهذه الوثبة المذهلة بأنها معجزة يونانية فريدة يمثل عين الحقيقة . . . (إلى أن قال) . . . ثم جاء الرومان واستولوا على بلاد الإغريق ومددوا سلطتهم إلى الكثير من بلدان العالم في أوروبا وأسيا وأفريقيا وتبنتوا الكثير من نتاج الفكر اليوناني وراحوا يدرسونه بشغف ويستمتعون به ويحاولون الاستفادة منه في معالجة أمور السياسة والمجتمع»^(٢).

ويقول أيضًا: «إن العودة لتاريخ الفلسفة أو تاريخ العلوم أو تاريخ الحضارة الغربية بشكل عام تكشف للباحث كيف كانت الفلسفة اليونانية منذ القرن السابع قبل الميلاد تتأمل وتتفكر في كل شيء وتحاول بمنهج التأمل العميق والتفكير النظري الخالص والجهد المنظم أن تفهم الكون وأن تعرّف على نظامه وعناصر تكوينه ثم مع الفلاسفة المتوجلين ومع سocrates وأفلاطون وأرسطو وسُعَّت الفلسفة دائرة اهتماماتها فصارت تحاول أن تفهم طبيعة الإنسان والمجتمع والحاضر والماضي والمصدر والمعنى والمصير وكانت تقترح القوانين لتنظيم المجتمعات

(١) في مقال له بعنوان (الفكر الفلسفي هو العامل الحاسم في ثقافة الغرب)، نُشر في (جريدة الرياض: ١٧/٤/٢٠٠٤).

(٢) في مقال له بعنوان: (أصلة الظلم في الطبيعة البشرية)، نُشر في (جريدة الرياض: ١٦/٧/٢٠٠٣).

وتتحرى بها تحقيق العدالة وتقييد السلطة وتقليل أسباب الجور كما كانت تبشر بالقيم الإنسانية العليا وتُشيع الإيمان بالنزعة الفردية وتحرض الأفراد على الخروج من كهوف السائد من الأفكار والقيم والممارسات كما ابتكرت الفلسفةُ النظام الديمقراطي وأشاعت الحرية وأكَدت على حقوق الإنسان وتقييد السلطات وإشهار حق الناس بالأمان وبالشفافية والوضوح والخروج من قيود الخوف وخنادق الإخفاء . . . (إلى أن قال) : . . . إن الفلسفة اليونانية التي ورثها الأوروبيون كانت طفرة هائلة في التفكير البشري لذلك فإنها في ذلك الوقت المبكر من التاريخ الإنساني»^(١).

وانظر -رعاك الله- كيف يضع إبراهيم البليهي رموز الحداثة والزندقة المعاصرين كأدونيس وجبران خليل جبران وجبرا إبراهيم جبرا في قائمة الإبداع والمبدعين؟! ويا ليت شعري أي إبداع هذا؟!

يقول في شأن أدونيس^(٢): «في مجتمع تقوم ثقافته على المشافهة وتعتمد السمع ويستهويه الارتجال في الفكر والفعل وينحصر عنده الإبداع في قول الشعر وتوارثت أجياله هذا التطبيق الخالق للإبداع . . في مثل هذا المجتمع كالمجتمع العربي لا يجد المبدعون وسيلة للتعبير عن أنفسهم سوى فن الشعر الذي هو فن العاطفة وليس صناعة العقل وهو فن الارتجال وليس نتاج الاستقصاء ولا ثمرة الجهد المدید لذلك نجد أن مبدعاً تنوَّعَ مجالات نبوغه مثل غازي القصيبي لا يريد أن يعرفه الناس إلا بأنه شاعر ويرى أنه لن يبقى من إنتاجه سوى الشعر ولن يتذكرة الناس إلا بما أبدعه في هذا المجال رغم أنه أبدع في مجالات كثيرة ومتباعدة

(١) في مقال له بعنوان: (علوم الغرب ما زالت نشاطاً فلسفياً)، نشر في (جريدة الرياض: ٢٠٠٤ / ٣١ / ١٠).

(٢) هو شاعر سوري باطني نصيري خيِّث من زنادقة هذا العصر، جحد الوحي وأنكر ثبوته، واسمه «أدونيس» يعني إله الخصب عند الفينيقيين!!!، وبعد أدونيس من أبرز شعراء الحداثة والمجون والفسق والخلاعة في العصر الحديث. انظر: «مجلة البيان»: (العدد: ١٦٤)، ص: (٧٤). ٠

ومثله يفعل أدونيس فهو يعتقد بأن الناس سوف لا يذكروننه بالثابت والمتحول بمجلداته الأربعه ولا بغیره من الكتابات التشرية المثيرة والكثيرة وإنما يريد أن يُعرف بأنه شاعر وهو يفضل هذا الوصف على وصف المفكر أو المثقف أو الكاتب أو الباحث»^(١).

ويقول في شأن جبران خليل جبران^(٢): «هناك أديب له شهرة عالمية هو جبران خليل جبران متخصص دراسياً في الفن التشكيلي (الرسم) ولكن لأنّه عاش في الغرب فإنه قد أبدع في الرسم مثلما أبدع في الشعر وفي الفن الروائي وفي الكتابة وقد راجت لوحاته في الغرب مثلما راجت أشعاره وكتاباته أما في المجتمعات العربية فإنه لا يُعرف إلا بأشعاره ورواياته وترجماته وكتاباته وحتى هذه لا يعرفها سوى شريحة محدودة من المثقفين»^(٣).

ويقول في شأن جبرا إبراهيم جبرا^(٤): «إذا كان جبران خليل جبران قد

(١) في مقال له بعنوان (تنوع مجالات الإبداع)، نُشر في (جريدة الرياض: ٢٠٠١/٥/٦).

(٢) هو: جبران خليل جبران بن ميخائيل، ولد عام ١٨٩٥ هـ / ١٣١٣ م لأسرة لبنانية مارونية، وسافر من صغره إلى بوسطن في أمريكا، وتعرف على ماري هاسكل فغيرت مجرى حياته، وسافر إلى باريس لتعلم الرسم على نفقها، شارك في تأسيس الرابطة القلمية عام ١٩٣٨ هـ / ١٣٣٨ م في أمريكا وهي التي روجت لكتبه، مات في نيويورك عام ١٩٤٩ هـ / ١٣٤٩ م، يعتبره الحداثيون القائد الأول للاتجاه الحداثي بسبب ما لديه من عقائد إلحادية، وشكّيّة، وانحرافات سلوكيّة مثل الشذوذ الجنسي، إضافة إلى غرور شيطاني رکبه كان يعتقد معه أنهنبي مخلص، ويعتقد أيضاً عقيدة التناسخ، إضافة إلى أنه عند وفاته طلب الكاهن الخوراسغ فرنسيس واكيم راعي كنيسة القديس يوسف المارونية في نيويورك ليموت بين يديه، فببسن الخاتمة -عياداً بالله-. انظر: «تاريخ الشعر العربي الحديث»: (ص/ ٢٩٥) لأحمد قبش، «أوضاعه جديدة على جبران» لتوفيق صايغ، و«المرشد لترجم الكتاب والأدباء»: (ص/ ٤٦) للثانية بلجاج.

(٣) في مقال له بعنوان: (تنوع مجالات الإبداع)، نُشر في جريدة الرياض، بتاريخ: ٢٠٠١/٥/٦.

(٤) هو: جبرا إبراهيم جبرا، شاعر وناقد حادثي نصراني من فلسطين، رأس مجموعة الشعراء التمزجين الذين يُصوّرون حاضر العرب والمسلمين: عقيدة وسلوكاً وقيمًا وانتماً؛ تصوّرًا مليئًا بالشتم والاستخفاف، يصوروون ذلك كله أرضاً خراباً مات فيها القيم الإنسانية ومعالم الحضارة، ثم يُلْوِّحون بقيم جديدة وعقائد جديدة، ويرون أنَّ بلوغ العالم الجديد الذي يتوقفون إليه ويتمنون عقدياً =

تخصص دراسياً في الرسم وأبدع فيه وفي الأدب والفكر فإن جبرا إبراهيم جبرا عكسه تماماً فقد تخصص دراسياً في الأدب ونال الماجستير من بريطانيا في الأدب الانجليزي لكنه أبدع في مجال تخصصه كما أبدع أيضاً في الفن التشكيلي فهو رسام مبدع وصدرت دراسات عن إبداعه في مجال الرسم لكن في المجتمعات العربية يعرفه المثقفون بأنه شاعر وباحث وناقد ومتلجم وقاص وروائي^(١).

ويصف زكي نجيب محمود الذي يعد رمزاً من رموز العلمانية المعاصرة^(٢)، بأنه المفكر العظيم، وأنه من أبرز الناصحين للأمة، حيث يقول: «وقد كان المفكر العظيم زكي نجيب محمود رحمة لله من أشد المفكرين العرب إحساساً بالمشكلة الثقافية وأكثرهم معالجة لها وأطولهم حديثاً عنها لكن جهده ضاع في أمة لا تقرأ وإذا قرأت لا تدقق ولا تمعن النظر في ما يقال وتحكم على الأفكار والرجال والأعمال بحكم مسبق.. (إلى أن قال) .. وقد كان هذا المفكر الكبير من أبرز المفكرين الناصحين للأمة ومن أشد هم إلحاحاً عليها بأن تأخذ بأسباب النهوض وكان ناشطاً إلى آخر يوم من حياته»^(٣).

= إليه لا يكون إلا بالموت والهدم الذي يعقبه البئث والخصب أي بعث الآلهة تموز (وثن آشورى بابل) كانوا يعتقدون أنه رب المحاصيل والإنبات وأنه يموت كل شتاء ويولد في كل ربيع)، وأدونيس (وثن الخصب اليوناني). انظر: «الانحرافات العقدية في أدب الحداثة وفكرها»: (١/٢٣٥)، «الحداثة الأولى»: (ص/١١٢، ١١٥، ١١٥) لمحمد جمال باروت، و«تاريخ الشعر العربي الحديث»: (ص/٧٢٦).

(١) في مقابل له بعنوان: (تنوع مجالات الإبداع)، نشر في جريدة الرياض، بتاريخ: ٦/٥/٢٠٠١ م.

(٢) هو أحد رموز التغريب في مصر، ومن يرون أنَّ العودة إلى الشريعة رجعية؛ بل وحشية؛ كما في قطع اليد والرجم وما أشبه ذلك، وأنَّ العقل له القداسة بحيث يقدَّمُ على النقل، ومفهوم الدين عنده يتمثَّلُ في مفهوم (وحدة الوجود) الذي يؤمِّن به (مخاينل نعمة)، ولزيجه وضلاله يحتفي بأمثاله من الزائفين الضالين (ابن الروايني)، (مزدك)، (الحلاج)، (إخوان الصفا). انظر: «أعلام وأفراز»: (٢/٢١٥-٢٢٩)، و: «مجلة البيان»: (العدد: ٦٩، ص/١٩٨)، (العدد: ٧٠، ص/٩١)، في دراسة

بعنوان (قراءة في فكر د. زكي نجيب محمود) (ج ١، ج ٢) للدكتور: نعمان السامرائي.

(٣) في مقابل له بعنوان: (الثقافة بين المفهوم العلمي والاستخدام العربي)، نشر في (جريدة الرياض: الأحد ٢٧ المحرم ١٤٢٧هـ - ٢٦ فبراير ٢٠٠٦م - العدد: ١٣٧٦١).

طــوها هو مشاري الذايدي يرُوّج لدِين ابن عَربِي القائم على زندقة (وحدة الوجود) في معرض حديثه عن التسامح لدى بعض المنحرفين الزائغين من المتصوفة، يقول: «ومن هذه الجملة الأخيرة، حقوق الإنسان، نمسك بـ«السر» الذي يوجه مثل هذه التصرفات من هذا العالم المحدث المتصوف، وهو الإيمان العميق بفلسفة الحب، بل إن عبد القادر كان يرى أن الناس، كل الناس، متrocون لله في شأن اختيارتهم الدينية، حتى ولو في أصول العقائد، ويقول في «مواقفه»، حسب سرد الباحث الجزائري، شارحاً حديثاً نبوياً في صحيح البخاري وغيره: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر واحد». يقول الأمير عن الحديث إنه: «أعم في الحاكم المجتهد في الفروع الشرعية، أو الأصول العقلية الاعتقادية، إذ لا فرق بينهما عند العارفين بالله تعالى، أهل الكشف والوجود، فإن كل واحد من المجتهدين في الفروع والأصول فعل ما كلف به، وبذل وسعه، فوصل إلى ما أداء اجتهاده». كان عبد القادر الجزائري يتمثل، وهو يشرح قواعد التلاقي الانساني، ويحاول بناء جسور التواصل بين أبناء الأسرة الإنسانية الواحدة، بوصفهم يبحثون عن حقيقة واحدة، كان في ذلك يتمثل فلسفة الحب التي أطلقها من قبله شيخه ابن عَربِي، وقد دفن الجزائري بجواره في دمشق. ابن عَربِي الذي هتف قبل مئات السنين:

أدين بدين الحب^(١) أني توجهت... ركابه فالحب ديني وإيماني

(١) دِين الحب عند ابن عَربِي قائم على زندقة (وحدة الوجود) التي تُعد العقيدة الكبرى في عقائد الصوفية، وهي تعنيــ بأوجز عبارــةــ: أــن اللهــ جــلــ عــلاــ وــالــعــالــمــ شــيــءــ واحدــ!ــ اوــ عــلــيــهــ؛ــ فــإــنــ الــقــومــ رــاــبــنــ عــربــيــ فــيــ مــقــدــمــتــهـــ يــعــتــقــدــونــ أــنــ اللهــ تــعــالــيــ هــوــ كــلــ مــاــ يــرــىــ،ــ بــلــ وــمــاــ لــاــ يــرــىــ أــيــضــاــ،ــ وــلــذــلــكــ يــقــولــ ابنــ عــربــيــ:ــ «ــفــقــلــ فــيــ الــكــوــنــ مــاــ شــتــ،ــ إــنــ شــتــ قــلــتــ:ــ هــوــ الــخــلــقــ،ــ إــنــ شــتــ قــلــتــ:ــ هــوــ الــحــقــ...ــ

فــلاــ تــظــرــ العــيــنــ إــلــاــ إــلــيــهــ وــلــاــ يــقــعــ الــحــكــمــ إــلــاــ عــلــيــهــ»ــ اــهـــ يعنيــ الزــنــدــقــ أــنــ كــلــ مــاــ كــلــ مــاــ تــقــعــ العــيــنــ عــلــيــهــ فــيــ الــحــيــاــ فــهــوــ اللــهــ تــعــالــيــ اللــهــ عــمــاــ يــقــوــلــ الزــنــادــقــ عــلــوــاــ كــيــرــاـــ،ــ ســلــ الصــوــفــيــ فــيــ الــمــواــخــيــرــ مــنــ تــرــىــ ثــمــ؟ــ وــســلــ الصــوــفــيــ يــرــعــيــ الــخــنــاــزــيــرــ مــاــذــاــ تــســوــقــ؟ــ وــســلــ الصــوــفــيــ يــرــىــ

لكن، ومنعاً لتضخم البياض الكاذب، فإن أمثال عبد القادر الجزائري، ندرة في تراثنا، مسورون بأسلاك التصنيف والتضليل، ولكن لا بأس، فالنادر هو الأغلبي»^(١).

ويقول أيضًا - في سياق مدحه وثنائه على الصوفية وحلقاتهم البدعية - : «غير أن التغيير يبدأ من داخل كل واحد منا ، و«إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يُقَوِّمُ حَتَّى يُغَيِّرَوا مَا يُغَيِّسُهُمْ» وأنه ما لم تشرق شمس التسامح من داخل القلب فلن ينفع أي شيء آخر ، أو كما قال العُمُر إبراهيم دمرجي ، باائع البقالة التركي المسلم في إحدى ضواحي باريس ، للفتى اليهودي الفرنسي الصغير ، الذي تبناه ، كما في الفيلم الفرنسي

= الجيف المتنة ، والرمي البالية ماذا ترى؟ إنك ستسمعه مجنيا - وهو يحدجك بالنظرية الساخرة - إنه الله !! وعليه كما هو الشرط الثاني من البيت فإنَّ من عبد عجلاً أو صنَّماً أو صليباً أو حجراً أو وثنا فهو - عند الزنادقة - عابدُ الله على الحقيقة.

إذاً فالمعبود عند الصوفية لا يختلف من دين لآخر فالكل هو الله ، وفرأعوا على ذلك صحة كل دين لأنَّ المعبود في كل دين هو الله؛ ومن هنا يجب على المرء محبة جميع الأديان ولا معنى حينئذ ولا وجه لبغض الأديان الأخرى التي لا يدين أصحابها بالإسلام إذ أنَّ الكل واحد على الحقيقة.

وانطلاقاً من هذه الزنادقة البشعة صرَّاح ابن عربى قائلًا : «فإياك أن تقييد بعقد مخصوص ، وتكفر بما سواه ، فيفوتك خير كثير ، بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه . فكن في نفسك هيولى (أي ما يقبل التأثير) لصور المعتقدات كلها ، فإنَّ الله تعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عقد دون عقد ... إلى أن قال) : ... وما ثمَّ إلا اعتقادات ، فالكل مصيبة ، وكل مصيبة ماجوز ، وكل ماجوز سعيد ، وكل سعيد مرضي عنه» اهـ فقول ابن عربى هذا يعني بكل صراحة ووضوح أنَّ تجعل نفسك مهيأة لتقبل كل معتقد ، ومحبته والرضا به ، واعتقاده أنه حق . واحذر أن تقييد نفسك بدین خاص وتحارب سواه ، فالآلهة المعبودة في كل دين هي في حقيقتها الآلهة الواحدة!! وهذا ما ترجمه ابن عربى شرعاً بقوله :

لقد صار قلبي قابلاً كُلَّ صورة فَمَرَعَى لِغَزْلَانِ وَذَبَرِ لِرَهْبَانِ
وَبَيْتِ لَوْثَانِ وَكَعْبَةُ طَائِفِ وَالْوَاحِدِ تُورَّةُ وَمَصَحِّفُ قَرْآنِ
أَدِينُ بَدِينِ الْحِبِّ أَتَى توجَّهَتِ رَكَابِهِ فَالْحَبُّ دِينِي وَإِيمَانِي .

انظر : «فصوص الحكم» : (ص/ ١١٣) لابن عربى ، و«تنبيه الغبى في تكفير ابن عربى» : (ص/ ٩٨ ، ١٠٠ و ٢٤١)، و«الصوفية... نشأتها وتطورها» : (ص/ ٦٠ ، ٥٩)، لمحمد عبده وطارق عبدالحليم .
(١) في مقابل له بعنوان : «إسكندرية... ليه» ، نُشر في جريدة الشرق الأوسط ، بتاريخ الثلاثاء : ٢٠ ربیع الأول ١٤٢٧ھـ ، ١٨ ابریل ٢٠٠٦م ، العدد : (١٠٠٣).

البهي «إبراهيم وزهور القرآن»، قال له: لا تبحث عن الحقيقة في الكتب، بل ابحث عنها في قلبك. وحينما أخبره وهو يصطحبه معه في رحلة طويلة بالسيارة من فرنسا إلى تركيا، وفي إحدى قرى الاناضول لكي يحضر معه حلقة رقص صوفي لفرقة من الدراوיש وهم يدورون باستمرار على أنفسهم، قال له وعيناه تلمعان بشموس من التسامح والحب: «إنهم يدورون على قلوبهم، لأن الله في قلوبهم»^(١).

ويقول-في معرض ثنائه على أحد رجالات التنوير-: «... وأخيراً، وفي مشهد حزين، رحل رجل من رموز الثقافة والاستنارة، سخر حياته الصحفية الحافلة لخدمة النقد والتنوير في العالم العربي كله، ليس في مصر وحدها، وهو الناقد رجاء النقاش^(٢)^(٣).

(١) في مقال له بعنوان: «لوعدم من حيث بدأتم»، منشور في (موقع العربية نت)، الثلاثاء ٢٢ ربيع الأول ١٤٢٨ هـ - ١٠ أبريل ٢٠٠٧ م.

(٢) يعد رجاء النقاش رمزاً كبيراً من رموز الحداثة والتنوير في مصر، وكان نافذاً أدبياً وصحفياً مشهوراً. تخرج من جامعة القاهرة قسم اللغة العربية عام ١٩٥٦ واشتغل بعدها محرراً في مجلة روزاليوسف المصرية بين عامي ١٩٥٩ إلى غاية ١٩٦١، ثم محرراً أدبياً في جريدة أخبار اليوم وجريدة الأخبار بين الفترة الممتدة من عام ١٩٦١ حتى عام ١٩٦٤، كما أنه كان رئيس تحرير للعدد من المجلات المعروفة منها مجلة الكواكب ومجلة الهلال كما تولى أيضاً منصب رئيس تحرير ورئيس مجلس إدارة مجلة الإذاعة والتلفزيون.

وقد عمل على تقديم عدد من رموز الثقافة الحداثة العلمانية من أمثال: (محمد درويش، سميح القاسم، أحمد عبد المعطي حجازي- صلاح عبد الصبور- الطيب صالح...).

كما نافح بكل حرارة وبسالة عن بعض الروايات المليئة بالزندقة والإلحاد والغ隽ور؛ كما هو الشأن في رواية: «أولاد حارتنا» (نجيب محفوظ)، ورواية: «وليمة لأعشاب البحر» (حيدر حيدر)، ورواية: «العار» (تسليمة نسرين).

انظر: «الموسوعة الحرة» على الشبكة العنكبوتية، دراسة بعنوان: «قضية خاسرة ودفع متهافت- رجاء النقاش يدافع عن «أولاد حارتنا»، د. إبراهيم عوض.

(٣) في مقال له بعنوان: «مما جرى في مصر والثقافة التخويفية»، جريدة الشرق الأوسط: الثلاثاء ٦ صفر ١٤٢٩ هـ ١٢-٢٠٠٨-العدد: (١٠٦٦٨).

المعلم الثالث: موقفهم من التراث وال تاريخ الإسلامي

المتأمل في مقالات الليبراليين، الدارس لها بتفحص وتمعن يظهر له -بجلاء- أنَّ موقفهم من التراث يتمثل في الجوانب الآتية:

الجانب الأول: وصم هذا التراث بالرجعية والتخلف والتحجر والجمود على الماضي وعدم استشراف المستقبل، وبالتالي عدم جدواه في ظل المستجدات الحديثة:

أ- يقول محمد محمود: «لن نستفد من تراثنا ما لم نسلط عليه ترسانة العلوم المعاصرة، لن نصنع عالمنا ما لم يحرر تراثنا من أسر الفهوم التي تشنق قدرة هذا التراث على الفعل الإيجابي في سياق العصر»^(١).

ويقول بكل استخفاف: «تصنيم التراث لم يقتصر على التراث، وإنما تعداه إلى سدنة التقليد، المتشددين بضمان التراث وحمايته، لقد أصبح هؤلاء السدنة أعظم صنمية من مقولات التراث ذاتها»^(٢).

وانظر إليه كيف يضم الشفافة الإسلامية القائمة على ذلك التراث الأصيل بالرجعية والتقهقر والارتباط بعالم الغيب!!!، يقول: «وبما أن الانهزامية الرجعية، وروح التقهقر، والارتهان للمعنى الميتافيزيقي^(٣) على حساب

(١) كتاب الرياض الإلكتروني "حروف وأفكار": (ص/١٤) لمحمد بن علي محمود.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الميتافيزيقا METAPHYSICS: مصطلح فلسفى يُراد به ما كان في دائرة الغيبيات، ويعبر عنه أيضاً بما هو كائن (وراء المادة أو الطبيعة). انظر: «معجم المطلحات الفلسفية»: (٢/١٣٤) لخليل أحمد خليل.

الإنسان، ظاهرة لا تغيب عن أي تجمع إنساني، فإنها لم تكن غائبة عن رحلة الإنسان الأوروبي نحو العلم والحضارة، ولكنها لم تكن هي المهيمنة على مجمل الوعي في كل مراحله. وهذا هو الفرق الحاسم. في بينما هي استثناء وهامش هناك، بقيت أصلًا ومتنا في ثقافتنا البائسة»^(١).

ويقول: «إن الركام التاريخي الهائل من التخلف والانحطاط وازدراء الإنسان، هذا الركام الذي تم الاحتفاظ به كتراث خاص وكتاريخ مجيد، بحيث يتمحور الوعي حوله، ويتشكل بروحه، يقف حاجزاً منيعاً ضد أي فعل تنويري حقيقي. هذا الركام هو عدو التنوير، وإن كان يمد عمليات التدليس والتزوير التي تتلبس بالتنوير بمفردات تحفظ لهذا التدليس نوعاً من الاتساق التلفيقي (التوفيقي) الذي يمنحه شيئاً من القابلية للاستهلاك الجماهيري الساذج»^(٢).

وقد ترتب على هذا الموقف السلبي من تراث الأمة، دعوة خطيرة إلى التحرر من هذا التراث والانعتاق منه، وضرورة نقده -بدعوى التجديد والاجتهاد-، كما ظهر ذلك جلياً من خلال النقوّلات السابقة.

إن هذه الدعوة الخطيرة ترفع في ظاهرها شعارات براقة خلابة كالتجديد والاجتهاد، غير أنها تحمل في طياتها سُمّاً زعافاً ورجساً قذراً فهي كما يقال: (كلمة حق أريد بها باطل)، ذلك لأنها لم تؤسس في حقيقتها على تقوى من الله، ولا على هدى منه -جل وعلا-، ولذلك أن تبصر ذلك من خلال النقاط الآتية:

١- أنّهم ينطّلقون في حركة تجديدهم واجتهادهم من نظرة استعلائية ملؤها الغطرسة والغرور حيث ينظرون لهذا التراث وأصحابه نظرة احتقارٍ وازدراء كما تقدّم معنا.

(١) في مقال له بعنوان: «المستقبل لهذا الإنسان»، نُشرَ في جريدة الرياض، بتاريخ الخميس ١٤٢٧هـ ١٣ يناير ٢٠٠٥م - العدد: (١٣٣٥٢).

(٢) جريدة الرياض، الخميس ٢ ذي الحجة ١٤٢٥هـ - ١٣ يناير ٢٠٠٥م - العدد: (١٣٣٥٢).

- ٢- أنهم ينطلقون في حركة التصحيح والقد من منهج تغريبي خارج عن تراث الأمة وقيمها الأصيلة.
- ٣- أنهم يرمون من وراء ذلك إلى تمييع الدين، وإفراجه من معانيه الأصيلة وحقائقه الشرعية، وتطويعه بحيث يكون ملائماً لأسиادهم من الغربيين.
- ٤- أنهم لا يملكون أدوات التجديد والاجتهد الشرعية؛ إذ إنهم أجهل الناس بها، ومع ذلك تراهم عبر المجالات والجرائد والقنوات الفضائية ينعون ويصيرون بضرورة هذا الأمر.
- ٥- أن أهم عامل في ثبات الجيل الأول على أصول دينه ارتباطه بتراث سلفه من العلم النافع الأصيل، وهذا مصدر قوته لهذا الجيل، وتفریغه من هذا الأمر وقطع صلته به فيه إضعاف لهذا الجيل، وإضعاف لدينه؛ فيسهل اختطافه ثقافياً وفكرياً.

فدعواهم إذا بالتجدد والاجتهد في هذا التراث لا تعدو -في حقيقة الأمر- أن تكون إلا تحريفاً وتخريباً وتدميراً لهذا التراث -عيادة بالله-.

الجانب الثاني: وصم هذا التراث بالتشدد والعنف والإقصاء واللامانية، وأنه المنبع الأساسي للتکفير والتبدیع والتضليل الظالم:

أ- يقول منصور النقيدان: «الجنون الذي نراه اليوم عرض من أعراض المرض والعلة التي استشرت في جسد هذه الأمة وثقافتها ، وهذه راجعة أساساً إلى تراث متعمف ، وثقافة الصدید والضھالة التي يربى أبناؤنا عليها صباحاً ومساءً ، في المساجد ، وعبر خطب الجمعة ، وفي دروس الدين ، ومن إذاعة القرآن الكريم»^(١).

• تعليق:

فانظر -يا رعاك الله- إلى قلة الدّيانة ، وبذاءة اللسان أن يُوصف تراث الأمة بالمتعمف !! !! :

(١) انظر موقعه على الشبكة العنكبوتية.

بــ ويقول محمد بن علي المحمود: «ثقافة الإرهاب المعلنة التي تدعو صراحة إلى التكفير والقتل تشرعن لذلك بطرح شرعى سلفي يتكئ على مقولات السلف واستدلالاتهم ، والإعلام الذى يصدر التفجير والقتل- بجز الرؤوس- كل ذلك خدم الإرهاب الخفي الكامن فى خطاب التطرف المتعاطف مع الإرهاب»^(١).

ويقول: «الإرهاب جزء من مكونات السلفية التي كانت ولا تزال تتغنى بقتل المعارضين بوصفهم زنادقة ومارقين^(٢) وربما بوصفهم عقلانيين . . .»^(٣).

ويقول مندداً بالتراث السلفي: «... هذه الدعاوى الأصولية يمكن أن يكون لها وجه منطقي لو كانت المنظومة السلفية -في أساسها- خالية من مفردات التبديع والتضليل والتکفير على امتداد تاريخها ، لو أنَّ التطرف والتعصب الذي اتختمت به المراجع السلفية»^(٤).

ويقول: «على السلفية التقليدية وما يتبعها من حركات أصولية أن تؤكد على أنَّ حالتها الراهنة المعلنة ، إنما هي تراجع حقيقي عن المفردات السلفية التاريخية ذات المنحى الإقصائي ، لا يكفي مجرد السكتوت المؤقت.

المنظومة السلفية -كتوصيف واقعي- مليئة بالتبديع والتضليل والتکفير فهل تجرؤ رموز السلفية والأصولية المعاصرة أن تبرأ بصرامة ووضوح من كُلّ ما ورد على هذه الصورة في التراث السلفي ، ولو كان القائل به من الرموز الكبار والمرجعيات العظام؟!»^(٥).

(١) كتاب الرياض الإلكتروني «حروف وأفكار»: (ص/٢٩) لمحمد بن علي المحمود، في مقابل له بعنوان (قنوات الدعاية للإرهاب) وقد نُشر في جريدة الرياض بتاريخ: ٦/١٠/٢٠٠٥ م.

(٢) أرأيت أخي القارئ كيف ينادي المحمود بكلٍّ جرأة وواقحة عن أسلافة من الزنادقة والملاحدة؟!

(٣) المصدر السابق: (ص/٤٤) في مقابل له بعنوان: (مفهوم التسامح) (٢-٢).

(٤) المصدر السابق: (ص/٤٤)، في مقابل له بعنوان (قنوات الدعاية للإرهاب) وقد نُشر في جريدة الرياض بتاريخ: ٦/١٠/٢٠٠٥ م.

(٥) المصدر السابق: (ص/٤٥)، في مقابل له بعنوان (قنوات الدعاية للإرهاب) وقد نُشر في جريدة الرياض بتاريخ: ٦/١٠/٢٠٠٥ م.

ويمضي قائلاً في توصيف العقيدة السلفية متهكمًا عليها: «... ولا يقل وضوحاً عن النصين السابقين في دلالتها عن الإقصاء والنفي والتکفير ومعاداة الآخر قولهم في مقرر التفسير للصف الثاني ثانوي ص ٣٢: «سئل الإمام أحمد رَحْمَةُ اللَّهِ عَمَّنْ يَقُولُ: القرآن مخلوق؟ فقال: كافر، فقيل بما كَفَرْتَهُ؟ قال: بآياتِ من كتاب الله: ﴿وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَفْوَاهَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَعَنَ الظَّالِمِينَ﴾ والقرآن من علم الله ، فمن زعم أنه مخلوق فقد كفر» .

ولك أن تتصور الطالب في الصف الثاني ثانوي وهو يتلقى مثل هذا الكلام مشيعاً بالتبجيل والتقديس للقائل^(١).

ولا عجب بعدما تقدّم أن يرمي المحمود الشقاقة الإسلامية بأنّها ثقافة لا إنسانية؛ لأنها تُصنّف الناس بحسب دينهم إلى مؤمن وكافر !! ، يقول: «تصنيف الإنسان - لتحديد قيمته كإنسان - على أساس من قوميته أو دينه أو وطنه أو لونه .. الخ هو تعبير صريح عن سلوك لا إنساني ، أنتجته ثقافة لا إنسانية بالضرورة».

ويقول في نفس المقال: «درس الإنسان لم يكن حاضراً في تراثنا ، أو -على نحو أدق- لم يكن حاضراً بالدرجة التي تكفي لزححة تصورات بدائية تمتّهن القيمة الإنسانية في سبيل الأسطوري والخرافي . لقد حاول محمد أركون في كتابه الرائع (معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية) أن يبرز ما كان مطموراً من تراثنا المتأنسن ؛ بوصفه كان بدأية لمشروع إنساني عربي كتب عليه الفشل . لكن ، لا الأشخاص ولا الإنتاج المحدود الذي اشتغل عليه يكفي لأن يكون متّكاً لمشروع معاصر .

(١) كتاب الرياض الإلكتروني «حرروف وأفكار»: (ص/٤٥)، في مقابل له بعنوان (قنوات الدعاية للإرهاب) وقد نُشر في جريدة الرياض بتاريخ: ٦/١٠/٢٠٠٥ م.

الأبعاد الإنسانية في الطرح التراثي كانت خروجاً عن النسق الثقافي، وزمنها كان استثناءً من التاريخ العام للأمة. إننا مهما احتفينا -الآن- بالجاحظ أو مسكتوبه أو التوحيد أو المعربي.. الخ؛ فسيبقى هذا الاحتفاء مجرد مرافة هزيلة عن الذات. هؤلاء يؤكدون -بمغایرتهم- أن الركام الهائل من التراث لم يكن يتلقى معهم في الهم الإنساني، وإنما كان -بكل زخمه- التقىض الثقافي، بل والاجتماعي لكل ما طرحوه.

وإذا أضفنا إلى ذلك أن هؤلاء -على كل ما لهم من اعتبار ثقافي كبير في السياق الفلسفية أو الثقافي والأدبي -لم يكن لهم تأثير فعلي في تصورات الأمة ووجودها العام، أدركنا أن وجودهم في تراثنا كان وجوداً نظرياً، أي أنه كان في الحقيقة وجوداً غير معتبر. الأمة كانت تسير خلف الأشعري والغزالى وابن تيمية.. الخ، ولم يكن جميع مؤنسني الثقافة منها -بجميع ما أنتجه -يعدلون أثر مؤلف واحد، لأحد هؤلاء.

ويقول في نفس المقال: «تأملنا لمفردات الاجتماعي وجزئياته، سواء العام منها أو الخاص، ندرك أننا لم نكن أحفاداً للجاحظ والمعربي والتوكيد، وإنما كنا أحفاداً للمكفراتية والمبدعاتية والمفسقاتية.. ! هذا الإرهاب المجنون الذي قاسيناه ونقاسيه هنا، وهذا الشبق العارم للقتل في العراق خاصة، وفي غيره من أقطار العروبة والإسلام، بل هذا الأسلوب الوحشي في القتل والإرهاب الذي تمارسه جماعة الزرقاوي وغيرها من صبية القاعدة الخارجية، هذا الإرهاب إلى أي مقولات يحتمكم، ومن أية مرجعية تراثية يستنقى؟ . هل مصادره سلفيات تقليدية إقصائية، نعرفها جميعاً ونتردد في تعينها أم أنها لزوميات المعربي ورسائل الجاحظ وهوامل التوحيد؟ !!!

الإرهاب هو السلوك الأبرز، والأشد إعلاناً عن نفسه في نفيه للإنساني من محيط ممارسته، الإرهاب الذي نراه هنا وهناك هو التعبير الصارخ عن الوعي

اللإنساني المتعدد داخل نسيجنا الثقافي ، والذي قد يأخذ صوراً أخف وطأة وأقل عنفاً مما هو عليه في الحالة الإرهابية . لكن ، ليس هو التعبير الوحيد عن غياب القضية الإنسانية في وعي شرائح عريضة من مجتمعاتنا المتخصمة بتصورات الإقصاء والنفي^(١) .

جـ- ويقول يوسف أبا الخيل : «إن إشاعة مثل هذا النشاط المسرحي الذي كسرت به أمانة منطقة الرياض المأثور وحامت حول الحمى بل ودخلته يجب أن يعمم على كافة المناطق بأن يكون للفنون بكلفة مناشرتها نصيب مفروض في الأعياد والمناسبات كافة ، بما فيها المناسبات الوطنية كالاحتفالات باليوم الوطني وأن لا نستمر نخافل فقط للتحرر من ربيقة خطاب متشدد باض وفرخ على ثقافتنا ردحاً من الزمن حتى صرفاً عن الاستمتاع بما أحل الله ورسوله لنا مما جعل الفرصة تلو الفرصة تحل وتؤسس لتوطين الشدد والتطرف وتدشين ثقافة الموت التي انتشرت في مناشرتنا التعليمية والدعوية ردحاً من الزمن نتيجة لغياب ثقافة الفنون البديلة التي استبدلت بعرض متحركة ومتعبوب عليها من أجل إثراء ثقافة تلامذة في عمر الزهور عن كيفية التكيف والتيسيل والتجهيز للدفن مما يغيب معه أية إشاعة لقيمة الحياة ويحضر بدلاً منها في أذهانهم ووعيهم ولا حقاً في لا وعيهم حب الموت وكراهيته الحياة واستحضار تفاهة الدنيا واعتبار ما أعطيه من سنوات في هذه الحياة بمثابة استعداد لرحيل أعطي جزءاً من فصوله وهو لم يزل بعد غضن العود طري الفواد .

إنها دعوة لإشاعة الفرح وقيمة الحياة ودفن لثقافة الموت والتزهيد في الدنيا ، فهل تكون مبادرة أمانة منطقة الرياض في عرضها المسرحي الأخير على هامش احتفالات العيد هي البداية لقطيعة معرفية مناشرية لا رجعة فيها مع ثقافة الموت؟

(١) في مقال له بعنوان : (نحن .. والإنسان) ، نُشرَ في جريدة الرياض ، بتاريخ : (الخميس ٤ ربيع الآخر ١٤٢٦هـ - ١٢ مايو ٢٠٠٥م) - العدد : (١٣٤٧١).

كل العشم والأمل أن لا تبادر مناشرط وثقافة ذلك الخطاب المتشدد لوأد هذه البداية الواعدة مع إشاعة ثقافة التسامح والابتهاج بالحياة»^(١).

ويقول حسن بن فرحان المالكي: « ولو أن الحكومة والأغنياء اقتصرت على نشر الكتب المحايدة، لكان أولى، كالمصحف الشريف ثم الصحيحان وكتاب الأم للشافعي وكتاب الاستذكار لابن عبد البر ونحوها لكان أولى، بل حتى الكتب المذهبية كالمعنى في فقه الحنابلة والسنن الكبرى للبيهقي في فقه الشافعية والعنائية في الفقه الحنبلي والمدونة في الفقه المالكية لكان أولى من نشر الكتب الموجلة في المذهبية التي لها أثراًها البالغ في زيادة الغلو وتفكيك وحدة المسلمين وزيادة تنازعهم، ككتب ابن تيمية وكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمهما الله- فهذه الكتب تزرع من الشقاوة أكثر مما تزرعه من الخير، ولا تقاد تدخل بيئاً إلا وانتشر فيه الخلاف والتهاجر والتباغض... لأنها تركز على أمور خلافية ثم تنصر الرأي المتشدد في هذه الأمور، ثم ترتب على عدم اتباع هذا الموقف التكفير أو التبديع مع وجوب الهجر والبغض لمن لا يوافقهم على هذا الرأي؛ لأنه -في رأيهم- هو الإسلام ذاته! وهو النص! وهو الحق المطلق!...»^(٢).

ويقول: «وقد احتوت كتب العقائد- ومن أبرزها كتب عقائد الحنابلة- على كثير من العيوب الكبيرة التي لا تزال تفتكر بالأمة ولعلَّ من أبرزها: التكفير، والظلم... والقسوة في المعاملة... وزرع الكراهة الشديدة مع عدم معرفة حق المسلم»^(٣).

(١) في مقال له بعنوان: «الابتهاج بالدنيا كبديل لثقافة الموت»، نُشر في جريدة الرياض بتاريخ الثلاثاء: ١٣ شوال ١٤٢٦ هـ - ١٥٠٥ نومبر ٢٠٠٥م - العدد: «١٣٦٥٨».

(٢) «داعية وليس نبياً» حسن بن فرحان المالكي، هامش (ص/١٧٧). ط. دار الرازى، عمان-الأردن.

(٣) «قراءة في كتاب العقائد»: (ص/٩٦) للمالكي.

• تعليق:

أقول: كيف تنسج الأباطيل حول تراث السلف، بحيث يتهم بالإقصائية والتغطية والعنف؟!، بينما يترك عن عمد تراث أهل البدع والضلالة، العجدير حقاً بهذه الصفة، وللأخي القارئ أن تطالع سيرة الإمام أحمد بن حنبل رَحْمَةُ اللَّهِ وَتَمَلُّتُهُ، وتأمل في محتته مع المعتزلة والجهمية الذين امتحنوا الناس بخلق القرآن^(١)، وكيف أنهم ألهبوا جسده -رحمه الله رحمة واسعة- ضرباً بالسياط تحت حرّ الشمس المحرقة.

وقد كان أئمة المساجد يُمتحنون بخلق القرآن؛ فمن لا يُعجب يُعزل عن الإمامة، وقد قُتلَ عدد غير قليل من علماء أهل السنة لعدم قولهم بخلق القرآن!!

أولاً يتعرّضُ محمود وغيره لنقد المعتزلة، وأنهم كانوا إقصائيين لدرجة بشعة؟!

ألا يعرف هؤلاء الجهلة أن الرافضة والمعتزلة وغيرهم من النّاحِل الضالة هم أكثر الناس تكفيراً بعضهم ولغيرهم، واستباحة لدمائهم.

أما السلف الذين يشنون عليهم هذا الهجوم؛ فكانوا أعدل الناس قولهاً وفهمها للشريعة.

الجانب الثالث: وصم هذا التراث بعدم الموضوعية والازدواج عن الواقع، وأنه قائم على الخرافية والتنكر للعقل:

أ- يقول محمد محمود: «إنَّ النقد الحقيقي لا بدَّ أن يفك البنية العامة للمناهج، تلك البنية التي تكونت بفعل الوعي الجماهيري المتلبس بالخراطي والعاطفي»^(٢).

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء»: (١١/٢٥١-٢٥٣) للذمي رَحْمَةُ اللَّهِ.

(٢) كتاب الرياض الإلكتروني «حروف وأفكار»: (ص/٣٢)، في مقابل له بعنوان: (من حديث المناهج: المرأة والحجاب).

بـ- عبد الله بن بجاد يرى أن الكرامات هي من قبيل الخرافات التي تناهى العقل^(١).

ويقول: «وممّا لا شك فيه أنّ ضخّ هذا الحكم الهائل من الرؤى التنويرية في المجتمع ساعد إلى حدّ كبير في مواجهة كتب الخرافة التي تبحث في عالم الأرواح والشياطين وأحوال الجن وثعابين القبور»^(٢).

الجانب الرابع: وصم هذا التراث متمثلاً في كتاب الاعتقاد بأنّها كتب تجسيم وتشبيه:

- يقول حسن المالكي: «وقد احتوت كتب العقائد - ومن أبرزها كتب عقائد الحنابلة - على كثير من العيوب الكبيرة التي لا تزال تفتّك بالأمة ولعلّ من أبرزها: التجسيم الصريح . . .»^(٣).

الجانب الخامس: وصم هذا التراث بأنّه نشأ نتيجةً لد الواقع وصراعاتٍ سياسية:

أـ يقول حسن بن فرحان المالكي عن أئمة الحنابلة: «وتراهם يتناقضون في الصحابة ووجوب تقديرهم فيذمون الشيعة لأنّهم ينتقصون أصحاب النبي ﷺ بينما لا يذمون النواصي ولا يذكرونهم بسوء مع أنّهم كانوا يلعنون علي بن أبي طالب ويذمونه ويرمونه بكل طامة! سواء كان ذلك من قبل حكامهم من بني أمية أو علمائهم كحرizer بن عثمان وثور بن يزيد ونحوهم بل يقومون بالفعل نفسه عندما يعدون عمارة وأباذر وابن عديس وابن الحمق وغيرهم يعدونهم في اتباع عبد الله بن

(١) في مقال بعنوان: (هيمنة الخرافة)، جريدة الرياض: الاثنين: ١٠ رجب ١٤٢٦هـ - ١٥ أغسطس ٢٠٠٥ - العدد: (١٣٥٦٦)، وسيأتي تفصيل هذا في ص. ١٢٧.

(٢) كتاب الرياض الإلكتروني «حروف وأفكار»: (ص/٢٥)، في مقال له بعنوان (من حديث المناهج: المرأة والحجاب).

(٣) «قراءة في كتب العقائد»: (ص/٩٦).

سبأ مع أنهم من كبار الصحابة!!! وابن سبأ أقرب للأسطورة منه للحقيقة فضلاً عن الدور المزعوم الذي يزعمونه له حتى عدوا في أصحابه كبار البدرين !!! بالإضافة إلى أنهم عندما يتقدون من يسب الصحابة لا يريدون -في الأغلب العام- الدفاع عن أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة والزبير رضي الله عنه وإنما جل اهتمامهم في الدفاع عن الطلقاء وخاصة معاوية! فسب معاوية عندهم أعظم من سب علي . . .^(١).

ويقول: «وبما أنه من المعلوم عند عموم المسلمين أنَّ قتال المسلم للمسلم حرام فالسياسات تستعين بالعلماء الذين يسوغون للحكام قتال المسلمين وكان الشيعة يلزمون أهل السنة بالنصب والانحراف عن علي وأهل البيت ويعممون أخطاء الشاميين من المتسبين إلى السنة على جميع السنة فرد أهل السنة بأنَّ الشيعة يغلون في أهل البيت وعمموا أخطاء وعقائد غلاة الشيعة على جميع الشيعة ثم تجاوز بعضهم ودافع الباطل عنبني أمية وكأنَّ المطلوب هو الدفاع عنهم كالدفاع عن أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة رضي الله عنهم ، أصبح نقد معاوية بن أبي سفيان (وهو من الطلقاء) غير مقبول عند السنة وأدخلوه في كتب العقائد وامتحنا به الناس بعد أنَّ كان متقدموهم يذمون ظلم معاوية وانتزاوه على هذه بالسيف وجعله الخلافة ملِكًا عضوضًا واستئثاره ببيت المال وما إلى ذلك من المفاسد التي أحدثها . . .^(٢)».

ويقول: «والخلاصة هنا: أنَّ ما نشره في كتب العقائد من تكفير وذمٍّ مبالغ فيه للجهمية والقدرة والشيعة والمعتزلة كان اتباعاً منا للسياسة للأمية دون علم ، فنحن ورثنا خصومات علماء الشام مع هؤلاء ووصفهم لهم بالكفر والزندة والمجوسية والحكم عليهم بالنار. . . تماماً مثلما حكمنا على أبي حنيفة بالكفر

(١) «قراءة في كتب العقائد»: (ص/١٢٣).

(٢) «قراءة في كتب العقائد»: ص/١٥٣).

والزندقة . . . وحرارة هذا القول مني كان أسفًا مني على سنواتِ أضيعتها في بغض ولعن الجهمية والقدرية ولم أنتبه لبراءاتهما من أكثر ما نسب إليهما وظلمي لهما إلاّ بعد بحثي !! في الموضوع في فترة متأخرة وقد انخدع كثير من علماء الأمة الإسلامية بهذا وتواطأوا عليه تواطؤاً عظيمًا حتى أنَّ القارئ يشك في نفسه لولا وجود بعض العلماء الذين سبقوه لهذا القول.

حقًّا لقد صدق الرسول ﷺ عندما قال: «فساد أمتي على أيدي أغيلمة سفهاء من قريش» فنحن ننطق بالستهم إلى هذا الزمان ونبغض بقلوبهم وننزل الي ونعادي فيهم فتحقق (فساد الأمة) . . . إذن فقد قتلت الدولة الأموية غيلان الدمشقي وصاحب صالح والجعد بن درهم وجهم بن صفوان وزيد بن علي والحارث بن سريح وقبل ذلك الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير وكثيرًا من المهاجرين والأنصار وأبنائهم بالمدينة وواصلت الدولة العباسية المسيرة القمعية فقتلت من العلوين أضعاف ما قتل منهم في عهد بنى أمية وقد استعان الأمويون والعباسيون فيما بعد ببعض العلماء الموالين للسلطة !! للتصدي لهؤلاء أو تلاميذهم وإصدار الفتوى بقتلهم بل والشفعي من ذلك ثم استمر ذم هؤلاء بين العوام وطلبة العلم بناءً على ما أنسسه آباؤهم وأجدادهم من ذم هؤلاء المبدعة من القدرية والجهمية . . . »^(١).

بــ ويقول يوسف أبا الخيل: «وأولى الخطوات التي لا يخامرني شك في فاعليتها أن نوصل لعلاقة اجتماعية بعيدة عن حمئي التصنيف التي اجتاحت مجتمعنا منذ فترة على أيدي من ساقوا فكر الحاكمة بأن ذاك علماني والأخر متأمرك والقاصي ملتزم والداني غير ملتزم وآخرين من الفرق الناجية أما أصحاب ذلك المذهب فهم من الفرق الهالكة وهكذا اعتمادًا على تراث بشري يؤصل بالأساس لصراع ضلل معظمه السياسة وأجلبت عليه المصالح الآنية وقتها»^(٢).

(١) «قراءة في كتاب العقائد»: (ص/٨٤، ٨٥).

(٢) في مقابل له بعنوان: (ضرورة التلازم الفكري والعملي في محاربة الإرهاب)، نُشر في جريدة الرياض، بتاريخ: الثلاثاء ٧ ذي الحجة ١٤٢٥هـ - ١٨ يناير ٢٠٠٥م - العدد: (١٣٣٥٧).

• تعليق:

هذه التهمة الموجهة للتراث تحمل في مكوناتها تجريماً خطيراً للتراث ورموزه، وأنه لم يقم في حقيقة الأمر على الهدى والنور، بل قام على ضد ذلك من الهوى والمصالح الشخصية، ثم إنَّ فيه اتهاماً مبطناً لأصحاب التراث ورموزه من العلماء بأنَّهم لم يكونوا علماء ملئ بل كانوا علماء سلطة يسيرون في ركب الدولة أينما سارت ركابها، وأنَّهم كانوا طلاب دنيا ولم يكونوا طلاب آخرة.

والحق الأبلج - الذي هو كالشمس في رائعة النهار - أنَّ علماء الأمة الرَّبَانِيَّين كانوا ولا يزالون منذ فجر التاريخ وإلى يومنا الحاضر، كانوا لا يحابون أحداً كانوا من كان في الحق، فكانوا - رحمهم الله - ناطقين بالحق، صادعين به، ولو أدى ذلك إلى إزهاق أرواحهم.

والتاريخ كتاب مفتوح - يقرأه الجميع - يشهد بهذه الحقيقة، ويُعلَّي صوته بها :
كم سطَّر أولئك العلماء صفحاتٍ من نور في بذل الحق والجهاد من أجله .

من منَّا لا يعلم - وهذا أقرب شاهد - محنَة الأئمَّة الثلاثة : (أبي حنيفة، ومالك، وأحمد)، وأنَّهم تعرَّضوا لسياطِ أئمَّة الجور وتعذيبهم والتنكيل بهم، من أجل صدعهم بالحق وثباتهم عليه بلا مداهنة ولا موابة !!

ومن منَّا لا يعلم محنَة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وأنَّه مات محبوساً في السجن بقلعة الإسكندرية !!

هذا هو التاريخ يُسجّل هذه الحوادث وغيرها - بمداد من ذهب - في صفحاتٍ من نور في جهاد العلماء وتحملهم الأذى والألواء في سبيل الحق الذي يدينون الله به .

بيد أنَّه يحسن التنبيه هنا على أنَّ صدعهم بكلمة الحق، وبذلهم النصيحة لحكامِ الأئمَّةِ لم يكن - بأيِّ حالٍ من الأحوال - على شكل ثوراتٍ خارجية أو

تهييجات عاطفية، بل كان ذلك كله في إطار منهج السلف الصالح المنطلق من سنة رسول الله ﷺ وأمره بالسمع والطاعة بالمعروف والنصححة لمن ولاه الله أمر المسلمين وإن كان فاسقاً أو ظالماً، وأمره بالصبر على ما يحدث من الولاة المسلمين من الجور والظلم والأثرة مع أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بالحكمة، وكراهة ما يصدر عن بعضهم من المظالم والمنكرات، وهذا أمر مستفيض ثابت بأحاديث صحيحة، في الصحيحين وغيرهما.

فهذه التهمة إذا عارضة من الصحة، وهي -والله- مغالطة مكشوفة - لكنَّ القوم أصحاب هوئ وتبليس وخداع، وهم -والله- أبعد الناس عن الموضوعية والعقلانية التي يرفعون عقيرتهم بها، ويزعمون بأنهم هم أهلها وأحق الناس بها.

هكذا استبان لك أخي الكريم - بما لا يدع مجال للشك والريب - موقف الليبراليين السلبي المخزي من تراث الأمة ورموزها، ونحن هنا نعني بالأمة وبخاصة في المجال العقدي والتشريعي، نعني (أهل السنة والجماعة) الذين هم الامتداد الطبيعي للأمة الواحدة المجتمعة على عقيدة ومنهج واحد في زمن الرسالة، وذلك قبل نجوم الفرق والمسالك الضالة المنحرفة، فأهل السنة والجماعة هم المعبر الفعلي عن الأمة (الصحابة رضي الله عنهم)، وتراثهم هو الممثل الحقيقي لتراث الأمة، ذلك لأنَّه قائمٌ على الأصول العلمية التي كان عليها الصحابة رضي الله عنهم.

وهذا لا يعني بطبيعة الحال العصمة المطلقة، والقداسة التامة لهذا التراث في الجانب الاجتهادي القابل للخطأ والصواب، فهذا غلو مذموم نرفضه بشدة، ذلك لأنَّ القائمين على هذا التراث مهما بلغوا من العلم والفضل، فإنَّهم لا يزالون في دائرة البشرية، ولم يخرجوا عن طرقها، ومادام الأمر كذلك، فإنَّ هذا التراث لا يخلو من وجود أخطاء وسقطاتٍ وهفواتٍ تحتاج إلى حركة نقدي وتصحيح، وهذا -ولله الحمد والمنة- موجودٌ في علماء هذا التراث نفسه قدِّيماً وحدِيثاً، فترى

الواحد منهم يستدرك على الآخر، ويبين خطأه نصيحاً للأمة، وإبراء للذمة، بل ترى العالم نفسه يستدرك على نفسه، ويصحح خطأها.

كذلك فإنَّ من السمات البارزة لأهل السنة أنَّ العصمة المطلقة ليست لأحد سوى الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وما زال علماؤنا الآخيار يرددون أنَّ كُلَّاً يؤخذ من قوله ويُترك -مهما كانت منزلته ومهما بلغ علمه- إِلَّا الرسول ﷺ.

ومازال أهل السنة والأثر من قديم الزمان وإلى عصرنا الحاضر يقومون بعملية النقد والتصحيح لهذا التراث، في إطار النقد العلمي الذي يبني ولا يهدم، وهاهي المكتبة الإسلامية تزخر بالمؤلفات الضخمة التي تشهد لهذه الحقيقة.

أما تراث أهل الانحراف والضلال كالفلسفه والمعتزلة ومن دار في فلكهم؛ فهو التراث الجدير حقاً بالإبعاد والتغيير عن تراث الأمة، امثألاً لحديث النبي ﷺ: «يَخْيِلُ هَذَا الْعِلْمُ مِنْ كُلِّ خَلْقٍ عُذْلَهُ يَتَفَوَّنُ عَنْهُ تَخْرِيفُ الْفَالِيْنَ وَاتِّحَالُ الْمُبَطِّلِيْنَ وَتَأْوِيلُ الْجَاهِلِيْنَ»^(١).

- موقفهم من التاريخ الإسلامي:

دأب الليبراليون على تشويه التاريخ الإسلامي، والطعن فيه، وشن حملات التزوير والتخييب عليه، ولم تقف هذه الحملات الضاربة على عصر دون عصر، بل امتدت لتشمل كافة العصور الإسلامية، حتى أنَّ الصفحات المشرقة في تاريخنا لم تسلم من ذلك^(٢) !!

(١) أخرجه البيهقي، وصحَّ بعض طرقه الحافظ العلائي في «بغية الملتمس»: (٣، ٤)، والخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث»: (٢٥/٢)، وصحَّحه الإمام أحمد، انظر: «مشكاة المصايح»: (١/٨٢، ٨٣) بتحقيق الألباني.

(٢) انظر: «المدرسة العصرانية في تزععها المادية»: (ص/٣، ٤٤٢، ٤٨٢). للشيخ/ محمد بن حامد الناصر.

- أقوالهم في هذا الجانب:

أ- خالص جلبي يعلنها حرباً شعواء على العصر الإسلامي في زمن بنى أمية، يقول:

«وهنالك حزمة أمراض ثقافية تبلغ العشرة منها:

أنَّ العالم العربي ما زال يُحكم بسيف معاوية، بعد انطفاء الوهج الراشدي... وأنَّ الثقافة العربية تستحب بالعنف منذ المصادرة الأموية، وتوديع حياة الراشد، واعتناق حياة الغي، وتفشي روح الغدر والقتل والانقلابات والتآمر، فليس بعد الرشد إلا الغي»^(١).

ويقولُ في نفسِ السياق: «إنَّ جذور الاستعمار تضربُ في تربة الثقافة، وأنَّ هذا المرض يعيشُ في مفاصلِ الثقافة العربية، مثل الروماتيزم الخبيث، منذ الانقلاب الأموي، وقتل العقل على يد ما يُسمَّى «أهل السنة والجماعة»، وأنَّ العرب يؤمِّنون (بالقتل)؛ لأنَّه لا عقل لهم»^(٢).

وانظر -ياراك الله- كيف يتهمُّ خالص جلبي على الفتوحات الإسلامية بـكلِّ شَناعةٍ وفظاعةٍ، ويشبهها بالجرائم اليهودية، يقول: «إنَّ السلطان محمد الفاتح، وفتح المدينة (القدسية) يذكر بشارون وهو يريد احتلال القدس، وطرد أهلها منها.

وبغض النظر عن فضائعات الفتح، وحجم النهب والسلب، والاغتصاب على يد الانكشارية، فإنَّ أول ما فعله (محمد الفاتح)، إنَّ وضع يده على أقدس مقدساتهم: أياصوفيا، تلك التحفة التاريخية، ليتحولها إلى مسجد. لم يكن هذا الفتح انتشاراً على منهج النبوة، بل اجتياحاً عسكرياً... ونسميه إسلامياً!!^(٣).

ب- أما محمد بن علي المحمود، فقد لاحظ بيارعنه الفائقة التي لا حدود

(١) جريدة الرياض، العدد ١٠٦٩٢، في الأول من جمادي الآخرة ١٤١٨هـ.

(٢) «الزلزال العراقي»: (ص/١٢٤) لخالص جلبي.

(٣) جريدة الشرق الأوسط، (العدد: ٨٣١٠)، بعنوان: لا إكراه في السياسة، بتاريخ: ٢٩/٨/٢٠٠١م.

لها!! أنَّ مفهوم الدين قد تحول في زمن الحكم الإسلامي أيام معاوية رضي الله عنه من دين رسمي إلى دين شرعي تحدده السلطة النافذة، وتحكم فيه!!، يقول- وبئس ما قال- : «كل من تأمل التاريخ لا بد أنه قد لا حظ التغير النوعي الجذري في زمن ما بعد الراشدين، وهو تحول طبع الحياة الإسلامية فيما بعد، ولم يقتصر على فترة محددة من تاريخ الإسلام. بداية بمعاوية بن أبي سفيان ومنْ تلاه، تحول الدين الرسمي - وهو الذي كتب له الانتصار في سياق موازين القوى الاجتماعية، لا الدينية- إلى دين شرعي! وهنا المفارقة؛ إذ تحولت الأيديولوجيا الرسمية التي تتسلل الاجتماعي بأكثر مما تتسلل الشرعي إلى أن تكون صاحبة اليد الطولى في تحديد الشرعي الذي سيأسر مسيرة الفكر الديني إلى حد كبير . . .»^(١).

ويقول- في أسلوب مليء بالتطاول والعبث والسخرية بأحكام الشريعة- : «تاريختنا - كمسلمين ، وعرب على نحو أخص - منذ كان وإلى اليوم ، لم يحضر الإنسان فيه كقيمة أولية ، إلا في استثناءات قليلة ونادرة ، استثناءات تؤكد مجمل السياق ولا تفيفه . الاعتبار كان يقام لكل شيء ، حتى الحجر ، بينما يأتي الإنسان في الهاشم الأخير من جدول الأعمال لأمتنا الخالدة! . نفتخر بالفتحات ، ونحن إلى الغزو ، ونتغنى بآجهاض العقلانية الناهضة ، ونبكي على عهد الرقيق والجواري والقيان ، ونشرعن لاسترقاق الإنسان بلا حياء ، وبلا عقل أيضا»^(٢) .

ويقول أيضًا : «تدرك الإسلامية في أعماقها أن تاريختنا لم يكن مجيداً في حقيقته؛ كما حدث فعلاً ، لم يكن مجيداً بالدرجة التي يمكن أن نفاخر به أية أمة في الماضي؛ مهما كان تواضع منجزها الحضاري ، فضلاً عن أن نفاخر به الحضارة المعاصرة»^(٣) .

(١) كتاب الرياضي الإلكتروني «حروف وأنكار» : (ص/ ٥٧ ، ٥٩) ، في مقال له بعنوان : (التاريخ وأزمة الفكر الإسلامي) ، وقد نشر في جريدة الرياض بتاريخ : ١٥ / ١٢ / ٢٠٠٥ م.

(٢) في مقال له بعنوان : «نحن والإنسان» ، جريدة الرياض ، العدد : (١٣٤٧١) .

(٣) جريدة الرياض ، الخميس ٣ ذي القعده ١٤٣٠ هـ ٢٢-أكتوبر ٢٠٠٩ العدد . ١٥٠٩٥

المعلم الرابع: الموقف من الغرب عموماً

المتأمل في مقالات هؤلاء الليبراليين، يجد أنّهم مفتونون غایة الافتتان بالقيم الغربية والحرية حسب المفهوم الغربي، وحدّث -واللّم يعتصر قلبك- عن إعجابهم -شبه المطلق- بالغرب بشكل عام، ووضعه مقياساً للحضارة والتقدم وحقوق الإنسان، ولنا أن نبرز موقفهم من الغرب، كما يلي:

١- تقديم حسن الظن بهم وأنّهم لا يكيدون للإسلام ولا أهله وأنّ المتدينين يعيشون عقدة المؤامرة:

يقول مشاري الذايدي في مقال له بعنوان: (نحن وأمريكا والديمقراطية..): «لكن ما شأن الغرب بنا، ولماذا تبادر مجموعة الدول الصناعية، بقيادة أمريكا لنشر الديمقراطية ودفع عجلة التنمية ومساعدة المرأة على الانعتاق من وضعيتها البائسة، وترقية التعليم ومكافحة الأمية ورفع مستوى حريات التعبير... الخ؟ لماذا يحرضون على ذلك؟ وماذا يعني لهم أصلاً؟

ربما قال البعض إنها مؤامرة جديدة على الأمة الإسلامية لسلخها عن هويتها وتدمير مقدراتها (ما هي هذه المقدرات بعد الأرقام الآنفة؟!) وربما قال آخرون إنها هجمة إمبريالية أخرى لتركيع الأمة العربية العظيمة.

غير أن هناك ما يمكن قوله غير هذا وذاك، إننا بوضعينا الحالي الذي يجعلنا شعوبياً محرومة من ثمار المعرفة الإنسانية الحديثة، تقف في موقع المترجح لهذه الذري العالية التي وصلت إليها الإنسانية، نصبح خطراً على من نعتقد أنه قد حرمنا من ذلك، ويزيد الإحباط والحنق من هذا الفوات الهائل، يكفي أن تراقب مشاعر الحسقة والألم التي تصيب الزائر العربي للمجتمعات الغربية الديمقراطية، مقارنة ببلاد الزعيم الأوحد التي غادرها! هذه الوضعية الحرجمانية هي التي تثير في

المحروم مشاعر الحقد والرغبة بتدمير ما لدى الحارم؟! كما تجعله مهياً لتلقي كل آيدولوجيا عابرة في الطريق تغذى لديه مشاعر التقدير الذاتي المبالغ فيه، والاحتقار العكسي للأخر، عدو الذات؟!

ولذلك فإن الغرب حينما يدعم الديمقراطية ويفكر في وضع هذا الجزء من العالم، فليس ذلك من قبيل التبشير أو الاهتماء بروح الأم تيريزا،قدر أنها مصلحة غربية جوهرية تكمن في إنقاذ الشرق الأوسط المتغير.

ذكرت الورقة الأمريكية أكثر المجالات تضررا في العالم العربي والشرق الأوسط الكبير وهي «الحرية، المعرفة، وتمكين النساء»، ثم ذكرت أن ترك الأمور كما هي من دون تعديلها ومساعدة الشعوب المتضررة سيسمهم «في خلق الظروف التي تهدد المصالح الوطنية لكل أعضاء مجموعة الـ٨»^(١).

٢- اتهام المسلمين بأنّهم سبب العداء الذي يعيشه العالم الإسلامي مع الغرب:

أ- يقول البليهي: «المحبط الحقيقي هو أن نزكي أنفسنا وننحن بهذا الوضع السيئ، العرب والمسلمون الآن أضحوكة في العالم، يعني ونحن كنا أضحوكة، ولا يهتم لنا أحد، لكننا الآن أصبحنا نعلن لهم أننا نبدع في قطع الرؤوس، ونبدع في القتل، وفي التفجير، يعني هذا أقصى ما نستطيع أن نبدع فيه، وهذه معضلة كبرى يعني أصبحنا لسنا فقط عبئاً على أنفسنا وإنما أصبحنا عبئاً على العالم، ... أنا أعتقد أن العالم كله يتقهقر بسبب أفعالنا، يعني مثلًا البلدان الغربية البلدان الديمقراطية أميركا وأوروبا وبريطانيا وغيرها يعني أصبحت تعدل أنظمتها بما يقيّد الحريات»^(٢).

(١) انظر موقعه على الشبكة العنكبوتية.

(٢) انظر: «موقع قناة العربية»- برنامج إضاءات- بتاريخ ٦/٤/٢٠٠٥ م.

بـ- يقول محمود: «ليست مأساة العراق فيما يسمى (الاحتلال) الأمريكي للعراق ، وإنما جذور المأساة أبعد من ذلك ؛ بدليل أن النظام الصدامي لم يستطع إلغاء هذه المفاصيل الطائفية والعرقية ، وإن كان قمعها ، وحَدَّ منها ؛ بواسطة مجموعة من الإجراءات الجهنمية التي كانت أشد بشاعة من كل ما صنعته الطائفية والمذهبية والعرقية بعد صدام .»

إن قوات التحالف الدولي التي يحاول التيار العروبي فضلاً عن الإسلامي تحملها وزر ما يجري في العراق ؛ من مذابح على الهوية الطائفية ، لم تكن خطأها سوى أنها منحت هذا البعد الطائفي الفرصة للظهور . لكنها بكل وضوح لم تخلق هذا البعد في العراق من العدم ، بل ولم تسعده بوجوده ؛ لأنها تدرك أن إرساء قواعد مؤسسات الدولة الحديثة (غير المنحازة ، والتي لا تقبل الانحياز الداخلي والإقليمي) مرتبط بضمور الانتماء الطائفي الذي يخترق الوطن الواحد من ناحية ، ويتجاوز بولاءاته حدود الوطن من ناحية أخرى»^(١) .

جـ- وتأمل معـي -يارعاك الله- هذا الموقف المتـخاذل من جهة يوسف أبا الخيل حول قضية الرسوم الدنماركية التي سخرت بالمقام النبوـي على صاحبه أفضـل الصـلاة وأتمـ التـسلـيم ، يقول: «من جهة أخرى فلا يعني ذلك أن التـعرض لـذوات الرـسل أو العـقـائـد أو الأـديـان من قبل الإـعلام الغـرـبي سيـظل مـحسـوبـاً وبـشكل دائم على مـمارـسة حرـية التـعبـير عن الرـأـي بـمعـطـياتـها المـجـرـدة ، أي التـعرض لأـجل التـعرض فقط باـعتـبارـه داخـلاً في مـسلـسل حـرب دـينـية ليس إـلا ، وهو الفـهم الـذـي يـحاـول تـدـشـينـه وربـما تـأـبـيـدـه في أـذهـانـنا من يـقتـاتـونـ على مـثـلـ تلكـ الأـزمـاتـ منـ متـطـرفـيـ الجـانـبـينـ ، إذـ أنـ مـثـلـ هـذـاـ التـعرضـ لـلـآـخـرـينـ بماـ فـيهـ التـعرضـ لـذـواتـهـ المـقـدـسـةـ أوـ لـأـدـيـانـهـ وـعـقـائـدـهـ لـاـ يـخلـوـ أـحيـاناًـ منـ تـزـامـنـ معـ المـصالـحـ الغـرـبيةـ فـيـ تـمـاسـهاـ معـ مـصـالـحـ ذـلـكـ الآـخـرـ الـذـيـ تـعـرـضـ دـيـانـتـهـ أوـ مـقـدـسـاتـهـ لـمـسـهاـ»

(١) جـريـدةـ الـرـياـضـ ، الـخـمـيسـ: الثـانـيـ منـ ذـيـ القـعـدـةـ ١٤٢٧ـهـ ٢٣ـنـوفـمبرـ ٢٠٠٦ـالـعـدـدـ: (١٤٠٣١).

بسوء من جانب ذلك الإعلام، وهو ما يفسر لماذا يلاحظ أن أدياناً أو أيديولوجيات أخرى لم تتعرض لمثل ما تعرض له الإسلام أو النبي محمد ﷺ من نقد أو إساءة، إذ قد يبرر ذلك بمبرر عدم تعارض مصالح ممثلي تلك الديانات مع المصالح الغربية - في الوقت الحاضر على الأقل - وهذا الاستنتاج ربما يفسر أيضاً التهافت على التعرض لذات الإسلام أو رموزه حالياً باعتباره إفرازاً لما يراه الغربيون من موجات عنفية ضربت الكثير من المعامل الغربية، وهي الموجات التي تولى كبرها من يتسبّبون إلى الإسلام.

ومع ذلك فإنه حتى على مستوى حرية التعبير المجردة غير المرتبطة بسياق مصالحي معين، فقد مارس الإعلام والفن الغربي وفي مناسبات عديدة الكثير من التعرض لذوات نبوية معينة نُحرّم نحن المسلمين مجرد تمثيل أو تصوير شخصياتها ناهيك عن التعرض لها بالنقد، فقد تم إنتاج العديد من الأفلام السينمائية التي تناولت شخصية السيد المسيح ﷺ من زاوية إظهاره بالمظهر البشري العادي البعيد عن مظاهر النبوة، وبما لا يتناسب مع صفاته كنبي مرسى من عند الله تعالى، كما تم تصوير لحظة صلبه من قبل اليهود قبيل قتلها طبقاً للرواية المسيحية طبعاً - وهو يحمل قناني الخمر بيديه، وفي فرنسا مثلاً - كما يقول الباحث في الفلسفة الغربية الصديق هاشم صالح - وضعوا مؤخراً صليب المسيح، وهو الرمز المقدس لدى المسيحيين، على واجهة فيلم سينمائي بعد أن جعلوه على هيئة الصليب المعقوف الذي يرمز للفترة النازية المتباعدة في أوروبا والعالم الغربي عموماً، مما اعتبر معه هذا التصرف على أنه أكبر إساءة توجه لأتباع المسيح في أنحاء العالم، كما قامت شركة عطور فرنسية وكدعائية لأحد متجماتها بعرض صورة العشاء الأخير للسيد المسيح وبدلاً من وضع صور الحواريين بجانبه قاموا بوضع نساء عاريات تماماً، مما تسبّب في جرح شعور العديد من المسيحيين المحافظين في أوروبا.

بل إنه في سياق الفوارق الثقافية بين الجانبيين، فإن أكبر وأشهر فارق بينهما هو ما يتصل بنهاية المسيح نفسه، في بينما يعتبر القرآن الكريم أنه لم يصلب فضلاً عن أن

يقتل ممثلاً بقول الله تعالى : ﴿وَمَا قَاتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شَيْءَ لَهُمْ﴾ فإن من المتواتر العقدي المسيحي المشترك بين كافة المذاهب المسيحية أنه صلب ثم قتل على أيدي طائفة من اليهود يطلق عليهم (الفريسيون) ومن البدهي أن لا نطالبهم باعتقاد ما نعتقده من رفع المسيح إلى السماء كما لا يحق لهم بالمقابل مطالبتنا بالتماهي مع ما تواتر في تراثهم من قصة صلبه وقتله فيما بعد.

لذا فمن المهم على هامش تلك الحادثة وما ستنطليها من أحداث وتطورات أخرى أن لا نحاكم مكونات ومنطلقات الثقافة الغربية بمعايير ثقافتنا الإسلامية والعربية ، لا اختلاف معايير كل منهما عن الأخرى ، كما ويجب علينا من ناحية أخرى أن لا ننزع إلى تقصص وإزدراء عقائد وأديان الآخرين ثم نطالبهم بأن لا يتعرضوا لذواتنا المقدسة أو أدياننا ومعتقداتنا ، فنحن لا نمل مثلاً من تكرار القول بتحريف أو بطلان الديانتين المسيحية واليهودية ، كما ونشير لهم غالباً بعده الصليب وإخوان القردة والخنازير وبالدعاء عليهم أجمعين دبر كل جمعة أو قنوت بأن يأخذهم أخذ عزيز مقتدر أو بأن يتم أطفالهم ويرمل نسائهم ، ومثل هذه الأمور وإن كان بعضها يمثل لدينا يقيناً راسخاً مثل بطلان الديانتين أو تحريفهما فهي مما يجب أن يكون محله القلب بما لا يعطي مجالاً للجهر به ، إذ سيحسب ذلك من قبلهم على أنه تقصص من عقائدهم وإزدراء لها مما يعطفهم مبرراً منطقياً لمحاربتنا بنفس السلاح الذي نحاربهم به ، وقد نبه القرآن الكريم إلى مثل ذلك الاعتداء وما قد يجره من ويلات قد تتطور إلى التعرض للذات الإلهية حيث يقول تعالى ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ بَشَرٌ كَذَّابٌ زَّانِيٌّ لِكُلِّ أُنْثَىٰ عَمَّا هُمْ إِنَّ رَبَّهُمْ مَرْجِعُهُمْ فِيَنْتَهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨] ^(١).

(١) في مقال له بعنوان (نحن والغرب: بين فكرية مختلفة)، نشر في (جريدة الرياض: الخميس ٢٤ المحرم ١٤٢٧هـ - ٢٣ فبراير ٢٠٠٦م - العدد: ١٣٧٥٨).

٤- الدعوة إلى عدم المواجهة والمقاومة واتخاذ السبل السياسية والنقد اللاذع لمن يدعو لمقاومة المحتل:

سيأتي ذكر شواهد وأمثلة على هذا في مبحث «انحراف الليبراليين في مفهوم الجهاد».

٥- الانبهار بالحضارة الغربية، والإشادة بأصحابها:

أ- يقول البليهي: «اعتبر أنَّ الحضارة مرَّت بفترتين يعني آلاف السنين هذه أعتبرها كل الحضارات التي مرَّت آلاف السنين هذه عبارة عن دوران أفقى ، يعني مثلاً كل دولة كل حضارة تبدأ في النشوء تركي الدخيل: ثم ، تدور حول نفسها ..

إبراهيم البليهي: ثم تنهار ، ثم الحضارة الجديدة لا تبدأ من حيث انتهت الأولى وإنما تبدأ من الصفر ، وهكذا كانت الحضارات القديمة تتحرك تحت سقف واحد لا تتجاوزه ، وضمن مسارات ثابتة ، دوران أفقى لم تعطُر أبداً ، عندما جاءت الحضارة الغربية أصبحت .. انتقل الإنسان من مستوى إلى مستوى يعني مختلف جذرياً يعني الاختلاف بين الحضارات القديمة والحضارة الغربية هو اختلاف نوعي وليس اختلافاً كمياً.

تركي الدخيل: طيب هذا الحديث هذا .. هل أنت منبهر إلى هذه الدرجة بالحضارة؟

إبراهيم البليهي: ليس انبهاراً يا أخي .. هذا ليس انبهاراً ..

تركي الدخيل: مستلب غربياً يعني؟

إبراهيم البليهي: ولا مستلب يا أخي ، يعني أنا أعتبر أنه جمود في الإحساس وضعف في الذوق ، وهزال في الإدراك أن ترى ما يبهر ثم لا يبهرك.

تركي الدخيل: طيب صار انبهاراً هذا ، أنت تقول لي: ليس انبهاراً ثم

تحمّست ..

إبراهيم البليهي: الانهيار بالمعنى الذي تريده ويستعمله الناس هذا غلط ..

تركي الدخيل: ويش هو الانهيار اللي ..؟

إبراهيم البليهي: يعني هو الإعجاب بمن يستحق الإعجاب، أنا أعتبر أنني معجب بمن يستحقون الإعجاب، يعني هؤلاء الذين حولوا الدنيا إلى هذا الشكل يعني نحن الذين حولنا بهذا الشكل؟ نحن لم نساهم ولا بشيء، نحن بالعكس نحن نحاول أن ندمر الآن ..»^(١).

ويقول أيضاً: «إن ما تعيشها الإنسانية في هذا العصر من تقدم مذهل في الأوضاع والنظم وفي الوسائل والأدوات وفي العلوم والتكنيات وما تزخر به الدنيا من تسهيلات هائلة في شتى جوانب الحياة ليس حصيلة تلقائية للعمل الريفي أو التوارث البليد وإنما هو ثمرة الإفلات من قبضة الدوران التاريخي الأفقي المحكم بالمؤلف والموروث وقد حصل هذا الإفلات نتيجة التغيرات النوعية في الرؤى والقيم والمواقوف من الإنسان والكون والحياة وكانت الثقافة الأوروبية هي الثقافة الأولى الرائدة في الإفلات من خطوط الدوران الأفقي فأخذت في الصعود المستمر، لقد انفردت الثقافة الأوروبية بهذا التغير النوعي العجيب ثم إن هذه التغيرات النوعية في الحضارة الإنسانية رافقت المغامرين والنازحين من الشعوب الأوروبية أينما تحركوا وحيثما استوطنوا في أمريكا الشمالية واستراليا ونيوزيلاندا وجنوب أفريقيا ثم امتدت هذه التغيرات إلى مجتمعات أخرى اهتمت بالتعرف على هذه التغيرات النوعية التي طرأت على الثقافة الإنسانية ولما عرفتها التزرت بها ولم يقتصر أخذها على الشمار مثل اليابان وكوريا الجنوبية والصين وسنغافورة وมาيلزيا وبذلك استطاعت هذه المجتمعات

(١) انظر: «موقع قناة العربية»- برنامج إضاءات- بتاريخ: ٦/٤/٢٠٠٥ م.

الملحق بالمزدهرين وبات لها إسهام مشهور في الانجازات والإبداعات والمشاركة ودخلت في قلب المعركة الحضاري من أوسع أبوابه ووقفت موقف الند من المبتكرين الأصليين وأصبحت تزاحمهم في كل الحقول وفي مختلف المجالات ..

أما المجتمعات المأسورة بالموروث والمأثور فقد بهرتها الأشياء والمخترعات ولكن غابت عنها التغيرات الثقافية النوعية التي طرأت على الثقافة الإنسانية فقد اكتفت باستيراد الأشياء من المجتمعات المزدهرة كما أخذت بشكليات التعليم الحديث وتوهمت أنها بذلك قد ماثلت المزدهرين وأنها قد أخذت بأسباب التقدم وغفلت عن أنها ما زالت تعيش مرحلة الدوران الأفقي فهي مأسورة بهيمنة الموروث ومحظوظة بسطوة المأثور»^(١).

ويقول أيضًا : « إن الحضارة الغربية لم تزدهر إلا بعد أن تحقق لها الكثير من التغيرات النوعية في الثقافة والقيم والمعايير والأخلاق فنهضة الثقافة شرط للنهوض في كل المجالات ولقد تناولت في المقالات السابقة ثمانية تغيرات نوعية أما التغير التاسع الذي أضافه الأوربيون إلى الحضارة الإنسانية فهو تغير مفهوم البطولة واتساع مداه وتعدد مجالاته وانفتاح آفاقه حيث لم تعد البطولة محصورة ببطولة الحرب وشجاعة القتال كما كانت في الحضارات القديمة بل إن ثقافة العصر من الناحية المبدئية هي ضد الحرب برمتها وضد البطولة في مجال سفك الدماء ببطولة الحرب ترتبط بقوة العضل ويتحكم منطق القوة بينما حضارة العصر هي نتاج بطولة العقل وشجاعة الرأي واستقلال الفرد وقوة الاهتمام وشدة التركيز وتنظيم الجهد ومن هنا تراجعت البطولة الجسدية إلى أدنى السلم وارتقت بطولة العقل والعلم والكشف والإبداع والابتكار والاختراع والمخاطرة والسباق

(١) في مقال له بعنوان (التغيرات النوعية في الحضارة الإنسانية)، نشر في (جريدة الرياض) : الأحد ٤ جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ - ١٠ يوليو ٢٠٠٥ - العدد: (١٣٥٣٠).

فاحتلت الذروة بل إن البطولة العضلية هي أحياناً موضع اشمئاز واحتقار من مثقفي ومفكري العصر»^(١).

ويقول أيضاً: «في الغرب اهتموا كثيراً ومنذ وقت مبكر جداً بمعرفة الطبيعة البشرية وقد كان فلاسفتهم يرون أن معرفة الذات الإنسانية ذات أولوية مطلقة تسبق في الأهمية أية معرفة أخرى وكان سocrates يرى أن لا معرفة تسبق معرفة الذات فكانت حكمته الرئيسية:

«.. اعرف نفسك..»، وسار المفكرون من بعده على نفس النهج.

وكان روسو يقول: «.. إن معرفة النفس الإنسانية هي أعظم العلوم نفعاً وأقلها تقدماً..». ونتج عن هذا الاهتمام بالإنسان أن الثقافات الغربية صارت هي أكثر الثقافات فهماً للطبيعة البشرية وأنشأت علوماً متعددة عن الإنسان مثل علم النفس والتحليل النفسي وعلم الاجتماع وعلم الأنثروبولوجيا وغيرها من العلوم التي تحاول تفكيك وتحليل تشخيص الطبيعة البشرية وبهذا الاهتمام الشديد أصبحت مزايا هذه الطبيعة ونفائصها شديدة الوضوح لذلك فإنهم يتعاملون مع الأشخاص والأعمال والأشياء بواقعية موضوعية وإنصاف في الحدود الممكنة بشرياً فهم يعتبرون النقائص هي الأصل ويحترمون الإنسان بمقدار ما يتغلب عليه من النقائص والشواهد على ذلك ماثلة بوضوح شديد في تعاملهم مع الرجال والأفكار والأعمال والأشياء فهم يعون حتمية النقائص في أمور هذه الدنيا كلها ويحترمون المزايا مهما شابها من نقائص لذلك تربى الأجيال وهي تدرك هذه الحقيقة الأساسية التي يتوقف على إدراكها موضوعية الرؤية واقتراب الرأي من الصواب وعدالة التقييم والجرأة على العمل والإقدام على الفكر والفعل دون خوف من سوء التقدير»^(٢).

(١) في مقال له بعنوان (التغيرات النوعية في الحضارة الإنسانية)، نُشر في (جريدة الرياض: الأحد ٤ جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ - ١٠ يوليوز ٢٠٠٥م- العدد: ١٣٥٣٠).

(٢) في مقال له بعنوان (أهمية إبراز نفائص العظاماء)، نُشر في (جريدة الرياض: ٥/٥/٢٠٠٢م).

بـ- يقول خالص جلبي : «يجب أن نحزن لحزن أمريكا ؛ لأنَّ فشلها فشلٌ لكلِّ الجنس البشري ، ولأنَّها تمثلُ طليعة الجنس البشري»^(١) .

ويقول مُشيداً بالعدوان السافر على المسلمين في أفغانستان من قِبَلِ أمريكا : «والطالبان كانت دولة إسلامية تحكم بالشريعة، فقطّعت الرؤوس والأطراف، ووأدلت المرأة، ونفت العقل إلى المجهول، ودمّرت آثاراً إنسانية بدعوى الأصنام، فانتقمت أمريكا لبودا، فدَمَّرت الطالبان تدميراً»^(٢) .

جـ- وهو هو محمد بن علي المحمود يُشيدُ بالعالم الغربي أيّما إشادة، حيث يقول : «وصل الإرهاب المجنون إلى (لندن) قلب العالم المتحضر، إلى ذلك العالم الحي النابض بدماء الحرية والكرامة والإنسانية- ، لندن، مدينة السلام - بحق - تفيق من سباتها الأمني المضمّخ بعقب التاريخ والمعاصرة على النعيب الأصولي . . .»^(٣) .

ويقول أيضًا في معرض انبهاره بذلك العالم : «لقد كان العالم المتحضر يعاملنا باحترام ، حتى ضربناه في عقر داره. قبل اليوم وفي المملكة المتحدة(بريطانيا) التي أشرق منها نور الحضارة المعاصرة، حيث شق الهدى (هدى الحضارة الإنسانية) أكمامه ، وتهادى موكيًا دون موكب . . .»^(٤) .

ويمضي المغرور بزيف ذلك العالم في تصوّره الأعمى قائلاً : «لا جدال في أنَّ الولايات المتحدة وبريطانيا ، هما الدولتان الأكثر تعبيرًا عن قيم العالم المتحضر وعن حضارته - وأنهما - والعالم الغربي (أوروبا الغربية وأمريكا) من ورائهما -

(١) جريدة الاقتصادية، العدد: (١٧٣)، بتاريخ: ٢٠٠٣/٢/٤ م.

(٢) «الزلزال العراقي» : (ص/١٨٤) لخالص جلبي.

(٣) كتاب الرياض الإلكتروني «حروف وأفكار» : (ص/٥)، في مقال له بعنوان(المتهمون بالإرهاب)، وقد نُشر في جريدة الرياض بتاريخ: ١٤/٧/٢٠٠٥ م.

(٤) المصدر السابق.

التجلّي الأكبير لاتجاهات الليبرالية العالمية التي صنعت هذا العالم المتحضر، وكان لها -أي الليبرالية- الفضل الكبير في مناعته ضد الانهيار»^(١).

ولك أن تتصور أخي القارئ كم هم القوم مفتون بالحضارة الغربية، منبهرون بمكتشافاتها العلمية^(٢)!! حينما تطالع هذا النص للكاتب نفسه(محمد محمود): «لقد كانت الحضارة الغربية -إبان لحظة اللقاء- معجزة إنسانية لم يسبق لها مثيل في التاريخ البشري، بل لم يوجد ما يقاربها ولو في أدنى مستوياتها البدائية التي أفرزتها فترات الإصلاح الديني»^(٣).

* * *

(١) كتاب الرياض الإلكتروني «حروف وأفكار»: (ص/٦)، في مقال له بعنوان (المتهمون بالإرهاب)، وقد نُشر في جريدة الرياض بتاريخ: ١٤/٧/٢٠٠٥ م.

(٢) والعجب من هؤلاء، أنهم لا يقرؤون الكتب والمقالات التي لا عدّ لها ولا حصر من قبل الغربيين أنفسهم في انتقاد الحضارة الغربية، وأنها تحمل في طياتها أسباب فناها وزوالها.

وكيف يتعاملي هؤلاء عن طغيان الحضارة المادية الغربية، واستبعاد الشعب، ونهب ثروات الأمم، كل هذا بتظير وتأصيل نظريات الغرب العلمية التي يزعمون! ولك أن تطالع كتابات ودراسات (غوبون) في كتابه الشهير (سقوط الإمبراطورية الرومانية)، والكتاب الشهير (سقوط الحضارة الغربية)، أو (تدحرر الغرب) للمفكر الألماني (أوزفالد أشنبل)، مروزاً بما كتبه الفيلسوف البريطاني (أرنولد تويني) حول التاريخ، وكتابات الفيلسوف الألماني الشهير (فريدرick نيشه) وخاصة كتابه المعروف (هكذا نكلم زرادشت) الذي وصف الحضارة الغربية بدقة وبصورة عجيبة ورمزية، وكتاب (موت الغرب) لمؤلفه (باتريك بوكانن) وغيرهم كثير من الكتب التي تكشف زيف الحضارة الغربية .

(٣) المصدر السابق .

معالم متفرقة

١- القدح في أئمة العلم من أهل السنة قديماً وحديثاً، والزعم بأنَّهم سبب رئيس للغلو والتکفير:

أ- عبد الله بن بجاد في مقال له بعنوان: «الذاكرة التراثية العوراء» يطعن في شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ويتهمه بالتناقض؛ حيث يقول: «ويقال لمن خرج عن موجب الإنسانية في الأخلاق ونحوها: هذا ليس بأدمي ولا إنسان ما فيه إنسانية».

حين قرأت هذا النص لأول مرة دار بذهني أنه لأحد منظري الأئمة المعاصرين الذين يتحدثون عن قيمة الإنسان ومركزيته وحقوقه، فجال بذهني محمد أركون مع أسماء أخرى إلا أنني عندما أعدت التأكيد من غلاف الكتاب وجدته فتاوى ابن تيمية ١٤٧/٢٩.

إنه ابن تيمية إذاً، هذا الفقيه الذي يعده البعض اليوم قطب رحى فكره العنيف الذي يحرق به أخضر البشرية وبابسها، وهو رجل يملك تراثاً غنياً لدرجة التناقض أحياناً! ولكن العين التراثية العوراء لا تنقل لنا اليوم إلا شقه المتشدد العنيف وتغض النظر عن بقية صورته، تلك الصورة التي تحاول بعض المراكز البحثية اليوم اظهار تنوعها الفكري بطريقة علمية ومنهجية ربما صدمت بعض محبيه حين تجبرهم على فتح عينهم الأخرى»^(١).

ويقول في مقال له بعنوان: «محرقة التکفير»: «فـ«جماعة المسلمين» كما تطلق

(١) انظر موقعه على الشبكة العنكبوتية.

على نفسها ، أو جماعة التكفير والهجرة كما هي شهرتها ليست سوى ولد صغير - ربما كان غير بار - لجماعة الإخوان المسلمين العجناح القطبي ، والخطاب الصحوي المعاصر تشرب في كثير من أدبياته المعاصرة آراء سيد قطب وأفكاره التي تقسم الناس إلى مؤمنين وكافرين فقط ، وتعتبر المجتمعات المسلمة مجتمعات جاهلية وتتّخذ مواقف حدية وصارمة تجاه كل مخالف مهما كانت درجة مخالفته في مواقف دوغمائية^(١) لا تكاد تنتهي حتى تحرق الحقل وأصحابه .

ولكن الخطاب الصحوي الحديث اتجه بتأثير من خطاب الشيخ ناصر الدين الألباني إلى الاهتمام «الحرفي» بالسنة وهو ما أضاف للمتسدين له بعداً جديداً يتمثل في الاحتجاج بالسنة والاتكاء عليها كنصوص مجردة من سياقاتها وظروفها وكأنها قواعد قانونية بعيداً عن تقسيمات العلماء القديمة للسنة ومقامات تصرفات النبي ﷺ ، وهو ما يعطي المتسب لهذا الخطاب قدرة فائقة في إقناع الناس وصد الخصوم بكلمات معدودة يحفظها عن ظهر قلب في فترة وجiza .

ثم احتاج الخطاب الصحوي لدعم جديد عشر عليه في البعد العقدي المتمثل في اختيارات ابن تيمية وأقوال بعض غلاة الوهابية في العقيدة .

فتم بهذا الثالوث الفكري للخطاب الإسلامي المعاصر ، حيث العقيدة التيمية الوهابية بوجهها الغالي ومنهجية الحديث الألبانية وحركة سيد قطب الثورية^(٢) .

ب- وانظر - يا رعاك الله- إلى منصور النقيدان كيف يتهمجم بأسلوب ساخر مقدفع على أئمة الإسلام؛ فيصفهم بالتناقض والقلق ، وهو في الحقيقة أولى الناس

(١) هذه الكلمة مأخوذة من من الكلمة (Dogmata) وهي تعني العقيدة، وقد جرى استعمالها في كنيسة القرون الثلاثة الأولى لدى الآباء اللاتينيين والإغريق معاً، بمعنى «كل ما يتوجب في العقيدة وفي الممارسة المسيحية»، وفي القرن الرابع، بدأت كلمة (Dogmata) المفردة تدل على عقيدة الإنجيل بالذات، ثم ارتبطت كلباً بلاهوت الوحي أو الأمر الإلهي الذي لا جدال فيه. انظر: «معجم المصطلحات الدينية»: (٤/٧٤، ٧٥) للدكتور خليل أحمد خليل.

(٢) انظر موقعه على الشبكة العنكبوتية.

بِهَذِهِ الصِّفَاتِ؟! :

- قال: «إنه نشر مقاًلاً عن محنـة خلق القرآن، قال وذكرت فيه الموقف المتناقض لأحمد بن حنبل كيف كفر ابن أبي دؤاد، وتغاضى عن المأمون اهـ . وقال في إحدى الإجابات: وما قرأت ما قاله أحمد بن حنبل لعبد الرحمن بن ميمون: إياك أن تقول بمسألة ليس لك فيه إمام. «ما قرأته إلا قلت، يا حسرة على العقول»^(١).

وقال عن ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ فِي إِحْدَى الْإِجَابَاتِ: «وَابْنِ تِيمِيَّةَ نَفْسُهُ مِنْ الشَّخْصِيَّاتِ الْقَلْقَلَةِ الَّتِي عَرَفَهَا تِراثُنَا الْفَكَرِيُّ وَالدِّينِيُّ»^(٢).

ثم قال: «وَإِنْ هُنَاكَ آثارٌ وَمَظَاهِرٌ أَزْمَةٌ رُوحِيَّةٌ كَانَتْ تَلَمُّ بِهِ»^(٣).

جـ- أمـاً محمد بن علي المـحمودـ، فقد أـتـهمـ الإمامـ ابنـ قـيمـ الجـوزـيـةـ بـأنـهـ أـسـاءـ الـأـدـبـ معـ نـبـيـ اللـهـ عـيـسـيـ يـسـعـيـلـ؛ـ إـذـ وـصـفـهـ بـأـوـصـافـ بـلـغـتـ قـمـةـ الـبـذـاءـ!!ـ يـقـولـ:ـ إـنـاـ نـتـكـلـمـ عـنـ اـحـتـرـامـ الرـسـلـ جـمـيـعـاـ،ـ وـأـنـاـ نـقـدـسـهـمـ دـوـنـ تـفـرـيقـ،ـ وـنـرـفـضـ أـنـ يـسـيـءـ إـلـيـهـمـ أـحـدـ وـلـوـ بـكـلـمـةـ عـاـبـرـةــ.ـ هـذـهـ هـيـ الرـوـحـ العـاـمـةـ عـنـ جـمـيـعـ الـمـسـلـمـينــ.ـ لـكـنـ،ـ هـلـ نـنـكـرـ،ـ أـوـ نـسـتـنـكـرـ،ـ مـاـ وـرـدـ فـيـ كـتـابـ رـائـجـ عـنـدـنـاـ،ـ نـوـصـيـ بـهـ أـبـنـاءـنـاـ،ـ كـكـتـابـ (ـإـغـاثـةـ الـلـهـفـانـ)ـ مـعـ أـنـ مـؤـلـفـهــ فـيـ مـعـرـضـ رـدـهـ عـلـىـ النـصـارـىـ،ـ وـتـأـكـيدـهـ عـلـىـ بـشـرـيـةـ الـمـسـيـحـ يـسـعـيـلـ يـصـفـ الـمـسـيـحـ فـيـ قـصـيـدـةـ لـهـ،ـ بـأـوـصـافـ بـلـغـتـ قـمـةـ الـبـذـاءـ،ـ كـمـاـ فـيـ قـوـلـهـ (ـأـقـامـ هـنـاكـ تـسـعـاـ مـنـ شـهـورـ..ـ الـبـيـتـيـنـ..ـ جـ،ـ صـ ٣٥ـ)،ـ وـلـاـ أـسـتـطـعـ كـتـابـ الـبـيـتـيـنـ هـنـاكـ؛ـ لـمـاـ فـيـهـمـاـ مـنـ إـسـفـافـ وـانـحـطـاطـ،ـ بـلـ وـانـدـعـامـ فـيـ الـذـوقـ الـعـامـ»^(٤).

لـاـ يـمـكـنـ أـنـ نـكـونـ صـادـقـينــ وـنـقـنـعـ الـآـخـرـينـ بـصـدـقـنـاــ فـيـ دـعـاوـىـ اـحـتـرـامـ

(١) (٢) (٣) انظر موقعه على الشبكة.

(٤) انظر: «إغاثة اللهفان»: (٢/ ٢٩٠، ٢٩٢) لابن قيم الجوزية؛ حتى ينكشف لك حجم الزيف والافتراء الذي تمارسه بعض الأقلام المأجورة اليوم.

الآخر، ونحن نوصي أبناءنا بمثل هذه الكتب التي كتبت في عصور الصراع العقائدي، دون تنمية لها من هذا العنف الشائن. لن تكون مقنعين؛ إلا عندما نبدأ بغربلة تراثنا، وفحص مناهجنا، وجعل احترام الآخر سلوكاً عاماً لنا، وليس مجرد شعارات جوفاء، نجأ بها؛ للاستهلاك الإعلامي العابر»^(١).

ويقول في سياق التحقيق والتهوين من شأن رجالات السلف رسالة :

«اكتشفت أن أسلافنا كانوا رجالاً مثلكما، بل وأقل منا في كثير من الأحيان. اكتشفت أن أخطاءهم كانت كبيرة جدًا إلى درجة تفوق تصوراتنا، وأنه لا يمنع من رؤيتها إلا وهم القدسية الراسخ، اكتشفت أنهم كانوا نماذج أولية لتصرفاتنا العربية/ الإسلامية المعاصرة، اكتشفت أن الصورة في حقيقتها»^(٢).

د- يقول مشاري الدَّابِدي: «في الأسابيع الأخيرة خرجت فتوى من الشيخ صالح الفوزان، أحد أبرز رجالات المؤسسة الدينية التقليدية، خلاصتها أن من يقول باللبرالية، حسب المواقف التي حددها صائغ السؤال «الفخ»، هو إنسان خارج عن الإسلام ومرتكب لنواقض كفرية.

الفتوى أحدثت ضجة في الصحافة السعودية، وهذا شيء طبيعي، لأن القتل المعنوي بالتكفير، هو مقدمة للقتل المادي بالاغتيال أو التفجير، هذه الضجة جعلت الشيخ الفوزان يصدر بياناً توضيحيًا، نشر في جريدة «الجزيرة» السعودية (٢٦ يونيو الماضي) خلاصته أيضاً أنه أجاب حسب السؤال وانه لا يكفر أحداً بعينه، وانه ضد مذهب الخوارج، وأنه ضد استغلال فتواه»^(٣).

(١) في مقال له بعنوان (تأملات في الغضب الإسلامي)، نشر في جريدة الرياض: الخميس ١٠ المحرم ١٤٢٧هـ - ٩ فبراير ٢٠٠٦م - العدد: (١٣٧٤٤).

(٢) جريدة الرياض، الخميس ٣ ذي القعدة ١٤٣٠هـ - ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٩م - العدد: ١٥٠٩٥.

(٣) في مقال له بعنوان: «اللبراليات» سعودية، جريدة الشرق الأوسط: الثلاثاء ١١ رجب ١٤٢٨هـ يوليو ٢٠٠٧ العدد: (١٠٤٦٥).

ويقول أيضًا: «كلنا يتذكر، على سبيل المثال، التحذيرات الطائفية التي أطلقها كثير من شيوخ التعصب السنّي ضد الشيعة، ومن أكثرها دمامـة ما قاله الشيخ السعـودي ناصر العـمر في مذـكرته التي عنونـها « الواقع الرافـضة في بلـاد التـوحـيد ». حـذر فيها المشـايخ السـعـودـيين من التـسـاهـل مع الرافـضة، وأنـهم، أي شـيعة السـعـودـية، يـشكـلـون خـطـراً عـلـى الـبـلـادـ. المـذـكـرـة صـدرـها العـمـرـ بـرسـالـة كـتـبـها إـلـى المـفـتـيـ الـراـحلـ، بـتـارـيخ ١٤١٣ هـ جـريـ المـوـافـق ٥ مـاـيـوـ (أـيـارـ) ١٩٩٣ـ.

الـعـمـرـ تـحدـثـ عـنـ هـؤـلـاءـ «الـرـافـضـةـ» شـاطـبـاـ مـنـ قـامـوسـهـ الفـكـريـ وـخـيـالـهـ مـفـرـدةـ «ـمـواـطنـ» !

لـقـدـنـسـيـ، أوـنـاسـيـ، أـنـ هـؤـلـاءـ الـذـينـ يـتـحدـثـ عـنـهـمـ، هـمـ بـمـقـتضـىـ الـمـوـاطـنـيـةـ مـثـلـهـ تـمـاماـ. وـهـذـاـ النـسـيـانـ اوـ الشـطـبـ لـمـفـهـومـ الـمـوـاطـنـيـةـ نـابـعـ مـنـ أـنـ مـصـدـرـ الـشـرـعـيـةـ الـأـسـاسـ، لـلـوـجـودـ وـالـعـمـلـ فـيـ الـحـيـاةـ هوـ مـصـدـرـ أـيـدـلـوـجـيـ دـينـيـ لـدـىـ الـعـمـرـ وـأـقـرـانـهـ»^(١).

٢- إنـكارـ قـضـيـةـ سـدـ الـذـرـائـعـ وـالـتـشـنـيـعـ عـلـىـ مـنـ يـقـرـرـهـاـ مـنـ الـمـتـقـدـمـينـ وـالـمـتـأـخـرـينـ مـنـ أـهـلـ الـعـلـمـ :

يـحـسـنـ بـنـاـ فـيـ الـبـدـاـيـةـ أـنـ ذـكـرـ تـأـصـيـلاـ لـلـمـسـأـلـةـ حـسـبـمـاـ جـاءـ ذـلـكـ مـفـصـلـاـ فـيـ كـلـامـ أـهـلـ الـعـلـمـ :

لـقـدـ عـرـفـ الـعـلـمـاءـ هـذـاـ المـصـطـلـحـ (ـسـدـ الـذـرـائـعـ) بـتـعـارـيفـ كـثـيرـةـ، لـعـلـ أـجـمـعـهـاـ وـأـحـسـنـهـاـ قـوـلـ مـنـ قـالـ : إـنـ سـدـ الـذـرـيـعـةـ هـوـ : «ـهـوـ مـنـعـ الـمـبـاحـاتـ الـتـيـ يـتـوـصـلـ بـهـاـ إـلـىـ مـفـاسـدـ وـمـحـظـورـاتـ»^(٢).

(١) في مقال له بعنوان: «مدارس طائفية»، جريدة الشرق الأوسط: الثلاثاء ٢٥ رجب ١٤٢٨ هـ - ٧ أغسطس ٢٠٠٧ العدد: (١٠٤٧٩).

(٢) مجلة مجمع الفقه الإسلامي - العدد التاسع: (٦٢١ / ٣)، من قرارات مجلس مجمع الفقه الإسلامي المتعقد في أبو ظبي - الإمارات، في دورة مؤتمر التاسع.

وقاعدة سد الذرائع -كما ذكر أهل العلم- تُعدّ مظهراً من مظاہر الاجتهاد بالرأي في الشريعة الإسلامية^(١)؛ ذلك لأنّها منهج للاستباط الفقهي للوقوف على أحكام الواقع والتوازل، حيث لا نصّ من كتاب أو سنة أو إجماع، لذا لا ينبغي إغلاقه ولا سدّه كما أن إياحته بلا قيود ولا حدود مفسدة عظيمة... لذلك لا بد من تقييده وعدم اعتباره إلا إذا توفر للمجتهد نصيب معين من العلم والتقوى^(٢).

وقد قسمَ العلماء الذرائع المفضية إلى الحرام إلى قسمين:

(الأول): ذرائع مجمع على منعها: وهي المنصوص عليها في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهي المؤدية إلى المفسدة قطعاً أو كثيراً غالباً في زمن التشريع أو كانت مفسدة فعلها أرجح من مصلحته، وهذه هي التي أغلقت الشريعة بابها^(٣).

ويمكن أن يمثل لها بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْبِوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنَّمَا اللَّهُ عَذَّابًا يُغَيِّرُ عَلِيهِ كَذَلِكَ زَيَّنَاهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ تَرْجِعُهُمْ فَيُنَبَّهُمْ بِمَا كَفَرُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

(الثاني): ذرائع مختلف فيها: وهي التي لا نصّ فيها من كتاب أو سنة، ويجري فيها النظر والاجتهاد، وهذه الذرائع لم تكن في زمن التشريع مفضية إلى الحرام إلا بشكل نادر، أو كانت مصلحة فعلها حينئذ أرجح من مفسدتها^(٤)، لذا لم

(١) «مجلة مجمع الفقه الإسلامي»-العدد الثاني عشر: (٦٢١/٣)، من قرارات مجلس مجمع الفقه الإسلامي المتعقل في أبو ظبي-الإمارات، في دورة مؤتمره الثانية.

(٢) «مجلة مجمع الفقه الإسلامي»-العدد الثاني عشر: (٦٢٢/٣) بتصرف، من قرارات مجلس مجمع الفقه الإسلامي المتعقل في أبو ظبي-الإمارات، في دورة مؤتمره الثانية.

(٣) المصدر السابق.

(٤) «مجلة مجمع الفقه الإسلامي»-العدد الثاني عشر: (٦٢٢/٣) بتصرف، من قرارات مجلس مجمع الفقه الإسلامي المتعقل في أبو ظبي-الإمارات، في دورة مؤتمره الثانية.

يُعلق الشريعة باب هذه الذرائع، بل جعلته مفتوحاً، غير أنَّ هذا الباب قابل لأنَّ يُعلق متى ما تغيَّرت الظروف والأحوال، وذلك إذا صارت هذه الذرائع كشأنِ القسم الأوَّل مُفضية إلى الحرام قطعاً أو كثيراً غالباً أو كانت مفسدة فعُلها أرجح من مصلحته.

وممَّا يدلُّ على اعتبار هذا النوع من الذرائع، وصِحة الأخذ به، أنَّ قد عمل به في فقه الصحابة والتابعين، وفي المذاهب الاجتهدية الأربع على تفاوتٍ في مدى الأخذ به، أو درجة الأخذ^(١).

-أقوال الليبراليين في هذا الجانب:

أ- إبراهيم البليهي يشنُّ على هذا المبدأ العظيم، حيث يقول: «إن الميل إلى التقيد والتحفظ والاحتراز وسد باب الذرائع ليس حالة خاصة ولا نادرة ولا عارضة في الحياة العربية، وإنما هو نمط تفكير ثابت ومتواتر وسمة ثقافية عامة وراسخة وهي سمة ملازمـة لكل الثقافات ذات الرؤية الأحادية القاطعة التي لا ترى من الأشياء سوى وجه واحد ولا تعتمد مبدأ الترجيح والتغلب في النظر إلى الأشياء والحكم عليها . . .»^(٢).

ب- يقول محمود: «بواسطة هذه القاعدة الذرائـية، تم تحريم الكثير من الحلال. فمع أن تحديد كيفية الإفشاء هذا، واحتميته، أو درجة التغلـب في الظن، أو امتلاك تصور واقعي عن طبيعة الوسائل، كل ذلك ليس من شأن الفاعل الديني، أو -على الأقل- ليس من شأنه وحده، إلا أن الفاعل الديني يريد أن يحتكر الحكم في كل هذا العالم الذي ينضج بالمدنية الخالصة؟ تحت مبرر من

(١) «مجلة مجمع الفقه الإسلامي-العدد الثامن»: (٣/١٣٣) بتصريف، من قرارات مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في أبو ظبي-الإمارات، في دورـة مؤتمره الثامـن.

(٢) في مقال له بعنوان: «القيود حين تكون نافعة وحين تصير ضارة»، نُشر في (جريدة الرياض) بتاريخ: ٢٢/٨/٢٠٠٤م.

هذه القاعدة التي ليست محل إجماع.

لم يكن لهذه القاعدة أن تروج؛ لو لا أن هناك هوساً بالتحرير في الثقافة الإسلامية منذ القدم. وهذا الهوس تصاعد في مجتمعاتنا، إلى درجة صبغتنا بروح (الحرورية) تجاوز الأصل الشرعي العظيم، والذي يؤكد على أن التحرير استثناء، والإباحة هي الأصل. هذه الروح (الحرورية) قلبت الأصول الشرعية؛ فأصبح التحرير هو الأصل الراسخ، والإباحة استثناء عابراً، بل وضيق هذا الاستثناء إلى درجة تقارب الإلغاء»^(١).

٣- الهجوم على مناهج التعليم الشرعية في السعودية^(٢):

أ- شئَ الكاتب الليبرالي (محمد بن علي المحمود) هجوماً ضارياً على المقررات الشرعية في المنهج التعليمي في المملكة، وذلك في مقالٍ طويل له بعنوان «مفهوم التسامح (٢-٢)»^(٣).

ب- يقول عبد الله بن بجاد العتيبي في مقال له بعنوان: «مناهجنا العلمية بين التطور والجمود»:

«لعل من المتفق عليه أن مناهج الفكر تشكل في تاريخ الأمم أحد أهم عوامل نهوض الحضارات وسقوطها ، وثبات هذه المناهج وتحنيطها عند فترة معينة ، يعني

(١) في مقال له بعنوان: «سد الذرائع: دليل أم آلية تحرير؟»، نُشر في (جريدة الرياض)، بتاريخ: الخميس ١٤٢٧هـ ٣٠ مارس ٢٠٠٦م - العدد: (١٣٧٩٣).

(٢) انظر -غير مأمور- دراسة قيمة نُشرت عبر موقع (المسلم الإلكتروني) حول هذا الموضوع للشيخ د. سليمان الغصن بعنوان: «نظريات في ملحوظات الكاتبين: إبراهيم السكران وعبد العزيز القاسم على مقررات مناهج العلوم الشرعية في التعليم»، ودراسة أخرى للشيخ سليمان الخراشي ، نُشرت عبر موقع (صيد الفوائد) بعنوان: «مغالطات القاسم والسكران في بحثهما عن المناهج الشرعية بالمملكة العربية السعودية المقدم إلى مؤتمر الحوار الوطني الثاني».

(٣) كتاب الرياض الإلكتروني «حروف وأفكار»: (ص/٤٤، ٤٦)، وقد نُشر مقاله المذكور في جريدة الرياض، بتاريخ: ١٠/١١/٢٠٠٥م.

بالضرورة شيخوخة الحضارة وهرمها ، والحضارة التي تحمي نفسها من عوامل التجديد والنقد وإعادة البناء تحكم على نفسها بالموت الحضاري والتبعية المذلة.

يمكن رصد التفاعل الطبيعي في مناهج الفكر التي تعبّر عنها العلوم ومسيرتها في التطور ، والعلماء في تقلباتهم العملية - بعيداً عن صنمية الثبات المعاصرة - على طول خارطة تاريخنا الإسلامي علمياً وعملياً ، سواء في المناهج الفكرية عموماً أو في قناعات العلماء بها وتطور تلك القناعات من مرحلة لأخرى أو تطور في أفكار محددة ورؤى جزئية ، لقد كان التطور طابعاً سائداً ومتفهماً إبان الإشراقة الحضارية الأولى لأمتنا ، ولكنها ما لبثت أن خفتت عندما سيطرت أصنام الثبات على قلوب المتبلين في محاريب المعرفة أو المستفيدين في إدارة الحياة»^(١).

٤- دعوتهم للحرية بمفهومها المنحرف :

أ- يقول منصور النقيدان: «أعتقد أن الحل يكمن في أن يكون هناك حرية ، وأن يطرح الجميع ما لديهم»^(٢) .

ب- وانظر إلى إبراهيم البليهي كيف يقع في هوة سخيفة مظلمة حينما ينطلق من تلك الحرية المنحرفة ، إلى درجة أنه يصف تمسك الأمة بأحد النصوص القرآنية بأنه انغلاق وتمرّكز حول الذات ، وأنه نوع من التباكي بالأفكار السيئة!!! ، يقول: «إن المجتمعات لا تتقدم وتزدهر إلا إذا تفاعلت التلقائية مع الإبداعية فالالتقائية هي قدر الأكثريّة التي تبقى في الثقافات المغلقة مغبطة بثقافتها وقيمها وتقاليدها وطبيعة لقادتها وأهل المحظوظة عندها ومستسلمة لأوضاعها وثبات أحوالها وملتزمة تلقائياً وليس اختياراً واعياً بما وجدت عليه نفسها إنها في البيئات المغلقة لا تدرك تنوع الخيارات ولا يخطر على بالها تعدد الاحتمالات فهي ذات

(١) انظر موقعه على الشبكة العنكبوتية.

(٢) انظر موقعه على الشبكة العنكبوتية.

تصور ثابت ومكتمل ومغلق فتنقاد بتلقائية لما هو سائد من الأفكار والعادات والتصورات والأوضاع إنها تعيش راضية عنه وقانعة به بل وتباهي بما ورثته مهما كان سيئاً وتستميت في الدفاع عنه والتمسك به والدعوة إليه: «وَلَنْ تَرَى عَنَّكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَنْبَغِي مِنْهُمْ»^(١). فما من أمة إلا وتدفعها ثقافتها إلى التمرّز حول الذات وتوهمها بأنها الأكمل والأحق بالسيادة وتنكر أي حق للثقافات الأخرى وتنقاد الأكثرية التلقائية في كل مجتمع لهذا الوهم وهذا شأن البشر في كل زمان ومكان غير أن هذا الوهم وهذا التمرّز آخذان في الانحسار في الثقافات الحرة المفتوحة كما أن هذا الانفتاح يحاول أن يمتد عالمياً عن طريق الإنترن特 والفضائيات ووسائل التواصل الكثيرة الأخرى التي تميز بها هذا العصر ولكن ذلك كله لن يقلل من أهمية التكامل بين الأكثرية المنقادة والقلة القائدة سواء في مجالات الفكر أو في مجالات الفعل»^(٢).

ويقول أيضاً : «إن التقدم لا يمكن أن يتحقق لأي مجتمع إلا إذا سمح للأراء المختلفة أن تقابل وتفاعل وتتقارب وتتلاقي ومكّن الناس من سماع كل الأطراف والإصغاء لكل الأفكار وبذلك يتاح لأهل الفكر توصيل أفكارهم للجميع دون خوف من إساءة السمعة أو قطع الرزق أو الإقصاء والنبذ كما يتاح للناس أن يُمْحَصُوا وأن يختاروا كما يتاح للمفكرين أنفسهم من ذوي الاتجاهات المختلفة أن يطلع بعضهم على أفكار بعض مما يؤدي إلى تعديل مواقفهم والتقارب فيما بينهم وبذلك تكشف الأوهام والجهالات ويتاح للناس التعرف على الأفكار من مختلف الاتجاهات والمستويات وتتضح الرؤى وتنشأ لديهم مقدرة على الفحص والتحليل والفرز والتقييم والانتقاء وبهذا يستطيع المجتمع الخروج من قوقة البرمجة التاريخية المغلقة إلى فضاء الحضارة الواسع بكل ما يعنيه ذلك من قدرة

(١) في مقال له بعنوان: «تلقائية الإنسان سبب استلابه لكنها شرط فاعليته!!»، نُشر في جريدة الرياض، بتاريخ: ٦/٤/٢٠٠٤ م.

على المراجعة والفرز والتقييم والانتقاء والتجدد»^(١).

جـ- ويقول المحمود: «لهذا كانت حرية التفكير التي تتبعها بالضرورة حرية التعبير، هي أول ما تسعى المجتمعات الناهضة من مستنقعات التخلف والتقليل إلى تحقيقها وتفعيتها في الواقع، وحفظها من عوادي القوارض التقليدية التي لم، ولن تكف عن محاولتها الدائبة - التي تتبع من طبيعتها - لاجهاضها. هذه الحرية هي مركز اهتمام الأمم الصاعدة؛ لأنها لا تعني مجرد إباحة الكلام، وإنما تعني إباحة التفكير. وإباحة التفكير تعني فتح الأبواب لممارسة عملية الخلق الإبداعي، دون رقابة من ثقافة مسبقة، أو من ذوات مريضة بالأوهام، وتريد تعميم هذا المرض على الجميع»^(٢).

٥- نقد التّوابت والتشكيك فيها:

مارسَ أربابُ هذا الفكر وأساطينه أساليبَ متنوعةً، واتّخذوا طرائقَ مُتعددةً؛ ليهدمُ الأصول، وهزُّ الثوابت، والتشكيك بالمسلمات، تحت مظلةً (العلمية)، وال موضوعية، والتجزء، والحياديّة والنقد الذاتي، والتصحيح والتصححة، والإنصاف والعدل)، ويدعو (نسبة الحقيقة) وعدم امتلاك أحد للحقيقة المطلقة.

و قبلَ الولوج في عرضِ الشّواهد والأمثلة الكلية والجزئية من كتاباتِ الليبراليين التي تُجلّي هذه الحقيقة، وتبّرّزُها كأنّما هي الشّمسُ في رائعة النّهارِ، يُحسنُ بي أنْ أُلقي الضوءَ على مصطلحِ الثّوابت وما يُراد به، حتى تكونَ الصورةُ ظاهرةً للعيانِ، وحتى لا يُظنَّ القارئ أنّا ندورُ في فلكِ الخيالاتِ، أو نُسبّحُ في تيارِ الأوهامِ.

(١) في مقابل له بعنوان (نهضة الفكر تؤسس لنهاية العلم)، نشر في (جريدة الرياض: ٤/٢١/٢٠٠٤).

(٢) جريدة الرياض، الخميس ١٦ ذي القعده ١٤٢٧هـ - ٧ ديسمبر ٢٠٠٦م - العدد: (١٤٠٤٥).

فما هي الثوابت إذا، وماذا يراد بها؟ وما مجالها؟ وهل هي ميدان فسيح يضلّع للتطور أو الاجتهاد؟

الثوابت هي: القطعيات ومواضع الإجماع التي أقام الله بها الحجة في كتابه، أو على لسان نبيه ﷺ والتي لا يحل فيها الاختلاف، ويضاف إلى ذلك بعض الاختيارات العلمية الراجحة التي تمثل مخالفتها نوعاً من الشذوذ أو الرذلل»^(١).

قال الشافعي رحمه الله: «كل ما أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه منصوصاً بینا لم يحل الاختلاف فيه لمن علمه»^(٢).

وهي التي يسمّيها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الشرع المترَّد، وهو ما شرعة الله ورسوله من الأقوال والأعمال مما ليس للاجتهاد فيه مجال. وحقيقةه: اتّباع الرسول والذخول تحت طاعته، واتّباع هذا الشرع واجب، وليس لأحد إلا التسلّيم والإذعان، كما قال تعالى: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخَيْرَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا» [الأحزاب: ٣٦].

وقال -جل وعلا-: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ لَا يَحِدُّوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا فَضَيَّتْ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» [الناء: ٦٥].

فالثوابت إذا تلخص في النص الصحيح المحكم الذي لا معارض له، أو الإجماع الصريح الذي لا منازعة في ثبوته، إلا منازعة تُعد من قبيل الرذلة التي لا يعتد بها ولا يُعوّل عليها، وهي بهذا المعنى تقابل الشرع المؤول وهو الذي يعبر عنه بلغة العصر (المتغيرات) وهي: موارد الاجتهاد القابلة للتغيير بحسب الحال

(١) انظر: «الثوابت والمتغيرات»: (ص/٣٨) للدكتور صلاح الصاوي، و«الثبات والشمول»: (ص/١٠٩).

(٢) للدكتور عابد السفياني، ومقالاً لفضيلة الشيخ العلامة صالح بن فوزان الفوزان، جريدة الوطن

الكونية (الاثنين: ١ يناير ٢٠٠٧ م).

(٣) «الرسالة»: (ص/٥٦٠).

ومعطيات الواقع، وهي كل ما لم يقُم عليه دليل قاطع من نص صحيح أو إجماع صريح^(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الشرع الم المنزل «وهو ما جاء به الرسول وَهَذَا يَجِبُ اتِّباعُهُ وَمَنْ خَالَفَهُ وَجَبَتْ عَقُوبَتُهُ . وَالثَّانِي» الشرع المسؤول «وهو آراء العُلَمَاءِ الْمُجْتَهِدِينَ فِيهَا كَمَذَهَبٍ مَا لِكَ وَنَحْوُهُ؛ فَهَذَا يَسْوَغُ اتِّباعُهُ وَلَا يَجِبُ وَلَا يَحرُمُ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُلْزِمَ عُمُومَ النَّاسِ بِهِ وَلَا يَمْنَعَ عُمُومَ النَّاسِ مِنْهُ»^(٢).

ويقول أيضاً رحمه الله: «الشرع المنزل وهو الكتاب والسنّة واتّباعه واجب من خرج عنّه وجب قتلُه ويُدخلُ فيه أصول الدين وفروعه؛ وسياسة الأمراء وولاة المال وحكم الحكام ومشيخة الشيوخ وغير ذلك فليست لأحدٍ من الأولين والآخرين خروج عن طاعة الله ورسوله . و«الثاني» الشرع المسؤول وهو موارد النزاع والإجتهاد بين الأمة فمن أخذ فيما يسُوَغُ فيه الإجتهاد أقرب عليه ولم تَجِبَ على جميع الخلق موافقتُه إلا بحجج لا مرد لها من الكتاب والسنّة»^(٣).

ويقول ابن القيم رحمه الله: «الحكم المنزل هو الذي أنزله الله على رسوله وحكم به بين عباده وهو حكمُه الذي لا حكم له سواه .

وأما الحكم المسؤول فهو أقوال المجتهدين المختلفة التي لا يجب اتّباعها ولا يكفر ولا يفسق من خالفها؛ فإنَّ أصحابها لم يقولوا هذا حكم الله ورسوله بل قالوا اجتهدنا برأينا فمن شاء قبله ومن شاء لم يقبله ولم يلزموه بالأمة»^(٤).

ويقول الغزالى رحمه الله: «والمجتهد فيه كل حكم شرعاً ليس فيه دليل

(١) انظر: «الثواب والمتغيرات»: (ص/٤٠)، ومقالاً لفضيلة الشيخ العلامـة صالح بن فوزان الفوزان، جريدة الوطن الكويتـية (الإثنـى عشر ٢٠٠٧).

(٢) «مجموع الفتاوى»: (١/٢٦٣).

(٣) «مجموع الفتاوى»: (٩/٢٨١).

(٤) «الروح»: (ص/٢٦٦).

قطعيٌ . . وإنما تعني بالمجتهد فيه ما لا يكون المُخاطبُ فيه آثِمًا؛ ووجوب الصَّلوات الخمس والرَّكَواتِ وما اتفقَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ من جَلِيلَاتِ الشَّرِعِ فيها أدلةً قطعيةً يائِمٌ فيها المُخالِفُ فَلَيْسَ ذَلِكَ مَحَلًا لِإجْتِهادِ^(١) .

ومجال هذه الثوابت إنما يكون في كليات الشرعية، ومسائل العقيدة، وأصول الفرائض، وأصول المحرمات، وأصول الفضائل والأخلاق. وأبرز ميادينها: العقائد والعبادات والأخلاق وأصول المعاملات^(٢) .

وتأسيساً على هذه المعرفة الكلية الواضحة لمصطلح الثوابت، وانطلاقاً من تحديد مجالات الثوابت وميادينها، نأتي الآن لذكر الشواهد والأمثلة الكلية والجزئية من كتابات العصرانين التي توضح للقارئ الكريم حجم التشكيك والتقدِّي الذي طال الثوابت من جهتهم، وهم يعبرون عنها تارة بالمسلمات، وتارة بالحتيميات، وتارة بالمعرفة الأولى . . إلخ وهي دعوة خطيرة تكشف عن حقيقة ما يطرونوه من فكر .

ونبدأ أولاً بذكر الشواهد والأمثلة الكلية العامة .

أولاً: ذكر الشواهد والأمثلة الكلية العامة:

أ- خالص جلبي يدعو إلى أن يتجاوز العقل نطاق الثوابت الدينية، ويقفز عليها، فيقول: «المواطن العربي اليوم محاصر في مثلث من المحرمات، بين الدين والسياسة والجنس، كل ضلوع فيه يمثل حاجزاً شاهقاً لا يستطيع أفضل جحاصن عربيٍ رشيق، أن يقفز إلا بالقفز إلى الإعدام»، فأمام حائط الدين يُظلل مفهوم الردة، وأمام جدار السياسة يبرز مصطلح الخيانة، وعند حافة الجنس تشيع

(١) المستصفى: (٣٧٠ / ٢).

(٢) انظر: «الثوابت والمتغيرات»: (ص/ ٣٩)، و«السلفيون والأئمة الأربع»: (ص/ ٢٤، ٢٥) لعبد الرحمن عبد الخالق.

كُلُّ ألوان الحرام والعيوب، فالعقل مُصادرٌ ومؤمِّن وملغي حتى إشعار آخر، ثم يدعو إلى ثورة عقلية؛ فيقول: «لا بد من تدريب عقولنا على النّقاش والجدل، وذلك يفتح طرقاً عصبية رائدة، فالعقل النّقدي حي والعقل التقلي ميت»^(١).

بـ- إبراهيم البليهي يدعو إلى نقد المسلمين ويزعم أنَّ هذا هو صانع الحضارات، حيث يقول: «إنَّ النقد للأفكار والرؤى والأوضاع والأعراف والتقاليد والمواضيع والمسلمات هو محرك الحضارة وهو صانع التقدّم في كل مجالات الفكر والفعل وهو الشّرارة التي فجرت طاقات الإنسان وصنعت له أمجاد الفِكر والعلم ووفرت له أسباب الازدهار فالأمم التي اعتمدت هذه الآلية الرائعة حققت طموحاتها وأنجزت إثبات ذاتها ووقفت شامخة بين الشعوب في سباقات الفكر والفعل أمَّا الأمم التي أخدمت هذا المُحرّك الأكبر أو تجهله أو لا تحسن استخدامه فقد بقيت عاجزة عن مُبارحة خنادق التَّخلُّف بل بقيت راضية بأن تتجاوز هذه الخنادق لأنَّ حرمها من النّقد والمراجعة حرّمها من اكتشاف نفائصها كما حرّمها من التَّعرُّف على ما في الدنيا من آفاق وبدائل فبقيت تتوهّم أنها الأفضل والأرقى وظلّت رهينة هذا الوهم ..»^(٢).

فتأنَّـ يا رعاك اللهـ كيف ساوي بين الأفكار والرؤى والأوضاع والأعراف والتقاليد .. وبين المسلمات التي هي الثوابت، ولم يستثن من ذلك شيئاً .. فكلّها يجب أن تكون خاضعة للتقدّم حسب رأيه.

ويقول أيضًا: «ولكل ثقافة مسلمات سابقة للعلم ومحدّدة لآثاره وهي في الغالب ليست قائمة على معرفة ممحضة اختبرها الوعي الفردي والجماعي واقتصر بها ثم مارسها حتى صارت سلوكًا تلقائيًا لا شعوريًا، وإنما هي مسلمات عفوية

(١) جريدة الرياض، العدد (١٠٣٤٩)، بتاريخ: ٢٤/١٠/١٩٩٦م.

(٢) في مقال له بعنوان: (ظهور الفكر النّقدي شرارة الانطلاق الحضاري)، الرياض: الأحد ٢٣ المحرم ١٤٢٨هـ - ١١ فبراير ٢٠٠٧مـ- العدد: (١٤١١).

يتوارثها المجتمع عن أسلافه جيلاً بعد جيل ، ويشير إليها الأفراد بشكل تلقائي ، فهي لا تمر بالوعي ولا يغرسها العقل وإنما هي انسياط تلقائي من اللاوعي الجماعي إلى اللاوعي الفردي وقوامها التقليد والمحاكاة والوجودان والتلقين والحس المشترك ويمتصها اللاوعي الفردي مباشرة من المجتمع وبذلك فهي ليست نتيجة بحث وتدقيق واستقصاء وإنما هي امتصاص تلقائي وتكيف وتطبع ويستمر من المهد إلى اللحد ومصدر هذا التطبع هو البيئة وثقافة المشافهة والمحاكاة والتقليد والارتجال وردود الأفعال والانفعال التلقائي والسلوك العفوي إنها مسلمات تكونت بالنسبة للمجتمع خلال التاريخ بكل ما فيه من صراعات وتحيزات وأهواء ودعائية وتزيف وحجب للحقائق ويمتص الأفراد منذ الطفولة كل هذا الركام غير الممحض فيذوبون به ويمتزجون فيه . . .

إن المسلمات محصنة عن فاعلية العقل بالبداهات السائدة ، فعقل كل فرد في أي مجتمع يتشكل منذ الطفولة بالمسلمات المهيمنة في مجتمعه فيتعامل معها بتلقائية تامة ولا يخطر على باله أنها قابلة للشك أو الفحص أو المراجعة ، فهي ممزوجة بذاته بل هي ذاته فالذات لا تكون إلا بما يمتصه الفرد من المجتمع فهي بحكم هذه التلقائية العميماء تبدو وكأنها حقائق ناصعة ومكتملة وبذلك تتحصّن عن فاعلية العقل الناقد فالعقل لا يكون في حالة الفاعلية إلا إذا هو انفك بالشك من تدفق التلقائية العميماء إن العقل في فاعليته هو الشك المنهجي وهو التعقل المتأني وهو التدقيق المستوثق وهو التوقف الفاحص وهو التمييظ الواعي وهو الشعور بالمسؤولية الفردية بواجب التتحقق وهو الارقاء بالذات عن التصديق الأبله وهو الخروج من سداحة التلقائية البليدة إلى فاعلية العقل الناقد^(١) .

ويقول : «إن لكل أمة مسلماتها وأوهامها التي تستبقيها مقيدة وعاجزة عن مبارحة واقعها المتختلف ما لم تخرج من هذا الأسر بفضل العقل الفاعل

(١) جريدة الرياض : الأحد ٢١ شوال ١٤٢٧ هـ - ١٢ نوفمبر ٢٠٠٦م - العدد : (١٤٠٢٠).

والاستجابة له، أما الفارق الذي أوجد هذا التفاوت الهائل في المستوى الحضاري بين الأمم منذ بزوغ العصر الحديث فهو امتلاك آلية التصحّح عند المزدهرين أو الافتقار إلى هذه الآلية العجيبة عند المختلفين فكلّ أمّة لم تتمرس بآليات الشك والنقد والمراجعة والتحليل فإنّها لا تستجيب لمفكريها ولا تستفيد من مبدعيها فتبقى مقيّدة بالمسّلمات ومشدودة بالمسارات التاريخية الآسّرة تجتر تاریخها وتعيد إنتاج ذاتها وتكرر السير مع نفس المسارات التي توارثها الأجيال منذ مئات السنين . . .

وكما زاد انغلاق الثقافة زادت مسلّماتها وصار من الصعب نقد هذه المسلّمات من داخلها ، ومن الأمثلة الشائعة على المسلّمات الخاطئة التي لا تستند إلى أيّ مبرر موضوعي توهّم كلّ أمّة من الأمّم مثلًا أن لغتها هي اللغة الإنسانية الحقيقة وأنّها ذات امتياز مطلق على كلّ اللغات وأنّها لغة استثنائية بل إنّها أحياناً تراها مقدسة وأنّها تحمل سرًا خاصًا ليس موجودًا بأية لغة أخرى ، وتستمر الأجيال لا يخطر على باله أن يسأل ما هي المكوّنات والحاضنات الموضوعية التي تبرر مثل هذا الادعاء الآخرق وما هي مقومات وعناصر هذا التفرد المزعوم وما هي المزايا التي تنفرد بها هذه اللغة لتجعلها لغة استثنائية وفريدة ومن أيّ مصدر جاءت وكيف أتت . . . !!؟^(١).

جـ- محمود يشئ هجوماً ضارياً على الثوابت تحت مسمى (الاحتمالات) :
 يقول: «لا أريد أن أتحيز إلى تهميش الاحتمالات؛ بقدر ما أريد التأكيد على قدرة الإرادة الإنسانية على تجاوزها ، والتحرر منها؛ مع الإقرار بنسبيّة هذا التحرر. بل إنّ حضورها الطاغي أحياناً هو ما يبعث روح التحدّي إزاءها ، ويجعل

(١) جريدة الرياض: الأحد ٢١ شوال ١٤٢٧هـ - ١٢ نوفمبر ٢٠٠٦م - العدد: (١٤٠٢٠).

من التحرر منها تحقيقاً لتحرر الإرادة الإنسانية مما سوى الإنساني . . . »^(١).

فهو يرى في مقاله الطويل الذي يكتنفه الغموض أنَّ الاحتمالات التي هي الثوابت - ويعني بها ثوابتنا نحن ، لكنه لم يجرؤ على تسمية الأشياء بأسمائها - هي العائق عن تحقيق التقدُّم والإرادة الإنسانية ، في الوقت الذي يبني فيه على الإنسان الغربي الذي يمثل في نظره مقدمة الوعي الإنساني ، ومثال الإرادة الحرة الوعية بذاتها ؛ لأنَّ الإنسان الأقل خضوعاً للاحتمالات ، والأشد تحرراً من أسرها !! إنها قمة الانهزامية والتبعية والانحراف الفكري ، أو بتعبير بعض الفضلاء : (الأدمعة المفخخة) .

د- يوسف أبي الخيل يعتقد الثوابت تحت مُسمَّى (النظام المعرفي) ، ويدعو إلى فتح مجال الشكِّ أمام العقل الناقد بدعوى (نسبة الحقيقة) :

يقول : «يعرف النظام المعرفي (الإيبسيستيمولوجي) بأنه الطريقة أو الآلية أو النظم التي يستقي بها مجتمع ما أو لنقل ثقافة ما النظرة للكون والحياة والعلاقات الفيزيقية والميتافيزيقية بشكل عام .

ولكل ثقافة معينة نظام معرفي خاص بها وتقاد أن توصف به الحضارة المؤسسة على تلك الثقافة ، فيقال مثلاً للحضارة العربية بأنها «حضارة النص» بينما توصف الحضارة اليونانية بأنها «حضارة العقل» وهكذا ، وعلى ذلك فإذا كانت الحضارة الإسلامية تميّز بأنها حضارة نص فذلك يعني أنها تعتمد في نظرتها للكون والحياة والعلاقات الإنسانية والاجتماعية على ما توفره النصوص الثقافية بشكل عام سواء الدينية منها أو ما أضيف إليها من مراكمات إنتاجية (تفسيرية وتأويلية واجتهادية عامة) وبالتالي فإن نظامها المعرفي يوفر نظرة نقلية تجاه مكونات

(١) في مقال له بعنوان : (الإرادة الإنسانية . . المستقبل يصنعه الإنسان) ، الرياض : الخميس ١٥ ذي الحجة ١٤٢٧ هـ - ٤ يناير ٢٠٠٧ م - العدد : (١٤٠٧٣).

الحياة، لكنه قد لا يلقي بالاً لما قد توجهه موجبات العقل تجاه موضوع معين إذا كان يستشف منها (نظرياً على الأقل) اختلافها مع النظرة التي تستشف من النصوص.

في الحضارة اليونانية كان النظام المعرفي السائد فيها هو النظام البرهاني القائم على فحص مكونات الأمر المعروض للبحث ومن ثم الحكم عليه أو فيه من زاوية عقلانية بحثة تعتمد النظر والتأمل ومقارنة الأشياء ببعضها وإعطاء رأي غير قاطع فيها باعتبار أن الفكر البشري قائم على الترجيح بين البدائل المتاحة مما يعطي فرصة مستمرة لعرض البديل المقترن على مشرحة النقد المستمرة بحيث يتم الاستغناء عنه عند ما يتقادم به الزمن ويصبح غير قادر على مسيرة العصر ، ميزة النظام المعرفي البرهاني أنه غير متقييد بمقدار ميتافيزيقي فهو يعمل وفق معطيات العقل وبالتالي فيه فرصة للخطأ والصواب وبالتالي توفر المراجعة المستمرة التي تعتمد على نظام التغذية المرتدة للمعلومات (back Feed).

إلى أن يقول: «.. العنف ومن ثم التطـرف ينتـج غالباً من اعتقاد المجتمع عموماً (وهو ما يربـي أفراده عليه بالطبع) بأنه مالـك خـطام الحـقيقة المطلـقة في نظرـته للناس والـكون والـحياة ، ومن ثم فلا يـجد سـيـلاً لأداء مـهمـته في الحياة سـوى إجـبار الناس المـخالفـين على عدم إـهـلاـك أنـفسـهم ، ورـدهـم لـحيـاضـ الحـقيقة المـطلـقة»^(١).

ويقول: «لـذا لا بد للـإنسـانـ ولا يـتأـتـى ذـلـكـ لهـ لـلـأسـفـ غالـباًـ إـلاـ فـيـ العـيشـ فـيـ جـوـ ثـقـافيـ فـلـسـفيـ -ـ أـنـ يـشكـ ولوـ مـرـةـ وـاحـدـةـ .ـ .ـ شـكـ يـعطـيـ دـفـعاـ لـلـشاـكـ أـنـ لـاـ يـتحـمـسـ أـوـ يـتـمـرـ وـجهـهـ أـوـ تـنـفـخـ أـوـ دـاجـهـ عـنـدـمـاـ يـتعـاـيشـ مـعـ مـنـ يـخـالـفـهـ تـوـجـهـاتـهـ ،ـ إـذـ أـنـ هـذـاـ الشـكـ يـتـيـحـ لـذـلـكـ إـلـاـنـسـانـ الشـاكـ اـسـتـحـضـارـ تـسـاؤـلـاتـ مـنـ قـبـيلـ :ـ وـلـمـاـذاـ لـاـ تـكـونـ وـجـهـةـ نـظـرـ فـلـانـ هـيـ الصـوابـ ؟ـ أـوـ لـمـاـذاـ لـاـ تـكـونـ تـلـكـ الرـؤـيـةـ أـوـ ذـلـكـ

(١) جـريـدةـ الـريـاضـ :ـ الـأـحـدـ ٢٥ـ جـمـادـيـ الـآخـرـةـ ١٤٢٦ـ هـ -ـ ٣١ـ يـولـيوـ ٢٠٠٥ـ مـ -ـ العـدـدـ (١٣٥٥١).

التأويل أو التفسير أو التخريج لذلك الفرد أو الجماعة أو الفرقة تحمل على الأقل شيئاً من الصحة في باطنها؟ ولماذا مثلاً لا تكون الرؤية التي أحملها أو تلك التي حُمِّلتها ليست قاطعة ويشوبها الشك وعدم اليقين؟ في مثل ذلك الجو الثقافي المسبح والمربى على نسبة الحقيقة - النظرية على الأقل - لا يملك الإنسان إلا أن يكون متسامحاً مع غيره لأنه لا يحمل اليقين على قطعية ما تناهى إليه نظره وما برمجته عليه ثقافته طوال عمره»^(١).

هـ- يقول عبد الله بن بجاد العتيبي: «إذاً فلا بد كمنطلق لعملية التنبير والإصلاح أن يدخل الشك في آلية العقل العربي الإسلامي الحالي أن يشك في قضية جوهرية وهي «هل هو قادر على العمل الآن؟ هل آلياته ومناهجه ومنظومته المعرفية صالحة للتعامل مع الزمان الراهن»^(٢).

و- يقول مشاري الذايدي في مقال له بعنوان: «وصية الغامدي: انجُ سعد .. فقد هلك سعيد»: «ولذلك فان الحديث الذي لا معنى له عن حماية الثوابت، إن هو إلا فرضية ترفية لا تملك وجوداً حقيقياً في دنيا النقد التاريخي، كثير من المفاهيم حورت، وشدبت، وتعرضت لاعادة تعبئته، طبقاً للمتغيرات الموضوعية، الانسان هو من ينتاج الفكر، وليس الفكر من يصنع الانسان، حتى وإن توهم العقاديدون الأشداء ذلك!»^(٣).

• ثانياً: ذكر الشواهد والأمثلة الجزئية الخاصة:

١- حسن المالكي يُشكك في العقيدة بحجج متهافيٍ:

يقول: «وكتب العقاديد رغم ما فيها من حق قليل إلا أن فيها الكثير من الباطل،

(١) في مقال له بعنوان: (لنشك حتى لا نقع في شر قطبياتنا)، نُشر في جريدة الرياض، بتاريخ: الأحد ١٩ صفر-١٤٢٧هـ.

(٢) جريدة الوطن، العدد: (١٧٢٧)، بتاريخ: ٢٢/٦/٢٠٠٥م.

(٣) انظر موقعه على الشبكة العنكبوتية.

بل هو الغالب عليها لما فيها من الأحاديث المكذوبة على النبي ﷺ، والإسرائيليات المشككة للمسلم والتکفير لل المسلمين ، وزرع بذور الشقاق والتباغض والتنازع بين المسلمين ، وغير ذلك من الهوى والظلم والجهل ، وسواء كان ذلك في كتب العقائد عند الشيعة أو السنة أو الإباضية أو الصوفية أو غيرهم ، ولم ينج من كثير من ذلك إلا بعض كتب المجتهدين في الماضي أو الحاضر ، وهي قلة نسبة إلى هذه الكثرة»^(١).

٢- التشكيك في أنَّ القرآن كُلُّهُ كلامُ اللهِ تَعَالَى :

- يقول يوسف أباالخيل : « القرآن الكريم عبارة عن نص مركزي توزع نصوصه على ثلاثة محاور رئيسية : محور المتكلم ومحور المستقبل ومحور الغائب المتكلم عنه . فما قد يأتي من نصوصه على لسان المستقبل مثلاً ، فليس هو من كلام المتكلم تعالى ، وإنما هو كلام ساقه الله تعالى على لسان المستقبل (الرسول) لغرض رئيسي في وظيفة النص ، مثلما أن ما تحمله النصوص من كلام على السنة الغائبين المتكلم عنهم في القرآن ، أو ما تحمله من أخبار عنهم ، لا يمثل في حقيقته كلام الله تعالى ، لأن ما تحمله من مضامين قد يخالف أمر الله وحكمته ، والله تعالى يسوقها لتؤدي هي الأخرى وظيفة محددة في النص القرآني . . . سأعرض هنا نماذج من بعض النصوص القرآنية التي هي محسوبة على محور الغائب ، والتي نقرؤها عادة على أنها من كلام الله تعالى ومراده له سبحانه ، والتي تأبى في المنهج السلفي ، كنتيجة نهاية لما أسفرت عنه المعرفة الفكرية والعملية بين (الصفاتية) و(المترفة) في بدايات التاريخ الإسلامي . فعندما يريد الوعاظ والقصاص - وما أكثرهم في مجتمعنا - إسقاط نزواتهم الذكورية على المرأة ، بصفتها مسؤولة وحدها عن إغواء الرجل ، لا يتأنرون عن الاستشهاد بعجز الآية

(١) «قراءة في كتب العقائد» : (ص/٢٨).

رقم ٢٨ من سورة يوسف وهي: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾، رغم أنه في حقيقته كلام يحكى الله تعالى عن غائب معين هو عزيز مصر (رئيس وزرائها) أيام الهاكسوس، عندما تأكد من براءة يوسف ودوره في زوجته بالذنب، وليس هو بالتالي حكم الله تعالى على المرأة، والغريب أن هؤلاء القصاص لا يجدون حرجاً في أن يصفوا المرأة بنقصان العقل والدين في معرض تأكيدهم تفوق وسيطرة الرجل عليها، وهو قول يتناقض مع القول بعظم كيدها الذي لا يكون عظيماً إلا مع قوة عقلها.

وبالمثل عندما ي يريدون تشريع العنصرية الذكرية قبل المرأة، فإنهم لا يترددون عن استصحاب ما جاء في الآية ٣٦ من سورة آل عمران ﴿وَلَيْسَ الَّذِكَرُ كَالْأُنثِي﴾ وينسبون هذه التفرقة العنصرية لله تعالى، مع أنه معيار عنصري ذكري إسرائيلي يسوقه الله تعالى في معرض نعيه تلك التفرقة، على هامش سوقه لقصة أم مريم بنت عمران مع نذرها تحرير ما في بطنه ليكون في خدمة المعبد الإسرائيلي الذي لا يقبل في شرف خدمته إلا الذكور.

وفي سياق آخر، يريد هؤلاء إثبات أن التفاوت الاجتماعي بين البشر مراد لله تعالى لكي يسخر الناس بعضهم من بعض، وحاشا رب العزة والجلال عن ذلك، فیأتون بقوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقِيمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ تَخُنُّ قَسْمَنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَتِ لِسْتَخْدَمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢]. بينما أن هذه الآيات في حقيقتها نعي من الله تعالى على تلك المجتمعات التي اتخذت التفاوت الاجتماعي، والذي هو من صنع البشر أنفسهم، ذريعة للتفاخر والكبر والبطر والسخرية منمن هم أقل مستوى منهم، بدليل أنه تعالى عقب على هذا المعنى بقوله في نهاية الآية ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(١).

(١) في مقال له بعنوان: «لكي لا تسقط على القرآن وزير تمنهنا»، جريدة الرياض: الثلاثاء ١٧ ذي القعدة ١٤٢٨ هـ - ٢٧ نوفمبر ٢٠٠٧ م - العدد: (١٤٤٠).

• التعليق والتعليق:

يقول العلامة الشيخ صالح الفوزان - وفقه الله - رأى عليه - : « قرأت مقالاً في جريدة الرياض الصادرة يوم الثلاثاء ١٤٢٨/١١/١٧ هـ للكاتب يوسف أبو الخيل تحت عنوان : (لكيلاً نسقط على القرآن وزر تمذهبنا) وقد وجدت الكاتب - هداه الله - قد وقع في أخطاء عظيمة في القرآن وتفسيره على غير مراد الله منه . . . فرأيت أن أناقشه فيه فأقول :

١- غلطه حول القرآن حيث جعل نصوصه عبارة عن ثلاث محاور رئيسه كما يقول : وهي محور المتكلم ومحور المستقبل - بكسر الباء - ومحور الغائب المتكلم عنه ثم قال بعد هذا التقسيم : مما قد يأتي من نصوصه على لسان المستقبل بكسر الباء فليس هو من كلام المتكلم تعالى . وإنما هو كلام ساقه الله تعالى على لسان المستقبل (الرسول) لغرض رئيس في وظيفة النص مثل ما تحمله النصوص من كلام على ألسنة الغائبين المتكلم عنهم في القرآن أو ما تحمله من أخبار عنهم لا يمثل في حقيقته كلام الله لأن ما تحمله من مضامين قد يخالف أمر الله وحكمته والله تعالى يسوقها لتؤدي هي الأخرى وظيفة محددة في النص القرآن انتهي كلامه .

وأقول للكاتب : إن هذا التقسيم غير صحيح فالقرآن الكريم هو كلام الله كله والأقسام التي يتناولها كلها كلام الله وهي كثيرة منها ما يتعلق بالله كالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك وذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله ومنها التشريعات من تحليل وتحريم وحكم بين الناس فيما أختلفوا فيه ومنها الأمثال المضروبة ومنها القصص ومنها الأخبار عن المستقبل في الدنيا والآخرة ومنها الوعيد والوعيد مما يقصه الله عن أهل الإيمان من الرسل وأتباعهم فهو للاقتداء بهم وما يقصه عن الكفارة والجباية فهو للتحذير من طريقتهم فقد يذكر كلام الرسل وأتباعهم ويدرك كلام الكفارة وأتباعهم فالقصص - بفتح الصاد - هو كلام الله قال تعالى : ﴿تَقْصُّ
عَلَيْكَ أَحَسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]. ﴿تَنْتَلُوا عَلَيْكَ مِنْ تَبِعِي مُؤْمِنٍ وَفِرْعَوْنَ﴾ [القصص: ٣]

وأما المقصوص المحكى فهو كلام البشر ذكره الله إما للإقتداء بهم أن كانوا صالحين وإما للتنفير من طريقتهم إن كانوا كافرين - وكذلك ليس للرسول ﷺ كلام جعله الله قرآنا - وإنما كلام الرسول ﷺ يكون في سنته التي هي عبارة عن أقواله وأفعاله وتقريراته إلا ما حكاه الله من قول الرسول فهو كالذى يحكى عن غيره من الرسل وكله من كلام الله تعالى باعتبار ذكره له وكذلك من غلطه في حق القرآن ما قاله حول قوله سبحانه في حق المرأة في سورة يوسف ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨] قال: ليس هو حكم الله تعالى على المرأة، يعني فلا توصف المرأة بأن كيدها عظيم يقول: لأن هذا الكلام صدر عن الملك - ونقول له: أليس الله سبحانه قد ساقه مقدرا له لا منكرا له بل مؤيدا له أيضا بما حكاه الله عن يوسف ﷺ أيضا من قوله: ﴿إِنَّ رَبَّ يُكَيِّدُهُنَّ عَلَيْهِم﴾ [يوسف: ٥٠] ثم قال الكاتب أن هؤلاء القصاص لا يجدون حرجا في أن يصفوا المرأة بنقصان العقل والدين في معرض تأكيدهم تفوق وسيطرة الرجل عليها وهو قول يتناقض مع القول بعظام كيدها الذي لا يكون عظيما غلا مع قوة عقلها - وأقول: نعوذ بالله تعالى من هذا القول الذي تفوته به الكاتب - فالقائل بنقصان عقل المرأة ونقصان دينها هو رسول الله ﷺ وليس قائله هم القصاص ولعل الذي حمل الكاتب على هذا القول الخطير جهله بسنة رسول الله ﷺ أما إن كان يعلم أنه من كلام الرسول ﷺ وأنكره فالأمر أخطر كما قيل:

فإن كنت لا تدرى فتلك مصيبة وإن كنت تدرى فال المصيبة أعظم
وكذلك قول الكاتب عن قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْذِكَرَ كَالْأَنْثَى﴾ [آل عمران: ٣٦]
حيث قال وينسبون هذه التفرقة العنصرية إلى الله تعالى ونقول للكاتب: هذه الجملة من الآية قيل إنها من كلام الله فهو الذي أخبر أن الذكر ليس كالأنثى وقيل عنها من كلام مريم والله ذكرها مقررا لها الواقع بثبت أن الذكر ليس كالأنثى - ولو قيل لأي ذكر إنك كالأنثى لغضب وأظن الكاتب كذلك فالذي خلق الذكر والأنثى فاوت بينهم في الخلقة والطبع والاستطاعة والعمل الوظيفي وغير ذلك لا ينكر ذلك عاقل

فالمرأة لا تستطيع أن تحمل ما يتحمله الرجل لضعفها وكذلك ما ذكره الكاتب حول قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقِسِّمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ تَخْنُ قَسْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَتِ لِسْتَخْدَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيَّاً﴾ [الزخرف: ٣٢] قال الكاتب: هذه الآيات في حقيقتها نفي من الله على تلك المجتمعات التي اتخذت التفاوت الاجتماعي والذي هو من صنع البشر أنفسهم ذريعة للتfaخر والكبر والبطر والساخرية من هم أقل مستوى منهم ونقول للكاتب هذا قول على الله بغير علم وفسير للقرآن بغير ما أراده الله فالآية التي ذكرها هي في سياق الإنكار على الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ واحتقروه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنَ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] قال الله تعالى ردًا عليهم: ﴿أَهُمْ يَقِسِّمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ تَخْنُ قَسْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢] فإذا كانوا لا يملكون قسمة الأرزاق فكيف يقسمون رحمة الله التي أعظمها النبوة فيعطونها لمن شاءوا أو يحرمون منها من شاءوا وأما قول الكاتب: إن التفاوت الاجتماعي من صنع البشر أنفسهم فنقول كيف يقول هذا والله تعالى قال: ﴿تَخْنُ قَسْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وبين الحكمة في ذلك: ﴿لِسْتَخْدَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيَّاً﴾ أي مسخرا له في العمل بالأجرة كي يستفيد صاحب المال ويستفيد العامل ولو كانوا كلهم أغنياء لم يوجد عمال ولو كانوا كلهم فقراء لم يوجد عمل ولا أجرا فلس المراد بالآية النعي من الله على المجتمعات: وإنما المراد الامتنان من الله علينا فالذي من صنع البشر إنما هو التفاخر والكبر والبطر والساخرية بالفقراء وليس المراد من قوله تعالى: ﴿لِسْتَخْدَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيَّاً﴾ الساخرية كما فهم الكاتب وإنما المراد التسخير في العمل فهناك فرق بين (سخريا) بضم السين وسخريا بكسر السين كما في قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيَّاً﴾ فال الأول من التسخير والثاني من الساخرية فليفهم الفرق كيلا يتبس هذا بهذا - كما التبس على الكاتب ففهم من الآية غير ما أراد الله بها»^(١).

(١) نقلًا عن موقع الشيخ على الشبكة العنكبوتية.

٣- التشكيك في المفهوم الصحيح للولاء والبراء، واستبداله بمفهوم منحرف:

أ- يقول مشاري الذايدي في لقاء معه، في برنامج إضاءات، أذيع بتاريخ الأربعاء : ٢٢/٤/٢٠٠٤م : «التصور الحقيقي للولاء والبراء أن يكون مربوطاً بمصلحة الأمة ومصلحة الدولة ومصلحة المجتمع ..

تركي الدخيل [مقاطعاً] : من يحدد مصلحة ..؟

مشاري الذايدي [متابعاً] : لحظة شوية ، لا يجوز أن تكون مربوطة بمصلحة جماعة معينة وأيدولوجية معينة».

ب- يقول يوسف أبا الخيل : «... مفهوم الولاء والبراء من هذه الزاوية يشير إلى موالة الموالي المسالم الجانح للسلم والبراءة من المعتمدي أيّاً كانت نحلته ومذهبها وديانته ، ومن غير المعقول لكل من استقرَّ نصوص الشريعة ومقاصداتها أن يتصور مفهوماً ينادي بالولاء للمعتمدي لأنَّه فقط يتمظهر أو ينطق بالإسلام وينفس الوقت البراءة وما سيترتب عليها من استحقاقات أخرى من غير المسلم ولو كان مسالماً باراً مؤدياً لشروط العلاقة السلمية مع المسلمين ، هذا مفهوم مغلوب ومشين تُنزعه عنه الشرائع السماوية فضلاً عن الإسلام وهو خاتم الديانات ، لأنَّه تعدٍ صريح على عدل الله تعالى بين خلقه ، ولا يمكن أن تستقيم علاقة سلمية تعاونية مؤدية لخير الإنسانية ما دمنا نتصور أنَّ علاقَةَ الولاء والبراء مبنية على الولاء لل المسلم ولو كان من جنس «الحجاج بن يوسف أو صدام حسين» والبراءة من غير المسلم ولو كان على شاكلة داعي السلام والإنسانية «المهاتما غاندي ونلسون مانديلا»^(١).

(١) في مقال له بعنوان(فلسفة الولاء والبراء في الإسلام)، نُشرَ في جريدة الرياض ، بتاريخ الثلاثاء: ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ - ٢٦ يوليو ٢٠٠٥م- العدد: (١٣٥٤٦).

٤- الطَّعْنُ فِي الصَّحَابَةِ رضي الله عنه ، ونَقْضُ مَا اسْتَقَرَّ فِي أَصْوَلِ أَهْلِ السَّنَةِ مِنَ الْكُفَّارِ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ :

لَمْزُ الصَّحَابَةِ رضي الله عنه بِالْعَدْوَانِيَّةِ ، وَوَصْفُ تَارِيخِهِمُ الزَّاهِرِ بِالْمُزَيْفِ وَالْوَهْمِ :

يَقُولُ الْمُحَمَّدُ : «لَمْ أَرْ فِي الْمَاضِي مَا يُجُبُّ اسْتِعَادَتِهِ، لَمْ أَرْ الْمُسْتَقْبِلَ فِي الْمَاضِي، لَمْ أَعْدُ أَحْلَمْ، كَمَا يَحْلِمُ الشَّيْخُ : مُحَمَّدُ قَطْبُ شَفَاهُ اللَّهِ إِلَى درجة الْهُوَسِ، بِ(قِيَادَةِ الْبَشَرِيَّةِ)، وَلَا بِ(الْجَيلِ الْفَرِيدِ) الَّذِي لَنْ يَتَكَرَّرْ؛ لَأَنِّي أَدْرَكْتُ مِنْ خَلَالِ قِرَاءَاتِي لِكُتُبِ التَّارِيْخِ وَلِكُتُبِ التَّرَاجِمِ، أَنَّ (قِيَادَةَ الْبَشَرِيَّةِ) وَهُمْ كَبِيرُونَ، صَنَعْتُهُ الْعُقْلَيَّاتُ الْعَدْوَانِيَّةُ الْمُتَخَلَّمَةُ بِأَحْلَامِ الْغُزوَةِ وَالسُّلْبِ وَالْإِسْرَاقِ، وَأَنَّ (الْجَيلِ الْفَرِيدِ) لَا وَجْدَلَهُ، بَلْ هُوَ نَتْرُؤُّجَةُ النَّزُوعِ الْطَّبَيِّعِيِّ لِلْإِنْسَانِ الْبَدَائِيِّ إِلَى أَسْطَرَّةِ الرَّمُوزِ، النَّزُوعُ إِلَى خَلْقِ بَشَرٍ فَوْقَ مَسْتَوِيِّ الْبَشَرِ، أَيْ أَنَّهُ كَانَ وَهُمَا كَبِيرَاً أَيْضًا»^(١) .

وَيَقُولُ أَيْضًا : «عِنْدَمَا أَتَحْدَثُ عَنْ مَشْرُوْعِ الرَّاحِلِ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ رَأَفَتِ الْبَاشَا رَحْمَهُ اللَّهُ وَخَاصَّةً كِتَابَهُ الَّذِي يُصَوَّرُ فِي حَيَاةِ الْأَجِيَالِ الْأُولَى ، وَالَّذِي انتَشَرَ وَفُرِّزَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَراحلِ الْتَّعْلِيمِيَّةِ؛ فَأَصْفَهُ الْمَشْرُوْعُ السَّادِجُ بِالْمَشْرُوْعِ الْمُزَيْفِ، فَأَنَا لَا أَنْتَمُ الْشَّخْصُ بِسُوءِ الْفَقْدِ وَلَا بِتَعْمِدِ التَّزِيفِ، وَإِنْ كُنْتُ لَا أَنْفِي عَنِّي طَبَيْعَةُ الْفَعْلِ. الْفَعْلُ كَانَ تَزِيفًا . وَمِنْ مَرَاجِعِهِ الَّتِي يَنْقُلُ عَنْهَا، نَعْلَمُ أَنَّهُ اطْلَعَ عَلَى كُلِّ التَّفَاصِيلِ الْخَاصَّةِ بِحَيَاةِ الشَّخْصِيَّاتِ الَّتِي يَتَحَدَّثُ عَنْهَا فِي كُتُبِيَّاتِهِ الْحُكْوَاتِيَّةِ الدُّعَائِيَّةِ. لَكِنَّهُ لَا يَذَكُرُ إِلَّا الصُّورَةُ الْمَلَائِكِيَّةُ الَّتِي تُخْدِمُ مَشْرُوْعَهُ: مَشْرُوْعُ الْإِسْلَامِ السِّيَاسِيِّ . وَهَذَا هُوَ مَا صَنَعَهُ كَثِيرُونَ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ، وَمِنْهُمْ: مَحْبُ الدِّينِ الْخَطِيبُ، وَخَاصَّةً فِي : (الرَّعِيلُ الْأُولُ)^(٢) .

(١) جريدة الرياض، الخميس ٣ ذي القعده ١٤٣٠ـ٢٢-٢٠٠٩مـ العدد ١٥٠٩٥.

(٢) جريدة الرياض، الخميس ٣ ذي القعده ١٤٣٠ـ٢٢-٢٠٠٩مـ العدد ١٥٠٩٥.

- المحمود يدعو إلى إعادة النظر فيما شَجَرَ بينَ الصحابة رضي الله عنهما ، ويعتبر ترتيب الخلفاء الراشدين حدثاً تاريخياً مجرداً وفق نظرته النقدية الفلسفية :

- يقول : « دراسة طبيعة الفكر الديني ، وتتبع مراحل تشكيله في فتراته الحاسمة ، تواجه الرفض في مجتمعات تقليدية ، لاتزال تستعصي على العلمية ، وتتماهى مع الأسطرة ، بل والخرافة ، بوعي منها بهذا التماهي وما يتضمنه من مدلولات في الفكر والواقع ، أو بلاوعي . وهذا الرفض اما أن يكون رفضا للدراسة ذاتها ، أي للمراجعة الفاحصة ، باعتبارها تتناول ميداناً مقدساً لا يجوز الاقتراب منه ، واما أن يكون رفضاً للآلية (المنهج النبدي) التي تجري مقاربة الموضوع بواسطتها . وفي أكثر الأحيان يجتمع السينان ؛ كمبرر للرفض .

إن رفض الآليات المنهجية الحديثة التي تمثل مرحلة متقدمة من مراحل نضوج الفكر الإنساني ؛ يعني - بالضرورة - أن يقف الفكر الديني خارج العصر ، يقف خارج العصر ؛ في الوقت الذي يدخل فيه من خلال (الشخصي - الذاتي - الوجوداني) . العصرنة اليوم لم تعد خياراً ، وإنما أصبحت شرطاً للحياة (شرطًا نوعياً) . إن الحياة يراد لها أن تمثل الدين وأن تخلق بование ، ولا يتم هذا إلا بعصرنة الفكر الديني ابتداءً ؛ لأنه هو الحاسم فينا . وعصرنة الفكر الديني لا تتم إلا بواسطة الانخراط الفعال في منظومة الفكر المعاصر ، بكل اصرار وإيجابية ؛ لنخرج من رحلة الاجترار التاريخي .

إنَّ مما يعقد هذا الإشكال الطويل الذي يؤزم الفكر الإسلامي المعاصر منذ أمد ولايزال ، أن هذا الفكر تشكل بفعل الحدث التاريخي ، أكثر مما تشكل الحدث التاريخي بفعل هذا الفكر . ليس هذا الحكم التقريري إلغاء للبعد الجدللي ، بل مجرد اشارة إلى الروح العام الذي صنع المعطى الفكري - ومن ثم الواقعي - في واقعنا الإسلامي المعاصر خاصة . الإنسان العربي - وهو الأول في رحلة الابتكار الديني - وجданِي من ناحية ، ومتخيِّز - تصوّراً وعقلاً - ضد الكلِي والتركيزِي

(الفلسفي - العقلاً - العلمي) من ناحية أخرى.

مِمَّا يعني أن الأشخاص (الذوات المقدسة صراحة أو ضمناً) ستكون على المحك، ولن تبقى كما هي عليه من قبل في تراتبها التي تتغيّر الفكرة - براجماتياً (!) - في النهاية»^(١).

ثم يضرب مثلاً للذوات التي يصفها بالمقدسة بالخلفاء الراشدين، ومذهب أهل السنة في ذلك أن التفاضل بينهم على حسب ترتيبهم في الخلافة، لكنَّ هذا الكاتب لا يروق له ذلك، ويعده أمراً مبيتاً في الضمائر قبل وجوده^(٢)، يقول:

«جرى الحدث التاريخي فيما يخص السلطة على التراتبية المعروفة بالنسبة للخلفاء الراشدين - رضوان الله عليهم - أجمعين، ومع أنه - أي الترتيب التاريخي للخلفاء - كان حدثاً تاريخياً مجرداً إلا أنه قد جرى تحويله معنى دينياً في تراتبية الأفضلية لهؤلاء، وهنا يظهر أثر الحدث التاريخي الواقعي - بأقصى حدود الواقعية الصريحة - على الفكري، وكيف جرى ضمه إلى مجلل المنظومة العقائدية بوصفه معبراً عن مضمون عقائدي كان موجوداً قبل وجوده المتعين في الواقع»^(٣).

فهو لجهله - أو خبيثه - يرى أن ترتيب الخلفاء كان حدثاً تاريخياً مجرداً.. !!ولم يكن الأمر كذلك، بل إن الصحابة رضي الله عنه اجتهدوا في تعين الأفضل، بدليل أنهم توافقوا طويلاً بعد موت عمر رضي الله عنه أيهما الأحق والأفضل عثمان أم علي؟، وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يطوف حتى على العذارى في خدورهن يسألهن حتى انتهى الأمر إلى تقديم عثمان. ولهذا يقول أحد السلف:

«من فضل علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار»، فكيف يقال إن ترتيب الخلفاء الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة كان حدثاً تاريخياً مجرداً؟!

(١) في مقال بعنوان: (التاريخ وأزمة الفكر الإسلامي) الخميس ١٣ من ذي القعدة ١٤٢٦هـ - ١٥ ديسمبر ٢٠٠٥م - العدد: (١٣٦٨٨).

(٢) المصدر السابق.

لكنه الجهل والهوى ، وإذا كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي ، فإنهم لم يختلفوا في أبي بكر وعمر . . .

ولا يفوته في مقاله هذا أن يعرج على الصحابي الجليل ، وكاتب الوحى معاوية رضي الله عنه وتهمه ببعض التهم الجائرة التي تناول من عدالته وزراحته بناء على ما قرره سابقاً من الفحص والمراجعة (!) ، حيث يقول : «كل من تأمل التاريخ لابد أنه قد لاحظ التغير النوعي والجذري في زمن ما بعد الراشدين . وهو تحول طبع الحياة الإسلامية فيما بعد ، ولم يقتصر على فترة محدودة من تاريخ الإسلام . بداية بمعاوية بن أبي سفيان ومن تلاه ، تحول الدينى الرسمي - وهو الذي كتب له الانتصار في سياق موازين القوى الاجتماعية ، لا الدينية - إلى دين شرعى ! . وهنا المفارقة ؛ إذ تحولت الأيديولوجيا الرسمية التي تتسلل الاجتماعي بأكثر مما تتسلل الشرعى إلى أن تكون صاحبة اليد الطولى في تحديد الشرعى الذى سيأسر مسيرة الفكر الدينى إلى حد كبير» (١) .

ثم في نهاية مقاله يتباكي على مذهبه الاعتزالي العقلاني فيقول : «لا شك أنَّ هذا يفسر كيف أنَّ تيار العقلانية لا يظهر في مكان من العالم الإسلامي إلا ريشما ينذر ، لا يتم هذا بقرار سلطوي في الغالب ، وإنما بإرادة جماهيرية لا تزال تتدثر بلحاف الخرافات الصريحة أو الخرافات التي تؤسس على هذا القول أو ذاك» (٢) .

٥- نقد الكرامات ، والتشكيك فيها :

- عبد الله بن بجاد العتيبي يشككُ في عقيدة من عقائد أهل السنة والجماعة ، وهي إثبات كرامات الأولياء (٣) ويعدها من الخرافات ، ثم يقرر (!!) أنَّ الخرافة والعقل ضدان لا يجتمعان !! :

(١) و(٢) في مقال بعنوان : (التاريخ وأزمة الفكر الإسلامي) الخميس ١٣ من ذي القعدة ١٤٢٦هـ - ١٥ ديسمبر ٢٠٠٥م - العدد : (١٣٦٨٨).

(٣) انظر : «شرح أصول الاعتقاد أهل السنة والجماعة» : (٩/٧-١٧١) للالكاني .

يقول: «في الحالة الإسلامية تم تدشين الخرافية بعد وقت ليس بالبعيد عن اللحظة النبوية وقد تلمس لها أصحابها سبباً يربطها بمعجزات الرسول ﷺ».

إن تصفح كتب التراث على شتى مشاربها وتنوعاتها يوضح أنها لا تكاد تخلو بشكل أو باخر من ذكر للخرافات وتعلق بها ، والفرق والمذاهب الإسلامية قدימה والحركات الإسلامية الحديثة والمعاصرة تنهل من ذات النبع وإن بدرجات متفاوتة فمستقل ومستكثر .

بقدر ما يحدو العجز عن التعامل المنطقي مع الواقع إلى الخرافية ، بقدر ما تحاول شرعيتها وتبريرها وتسويقها ، ولذلك فهي تهرب من الواقع الذي تحكمه القدرات والإمكانيات ، ولا يشعر بالأمانة والأحلام بل إن إكسير نجاحه وقطرته ، تقوم على العلم الصحيح والعمل المنتج .

وبسبب يتصل بالعجز عن العلم والعقل والعمل ، تتجه كثير من الحركات الدينية والإسلامية المعاصرة لاعتماد مفاتيح ثلاثة تحاول من خلالها تقديم رؤية متماضكة للأبعاد الزمنية الثلاثة ، الماضي والحاضر والمستقبل .

فتعتمد الرأي الدبرى في قراءة الماضي ، والعجبائيات ونظرية المؤامرة في قراءة الحاضر ، والتفكير الرغبوي في قراءة المستقبل ، والخrafة تحتل مكان الصدراء من هذه المفاتيح الثلاثة .

ويدخل في تجليات الخرافية أربع أفكار رئيسية ، تنتشر بشكل مرضي في فكر وتصورات شريحة واسعة من الأجيال الخاضعة للخطابات الآيديولوجية الدينية التي تكرس الخرافية ، والأفكار الرئيسية هي : الكرامات ، والأحلام ، وأحاديث آخر الزمان ، ونظرية المؤامرة»^(١) .

(١) في مقال بعنوان: (هيمنة الخرافية) ، جريدة الرياض: الاثنين: ١٥ أغسطس ٢٠٠٥ هـ ١٤٢٦ - العدد: (١٣٥٦).

٦- التشكيك في ديمومة الصراع مع اليهود وكونه صراعاً عقدياً:
الصراع مع اليهود وغيرهم من الكفار صراع عقدىٌ، وهذا الصراع ليس وليد اللحظة الحاضرة، بل هو صراع يضرب بطنابه في أعماق الزمن.

فديمومة هذا الصراع، وكونه صراعاً عقدياً، هو من الثوابت وال المسلمات التي دلت عليها نصوص الكتاب العزيز:

قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَّوْةً لِّلَّذِينَ أَمَنُوا أَلْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾

[المائدة: ٨٢].

وقال جلّ وعلا: ﴿وَلَا يَرَوُنَنِيَّتُكُمْ حَتَّىٰ يُرَدُّوكُمْ عَنِ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوْ وَمَنْ يَرَسِدُ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَإِنَّمَا وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَرَثُتُ أَعْمَلَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا حَنَدُورُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

ويقول -جلّ في علاه-: ﴿وَأَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّهُمْ﴾

[البقرة: ١٢٠].

- المحمود يشكك في ديمومة الصراع مع اليهود وكونه صراعاً عقدياً: محمد المحمود يكثر من العزف على هذا الوتر - وتر الإنسانية - فهو يقرر أولاً أن الصراع بين الطرفين ليس صراعاً عقدياً، ويسمى من يعتقد ذلك بأنه متطرف: يقول: «المتطرفون من هنا (العرب والمسلمون)، ومن هناك (الإسرائيليون) يفترضون الصراع الدائر الآن صراعاً عقائدياً، لا مجرد وقائع سياسية تقوم على دعاوى عقائدية»^(١).

ومن عجب أنَّ الكاتب لم يحدثنا عن سبب اختيار اليهود لدولة فلسطين (أرض الميعاد) دون غيرها من بقاع الأرض، ولا عن هيكل سليمان الذي يراد بناؤه على

(١) في مقال له بعنوان: (إشكالية العنف الفلسطيني الإسرائيلي)، الرياض: الخميس ٢٢ محرم ١٤٢٦هـ - مارس ٢٠٠٥م - العدد: (١٣٤٠).

أنقاض المسجد الأقصى، فكل ذلك في نظره ليس شأنًا عقائديًا، والحقيقة أن اليهود أنفسهم هم الذين ألقوا في روع المسلمين أن هذا الصراع ليس عقائدياً ليأمنوا جيشان العقيدة في نفوس المسلمين، وليعزلوا الفلسطينيين المسلمين عن باقي المسلمين !

ثم يهزا بالأحاديث الشريفة التي تحدث عن نهاية هذا الصراع، ومنها الحديث الذي أخرجه الشیخان عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقْوُمُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيُقْتَلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودَيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ يَا مُسْلِمٌ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودَيٌ حَلْفَيِ فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»^(١)، ولعلَّ هذا الحديث لا تقبله عقولهم المريضة لأنَّ فيه نطق الحجر، وهذا أمرٌ مخالف للعقل عندهم، فيقول: «إنَّه يرونَه صراعاً لا في لحظته الراهنة فحسب، وإنما هو كذلك منذ البداية وحتى النهاية»^(٢) . . . !!

- انحرافهم في مفهوم الجهاد :

أ- ها هو خالص جلبي شيخ الليبراليين في القصيم يدعو إلى مذهب «السلم» أو «السلام»، ونبذه لجميع أنواع ما يسميه «بالعنف» دون تفريق بين حق وباطل . وحصره مفهوم الجهاد الشرعي في الدفاع عن البشر المظلومين (أيًا كان دينهم) المكرهين على تغيير آرائهم واعتقاداتهم، وذلك بعد قيام الدولة الإسلامية بواسطة الطريق السلمي ، أما قبل قيامها فلا يجوز أي نوع من أنواع الجهاد (المسلح) ! .

والإليك شيئاً من أقواله تبين هذا ، ثم التعقيب عليها :

- يقول الدكتور تحت عنوان (أنظمة فكرية أربعة في كيفية استعمال العنف):

(١) آخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الجهاد، باب قتال اليهود، ٦/١٠٣-مع الفتح)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الفتن وأشراط الساعة (١٨/٤٤، ٤٥-مع شرح الترمذ).

(٢) في مقال له بعنوان: (إشكالية العنف الفلسطيني الإسرائيلي)، الرياض: الخميس ٢٢ محرم ١٤٢٦هـ - مارس ٢٠٠٥م - العدد: (١٣٤٠١).

(توجد أربعة أنظمة فكرية، أو أربع لغات في جواز استخدام العنف ومشروعه من حرمته وعدم جواز استخدامه:

- فاللغة الأولى هي شريعة الغاب: القوي فيها يأكل الضعيف ولا يوجد أي ظل لأي قانون ضمن الدولة الواحدة أو بين الدول، وهي مرحلة مشى فيها الجنس البشري، وهو يودعها تقريرًا الآن، وقد يعترض من يقول: لا، إن الوضع لم يتغير، وهذا ينسف كل إمكانية أو تحقيق أي تطور عن الإنسان والجنس البشري عموماً، وهو تصور غير صحيح، في ضوء إنجازات الجنس البشري حتى الآن، من نظام الأمم المتحدة، ومحكمة لاهاي للعدل الدولي، ومنظمات حقوق الإنسان، ومعاهدة جنيف لأسرى الحرب، ومنظمة الهلال والصليب الأحمر الدوليين إلخ. وهذا لا يعني الكمال في الإنجاز، ولكنها خطوة متواضعة، في طريق تحقيق الكمال الإنساني، والدولة العالمية الواحدة، لتأمين الخبز، ودحر المجاعات، واحتكار السلاح، وإيقاف الحروب.

- اللغة الثانية هي لغة الديمقراطيات الغربية: وتومن بالعنف لإطاحة الحكومات الظالمة المستبدة، وتحرم العنف بعده، ويصب معهم في الاتجاه نفسه تيار (الخوارج) من التاريخ الإسلامي، الذين لم يؤمّنوا باستقراطية الحكم (أن يكونوا من قريش مثلاً)، فالإنسان الأسود (كونه من الشرائح المستضعفة في قاع المجتمع) يمكن أن يتولى منصب الرئاسة، كما هو الحال في نيلسون مэнديلا، في جنوب أفريقيا الآن، وهذا التصور كان مستحيلاً في تلك الأيام، كما آمنوا بالثورة المسلحة، لتغيير الحاكم المنحرف (وهو ما تفعله جماعات الإسلام السياسي في الوقت الحاضر، حيث أحيت مذهب الخوارج من جديد)، فالخوارج رأوا في الحكم الأموي، أنه غير إسلامي وظالم؛ فوجب الإطاحة به، على كل حال هم يُكفرون مرتكب الكبيرة، ولقد كفروا علياً واستباحوا دمه، ثم قتلوه في النهاية، وقد استندوا طاقتهم في الصراع مع الأمويين، وجعلوا الدولة الأموية تنزف حتى الموت، وسقطت كالتفاحة الناضجة ليست بأيديهم،

ولا بأيدي آل البيت المنتظرين بفارغ الصبر، بل بيد العباسين المحنكين،
المختبئين في الظلام المجهولين!

- اللغة الثالثة هي لغة الأنبياء: الذين حرموا صناعة الحكم بالقوة المسلحة وبالعنف، من خلال الانقضاض على الحكومات القائمة، حتى لو كان مجدهمها إلى السلطة بالسيف وبالعنف، فالللاشرعية لا تزال باللاشرعية، بل بالشرعية، والخطأ لا يزال بالخطأ، بل يُقْوَى بالعمل الصحيح، وهذا ما فعل الرسول ﷺ، الذي غير المجتمع بالفكر وسلمياً، فحين فشل في اختراع مجتمع مكة والطائف، نجح في نشر دعوته في أهل يثرب، التي ستأخذ اسم مدينة الرسول ﷺ بعد ذلك (المدينة المنورة)، حتى تفشي الإسلام في مجتمع المدينة، فلم يذهب إليهم على ظهر الدبابات بانقلاب عسكري، بل خرجنوا لاستقباله، في مظاهرة ضخمة، ضمت أهل المدينة من الرجال والنساء، في مشاركة رائعة، مع فرقة موسيقية كاملة، والكل ينشد: طلع البدر علينا^(١) معلين خصوص مجتمع المدينة للفكرة الجديدة، دون سفك قطرة دم واحدة، وهذا التحول المدهش، في مجتمع المدينة المنورة سابقاً وبهذه الطريقة السلمية، غاب عن أعين المسلمين منذ ذلك الوقت، وعطلوا سنة عظيمة من سُنن الإسلام، في كيفية بناء المجتمع أو معالجته حين الانحراف، وتبعثر الحكم الراشدي تحت حرارة العنف ودمويته، وانزلق المجتمع الإسلامي، إلى ليل التاريخ، حيث المغامرون والانقلابيون يتناوبون قنص السلطة الدموي دون رحمة، ولم يخلص العالم الإسلامي من هذا المرض حتى اليوم، وأعيد مذهب الخوارج، بكل عنفوانه وقوته مرة أخرى، في مناطحة الحكومات، واستفاد الجهود في معارك مدمرة، بحيث توافت عملية نقل السلطة الإسلامي، وتحول المجتمع إلى شرائح، لا يشق بعضها بعض، وتوقف الحوار،

(١) هذه الحادثة لا تُصيغ من الناحية الحديثية من جهة الإسناد، وكذلك من جهة المتن، انظر: «مجموع الفتاوى»: (٢/١٩٦)، و«السلسلة الضعيفة»: (٢/٦٣) للألبانى.

وأضمرت النفوس الحقد والتآمر، وسفكت الدماء غزيرة.

- اللغة الرابعة: فهي بعد قيام الحكم الشرعي، فإذا صار الحكم شرعياً، استطاع وسمح له بالجهاد المسلّح، بعد أن بنى مجتمع (اللا إكراه).

عند ذلك، من لا يريد أن يدخل في السلم، ويريد أن يكره الناس على أي دين وببدأ فكراً، فهذا يتصل بـه المجتمع الإسلامي (مجتمع لا إكراه في الدين)، وهذا هو مجال الجهاد، أي حماية الناس من الفتنة (الإكراه)^(١) ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونُ فَتْنَةٌ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، ﴿وَلَا يَقْتُلُنَّ أَشَدَّ مِنَ الْقَتْلَ﴾ [آل عمران: ١٩١]، وهذا يتولد منه مجموعة هامة من المعاني: الجهاد هو لحماية المخالف، والجهاد أداة واحتكار للعنف بيد السلطة، والسلطة أي سلطة، لا يسمى ما تفعله جهاداً، حتى يتم وصولها إلى الحكم برضاء الناس، فالجهاد هو ذو جانبي في المجاهد (بكسر الهاء) والمجاهد (فتح الهاء) ضده، فلا جهاد إلا بيد سلطة وصلت إلى الحكم برضاء الناس، ولا جهاد إلا ضد من يمارس الظلم على الآخرين بإخراجهم من ديارهم وأديانهم بالقوة المسلحة ﴿لَا يَتَهَاجِرُوكُمْ اللَّهُ عَنِ الظَّالِمِينَ لَمْ يُقْتَلُوكُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيْرِكُمْ أَن تَبْرُؤُوهُنَّ وَقُتْلُوكُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحدة: ٨]^(٢).

يقول الشيخ الخراشي تعليقاً على مامضى: «هذا المقطع الطويل يوجز لنا الفكرة التي يلدنن حولها الدكتور في كثير من كتاباته .

فالتغيير (أي تغيير السلطة الظالمة) يكون سلبياً دون (عنف) أو (استخدام سلاح)، وبعد الوصول إلى السلطة من قبل (السلميين) يجوز استخدام (الجهاد) أو (السلاح) أو (العنف) لنشر الإسلام وحماية الدولة الإسلامية !! إنما لحماية المكرهين على تغيير آرائهم ومعتقداتهم فقط !! .

(١) الفتنة: الشرك، ولكن هذا من تحريرات الدكتور للأيات حتى توافق هواه ! - كما سيأتي -.

(٢) سيكولوجية العنف (ص ١٢٣-١٢٦) لخالص جلبي.

وهذا فيه تلبيس عجيب من الدكتور الذي لو تابع مذهب السلف أهل السنة والجماعة بعد نبذه للعمل السري الحربي المسلح لأراح نفسه وجنبها تحريف الحقائق الشرعية وتزويرها^(١).

والأدلى والأمر أن يأتي خالص جلي بمفهوم جديد للجهاد في سبيل الله، حيث يرى أنَّ الجهاد لم يُشرع لإزالة الكفر، بل لدفع الظلم، أي ظلم حتى لو كان من الكافرين ضد المسلمين، والجهاد لا يكون إلا لحماية المخالف^(٢).

ومن هذا المنطلق: يعتبر الجلي قاتل أمريكا في العراق، لو أرادت تخلص الشعب من الظلم، فهو نوع من العجاهد أيضًا^(٣).

بـ- أمَا يوسف أبا الخيل، فيخزل مفهوم الجهاد في سبيل الله في جهاد الدفع فقط؛ فيقول:

«يعتبر الجهاد في الإسلام، وفقاً للنصوص القرآنية التي شرعت له، وفقاً لسير الرسول ﷺ في جهاده، آلية لدفع العداوة ورد الظلم وحماية الأوطان التي عبر عنها التوصيف الفقهي (حماية البيضة)، وقد جاءت الآيات القرآنية واضحة بشكل لا يُنسى نحو ربط الجهاد بتلك الآلية أو الهدف منه بشكل حصرى لا تعدى فيه، منها قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَقْتَلُوهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠] وكما هو واضح من فحوى هذه الآية، فهي تحصر الجهاد في المعتدلين فقط، بحيث لا يتعداهم إلى غيرهم من الأبرياء ومن هم غير معتدلين، ومنها قوله تعالى ﴿وَلَا تُقْتَلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوكُمْ فِي هُوَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩١-١٩٢]،

(١) دراسة بعنوان «انحرافات خالص جلي شيخ (العصراين) في القصيم»: (ص ١٤، ١٥) للشيخ سليمان الخراشي، انظر: موقع الكاشف.

(٢) «سيكولوجية العنف»: (ص / ١٦، ١٤) لخالص جلي.

(٣) ملحق الرسالة في جريدة المدينة (المكافئات)، الحلقة الثانية في: ٣/٩/١٤٢٣ هـ.

ومنها قوله تعالى : ﴿لَا يَهْكِمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَا يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِينِكُمْ أَن تَبْرُوْهُمْ وَقُتِّلُوكُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾① إِنَّمَا يَنْهَا اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قُتِّلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَا يُخْرِجُوكُمْ إِنْ دِينَكُمْ وَظَاهِرُوا عَلَى إِنْتَرَاجِكُمْ أَن تَرْوَاهُمْ وَمَن يَرْوَهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المتحدة: ٩-٨] بالإضافة إلى كثير من النصوص في هذا الشأن مما لا يتسع المجال لذكرها في مساحة هذا المقال ، ومن الطبيعي أن هناك من سيحتاج بوجود نصوص أخرى يوهم ظاهرها بأنها توسم لما دعاه بعض الفقهاء بـ(جهاد الطلب) أي مهاجمة غير المسلمين في عقر دارهم ، إلا أنه يمكن الرد على مثل تلك الدعوى بأن النصوص التي تحصر الجهاد في الدفاع ضد المعتدين جاءت في سياق خاص ، بينما جاءت النصوص التي يوهم ظاهرها بأنها توسم لنفيض ذلك مما يعرف بـجهاد الطلب في سياق عام مما يعني ضرورة حمل العام على الخاص كما هي عادة الأصوليين﴾^(١) .

كما أنَّ يوسف أبا الخيل يعد من دعاة المقاومة السلمية^(٢) التي تعني اتخاذ الطرق السلمية في مقاومة الأعداء وعدم مواجهتهم بالسلاح ، وفي هذا غاية الذلة والخضوع والاستكانة لأعداء الأمة ، مع ما فيه من وأد لمعاني العزة والكرامة والنخوة التي تنهض بها الأمة ، وتقدر بواسطتها -بإذن الله- على مقارعة أعدانها .

ج- والمحمود يسير في ذات الطريق فلا جهاد عنده إلا جهاد الدفع ، ولنتأمل الحوار الآتي :

«تركي الدخيل : طيب ، هذا مظهر من مظاهر في تقديرك أنت من مظاهر تغلغل أيديولوجيا لها في التيار المتشدد عندنا ، ما هي المظاهر الأخرى غير مثلاً أدبيات

(١) في مقال له بعنوان : (ملتقى أفرا الفكري وتوصيف أهداف الجهاد) ، نُشر في جريدة الرياض ، بتاريخ : الأحد ٧ شعبان ١٤٢٦هـ - ١١ سبتمبر ٢٠٠٥م - العدد : (١٣٥٩٣) .

(٢) انظر -غير مأمور- في هذا مقالين له :

أ- (غاندي...) تاريخ حافل من المقاومة السلمية) ، نُشر في جريدة الرياض ، بتاريخ : ٢٠٠٤/١٠/٢٣م .
ب- (لماذا انتصرت المقاومة في جنوب إفريقيا؟) ، نُشر في جريدة الرياض ، بتاريخ : ٢٠٠٤/١٠/١٦م .

الولاء والبراء؟

محمد محمود: في عندك أدبيات الولاء والبراء، في التجيش للقتال يعني مفهوم مثلاً الجهاد، يعني مفهوم الجهاد يطرح.. يطرح بصفته ابغاً فردياً ذاتياً.

تركي الدخيل: كيف ابغاً فردياً ذاتياً؟

محمد محمود: أي يعني أنت أنا اقتنعت بفكرة الجهاد وأريد أن أحصل على الأجر فنتيجة لذلك أذهب وأقاتل هنا أو هناك.

تركي الدخيل: وهذا ليس صحيحاً؟

محمد محمود: وهذا ليس صحيحاً.

تركي الدخيل: ما هو الصحيح؟

محمد محمود: الصحيح طبعاً الصحيح لا بد أن تقرأه من سياق الفتوى النبوية في الفترة المكية لم يكن هناك جهاد لأنه لم يكن هناك راية ولم يكن هناك قتال.

تركي الدخيل: هل تعتقد أن مجتمعاتنا الآن تعيش الفترة المكية من جديد؟

محمد محمود: لا.. لا المجتمعات الآن تعيش لها جيوش نظامية، هذه الجيوش النظامية هي المنوطة بها فكرة الجهاد، وهي التي تقرر أو تتخذ قرار الجهاد من عدمه، وليس الذي يتخذها أحد فرد لأن اتخاذها على النحو..

تركي الدخيل: بس الذين يتبنون فكرة الجهاد كلهم يقولون أن الجيوش لم تقم بواجب الجهاد وبالتالي لا بد..

محمد محمود: يعني هذه كلهم يمكن أن يقولوا هذا الكلام، يعني حتى على فترة النبي ﷺ هناك من كان يتحمس لإشهار سيفه حتى في فترات الهدنة، فكان موقف طبعاً النبي ﷺ أنه لم يسمح لهم بذلك، لأن هذا طبعاً سوف يوقع الدولة

اللي كانت .. الدولة المدنية سوف يوقعها في مشاكل طويلة جدًا ، يعرفها صاحب القرار السياسي ولا يعرفها صاحب أو الفرد يعني هذا غير معنى»^(١) .

قولهم (بنسبة الحقيقة) ، فما حقيقة هذا القول ، وما معناه؟

يقول الأستاذ بسطامي سعيد-في بيان هذا القول ، وتجلية معناه- : (هل حقائق الدين نسبة؟ .. إذا قيل إن الفكرة إما خاطئة أو صائبة بغض النظر عن الزمان الذي شهد ظهورها ، قالت العصرانية: ولكن إدراك حقائق الدين مسألة نسبية ، فليس هناك صواب مطلق و «إن الحقيقة الثابتة تختلف الأنظار إليها باختلاف زاوية سقوط الشعاع الفكري» .

وهذا القول لا يقدم دليلاً أو حجة ، بل يكتفي بالإشارة إلى أن نظرية الإنسان إلى الأشياء نظرية جزئية ، وليس نظرية شاملة كاملة وإن هذه النظرية هي بحسب معارف المرء وثقافته ، وبحسب اهتماماته والزاوية التي ينظر منها .

و قضية النسبية (Relativism) في الحق (truth) أو في الأخلاق ethical قضية فلسفية ، تتناحر حولها الفلسفة منذ أن عرف الإنسان الفلسفة ، و كعادة الفلسفه في مناقشة القضايا تعقد وتشابك الآراء ، والفلسفه وحدهم هم الجديرون بأن يغرقوا في مثل هذه المباحث ، وهل استطاعت الفلسفه يوماً ما أن تحل لغزاً؟!

وفي بساطة نتساءل: ما المقصود بأن الحقيقة نسبية؟ إذا كان المقصود أن معرفة الإنسان قاصرة و عمله قليل ، وأنى له بالعقل الذي يدرك الأشياء إدراكاً شاملًا ، فهذا ليس موضع اختلاف ، والبشرية بما فيها من عجز وقصور مؤهلة لإدراك قدر من المعارف تكفيها لأداء مهامها في هذا الفترة القصيرة من عمرها على الأرض .

(١) انظر: «موقع قناة العربية»-برنامج إضاءات- بتاريخ: الأحد: ٦ ربيع الأول ١٤٢٨ هـ، ٢٥ مارس

وإذا كان المقصود أن الإنسان لا يصل إلى حقيقة، وكل ما عنده من حقائق لا يمكن القطع والجزم بها، ولا يمكن الاتفاق حولها، فأول ما يواجه هذا القول من نقد أن يُسأل ما الدليل على أن هذا القول صادق؟ فإذا قدمت الأدلة على صدقه وأثبتت أنه حقيقة، فهو اعتراف بأن لدينا على الأقل حقيقة نطمئن إليها، وهو اعتراف ينقض ما قدمت الأدلة لإثباته، وإذا كان القول بأن الحقيقة نسبية أمر نسبي أيضاً ولا يمكن القطع والجزم به، فكيف يؤخذ به؟ ثم كيف يفسر من يقول إن الحقيقة نسبية ذلك القدر المشتركة من الحقائق بين أفراد النوع البشري على اختلاف بيئاتهم وظروفهم وعصورهم؟!

الأهم من ذلك أن يُسأل: هل هناك منهج صحيح للوصول إلى حقائق الدين، أم أن الدين كما هي النظرة الغربية له، لا معايير ولا مقاييس لتحديد حقائقه، بل هو مثل مسائل الآداب والفن مسألة «ذوق»، لا تقوم على منهج علمي محدد، أو معايير منضبطة؟.

إن مصادر حقائق الدين ثلاثة أشياء: النصوص الموحاة، ومعاني هذه النصوص، والاستنباط منها، ولكل واحد من هذه الأقسام منهج علمي محدد مضبوط، فهناك منهج علمي لتوثيق النصوص، ومنهج لطريقة فهمها، ومنهج للاستنباط منها، وما يتوصل إليه عن طريق هذه المناهج حقائق لا شك في ذلك.

قد يحدث تغيير أو تبديل للنصوص، أو قد يحدث خطأ في الفهم، أو يحدث خطأ في الاستنباط، ولكن هذه مسألة أخرى ومعالجتها تكون بآيات ما حدث من تحريف بالدليل والبرهان، أما إطلاق العموميات والقول بأن حقائق الدين مسألة نسبية يدركها كل على حسب المعرفة المتاحة، ويراد من وراء ذلك رفض فكر العصور الماضية ! فقول لا تسنده حجة ولا يمكن قبوله»^(١).

وجذور هذا القول الخطير وأصوله ترجع إلى (السوفسطائيين)^(٢)، فهم أول من

(١) «مفهوم تجديد الدين»: (ص/ ٢١٤، ٢١٥) لبسطامي سعيد.

(٢) انظر: ص ٦٩ من البحث؛ لمراجعة معنى هذا المصطلح ومدلوله.

قال به - وعلى رأسهم كييرهم الفيلسوف بروتاغوراس - الذين ظهروا في اليونان ما بين القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد؛ حيث كانت اليونان تموج بمجموعة من الأفكار والمذاهب المتباينة المتنوعة؛ فلجأوا لهذا القول في تأييد الآراء المتناقضة؛ إما شكًا في الجميع، أو للتخلص من جهد طلب الحقيقة.

يقول الدكتور علي سامي النشار: «نسبة كل شيء قال بها بروتاغوراس السوفسطائي حين أراد أن ينقد أصول المعرفة «إن الإنسان هو مقياس وجود ما يوجد منها ومقاييس وجود ما لا يوجد» ثم أخذ بهذا الشكاك بعد، فطبقوها على الحد كما طبقوها على نواحي العلم كله، فلم تعد حقيقة من حقائق العلم ثابتة أو مستقرة، بل كل شيء - كما يقول هرقلطيتس - في تغير مستمر»^(١).

ويقول الدكتور عمر الطباع عن السوفسطائيين: «وكانـت هذه الجماعة تنكر وجود حقائق ثابتة، وتدعـي أنـ الحقيقة نسبـية»^(٢).

لقد عبر بروتاغوراس زعيم السوفسطائيين عن فكرهم في كتابه «عن الحقيقة» الذي فقد ولم تصـلـنا منه إلا شـذرـات قـليلـة يـبدأـها بـقولـه: «إنـ الإنسان معيـار أو مـقـايـيسـ الأـشـيـاءـ جـمـيعـاً» وفيـ هـذـهـ العـبـارـةـ القـصـيرـةـ تـكـمـنـ الشـوـرـةـ الفـكـرـيـةـ للـسوـفـسـطـائـيـينـ فيـ مـخـتـلـفـ مـيـادـيـنـ الـفـكـرـ.ـ إنـهاـ تعـنيـ بـالـنـسـبـةـ لـنـظـرـيـةـ الـمـعـرـفـةـ أنـ الـإـنـسـانـ الـفـرـدـ هوـ مـقـايـيسـ أوـ مـعـيـارـ الـوـجـودـ،ـ فـإـنـ قـالـ عـنـ شـيـءـ إـنـهـ مـوـجـودـ فـهـوـ مـوـجـودـ بـالـنـسـبـةـ لـهـ،ـ وـإـنـ قـالـ عـنـ شـيـءـ إـنـهـ غـيرـ مـوـجـودـ فـهـوـ غـيرـ مـوـجـودـ بـالـنـسـبـةـ لـهـ أـيـضاـ،ـ فـالـمـعـرـفـةـ هـنـاـ نـسـبـيـةـ،ـ أـيـ تـخـتـلـفـ مـنـ شـخـصـ إـلـىـ آـخـرـ بـحـسـبـ مـاـ يـقـعـ فـيـ خـبـرـةـ الـإـنـسـانـ الـفـرـدـ الـحـسـيـةـ،ـ فـمـاـ أـرـاهـ بـحـوـاسـيـ فـقـطـ يـكـوـنـ هوـ الـمـوـجـودـ بـالـنـسـبـةـ لـيـ،ـ وـمـاـ تـرـاهـ أـنـتـ بـحـوـاسـكـ يـكـوـنـ هوـ الـمـوـجـودـ بـالـنـسـبـةـ لـكـ،ـ وـهـكـذـاـ»^(٣).

(١) «مناهج البحث عند مفكري الإسلام»: (ص/ ١٩١).

(٢) «السلم في علم المنطق»: (ص/ ٧) للأخصري.

(٣) «مدخل لقراءة الفكر الفلسفـي عند اليونان»: (ص/ ٧٠، ٧١) للدكتور مصطفى النشار.

- أقوال الليبراليين في هذا الجانب :

أ- يقول يوسف أبا الخيل في سياق حديثه عن الطريق الأمثل لمكافحة الخطاب الإقصائي المتشدد: «...لذا فمن أجل حصره في زاوية التعرية لأهدافه وما يتطلع إليه من إجهاض لأية بارقةأمل من التطور، فلا يجب إشعاره أننا نسعى لإحلال صوت إقصائي آخر بدليل له، بل بدلاً من ذلك يجب أن تكون آلية الحراك التي نبشر بها تحمل مزيداً من إفساح المجال لكافلة الآراء بما فيها صوت ذلك التيار ما دام ملتزماً بشروط الاجتماع البشري، التي يأتي على رأسها الإيمان بأن للآخرين ذات الحق التي له في إبداء الآراء والتماهي مع يترتب عليها من معتقدات، وما دام ملتزماً بإعطاء الفرصة للآخرين - وإن لم يكن مقتنعاً بذلك - ليدلوا بدلولهم في الشأن الاجتماعي كافة، وإشعاره أن زمن احتكار الحقيقة - بما فيها الحقيقة الدينية - قد ولى زمانه وليس ثمة طريق آخر إلا مشاركة الآخرين وفقاً لنسبية الحقيقة التي يمسك كل طرف بجزء من خيطها ...»^(١).

ويقول: «هذه النظرة الإقصائية تأتي بلا شك نتيجة حتمية ل التربية طويلة على اعتبار قول وحيد ووسمه بالطابع الشمولي القاطع بحقيقة ويقينه بلا اعتبار لأية أقوال أو مذاهب أخرى في المسألة المطروحة للبحث إلا باعتبارها ضالة عن الطريق السوي أو مبتدعة في حال التلطف مع أصحابها، لو أنها أشعنا في مرافق ثقافتنا على اختلاف أنواعها مبدأ نسبية الحقيقة في الأقوال والأعمال والتخيّلات والتفسيرات لما كانت هذه حال قطاع كبير من يقاتلون على ثقافتنا ويدعون الأحقية بتمثيلها»^(٢).

(١) في مقال له بعنوان: (السِّيلُ الْأَمْثَلُ لِمَكَافِحةِ التَّشَدُّدِ)، تُشَرِّفُ فِي جَرِيدَةِ الرِّيَاضِ، بِتَارِيخِ: الْأَحَدِ ٥ صَفَر ١٤٢٧هـ - ٥ مَارْس٢٠٠٦م - العَدْدُ: (١٣٧٦٨).

(٢) في مقال له بعنوان: (الاعتبار الإسلامي لغير المسلمين)، تُشَرِّفُ فِي جَرِيدَةِ الرِّيَاضِ، بِتَارِيخِ: الْأَرْبَعَاءِ ٢٣ رَمَضَانَ ١٤٢٦هـ - ٢٦ أَكْتُوبَر٢٠٠٥م - العَدْدُ: (١٣٦٣٨).

ويقول : «تبادر التأصيل الفلسفى لمفهوم التسامح بين الثقافتين الغربية والعربية كان له أثره الكبير على الواقع السوسيولوجي والأبستومولوجى بين الثقافتين ومن ثم امتد أثره إلى جميع مناحي الحياة الأخرى لكل جانب .

وبفضلها استطاعت أوروبا أن تخرج من أحديتها المظلمة وما ترتب عليها من أوضاع خاصة تلك الحروب الدينية المرعبة في القرنين السادس عشر والسابع عشر التي تسربت فيها الأورثوذكسية الكاثوليكية التي قامت على تسين عقيدة واحدة لا يسمح لأحد كائناً من كان بالاتصال بالله تعالى خارج تعاليم أساقفتها إلى فضاء فلسفة عصر التنوير التي دشنت تأصيل مبدأ نسبية الحقيقة التي يقر فيها الفرد أنه لا يملك (إن ملك) إلا جزءاً بسيطاً من الحقيقة يماثل ربما ما يملكه الفرد الآخر أو يزيد أو ينقص ولكنه يظل نسبياً ومن ثم فقبول هذا الآخر لم يعد مجرد زخرف من القول أو مجرد مفردة كرم يتفضل بها فرد على آخر»^(١) .

وانطلاقاً من هذا المبدأ الخطير ، يدعو يوسف أبا الخيل إلى تبني مذهب الشك والمرور بتجربته ، وطرح التساؤلات التشكيكية ، يقول : «إن السلوك الثقافي المعاش يظل مشدوداً إلى التصنيف الثنائي المفصل بين حدوده بشكل حاد وكامل ، سلوك يعتمد على تصنيف الرؤى والمعتقدات ، بل وحتى وجهات النظر العابرة التي تتصل بالواقع المعاش سياسياً واقتصادياً واجتماعياً إلى ثنائية الحق والباطل ، فالحق ما نحمله وندين به ، والباطل ما يدين به أو يعتقد به مخالفنا ، وتبعاً لذلك يتم تصنيف الناس إلى متبعين ومبتدعين ، وإلى ملتزمين وغير ملتزمين ، وإلى ضلالاً ومؤمنين ، وإلى عقائد صحيحة وعقائد ضالة ، ليصل الإنسان المبرمج على ثقافة القطع في الحلقة الأخيرة من سلسلة العنف والإقصاء إلى تصنيف الناس إلى مسلمين وكفار ، ... لذا لا بد للإنسان - ولا يتأتى ذلك له للأسف غالباً إلا في العيش في جو ثقافي

(١) في مقال له بعنوان : (التسامح بين الثقافتين الأوروبية والعربية) ، نُشر في جريدة الرياض ، بتاريخ : ٢٩/٣/٢٠٠٤ م.

فلسي - أن يشك ولو مرة واحدة ، وهذا الشك لا يعني به الشك المدمر ، أو الشك الدوغمائي بطبيعته ، أو الشك لمجرد الشك ، بل إنه شك يجد له جذوراً من داخل المنظومة الإسلامية نفسها ، إذ نجد أبا حامد الغزالى يقول وهو في أوج مرحلة من حياته الفلسفية «من لم يشك لم ينظر ، ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر يبقى في العمى والضلال» كما كان يقول «الشك أولى مراتب اليقين» إنه شك يأتي بالذات من مراعاة نسبية الحقيقة على المستوى الاجتماعي والثقافي بوجه عام ، شك يعطي دفعاً للشاك أن لا يتمسّر أو يتعمّر وجهه أو تنتفخ أو داجه عندما يتعايش مع من يخالفه توجهاته ، إذ أن هذا الشك يتبع لذلك الإنسان الشاك استحضار تساؤلات من قبيل : ولماذا لا تكون وجهة نظر فلان هي الصواب؟ أو لماذا لا تكون تلك الرؤية أو ذلك التأويل أو التفسير أو التخريج لذلك الفرد أو الجماعة أو الفرقه تحمل على الأقل شيئاً من الصحة في باطنها؟ ولماذا مثلاً لا تكون الرؤية التي أحملها أو تلك التي حُملتها ليست قاطعة ويشوبها الشك وعدم اليقين؟ في مثل ذلك الجو الثقافي المشبع والمربى على نسبية الحقيقة - النظرية على الأقل - لا يملك الإنسان إلا أن يكون متسامحاً مع غيره لأنه لا يحمل اليقين على قطعية ما تناهى إليه نظره وما برمجه عليه ثقافته طوال عمره»^(١) .

ويقول أيضاً : «فإن المتعصب عندما يقوم بإدراك موضوع ما (رؤيه عقدية مثلاً) إدرايًّا إيجابيًّا متعاطفًا معها فإنه لا يأخذها على أنها مجرد أحد المعطيات النسبية للحياة الإنسانية ، أو أنها مجرد رأي ينضاف إلى آراء أخرى عديدة لكل منها الحق في خوض غمار تأويله الخاص لذلك الموضوع المثار ، لا بل إنه حينما يدركها إدرايًّا إيجابيًّا محبًا فسينظر إليها باعتبارها حقيقة وحيدة كاملة ناصعة البيان دامجة الحجة لا تضاهيها حقيقة أخرى في تماهيها مع المطلق ، أما عندما يدركها في جانبها السلبي (رؤى الآخرين المخالفة) فسيراهما ثاوية في

(١) في مقال له بعنوان : (الشك حتى لا تقع في شر قطعياتنا) ، جريدة الرياض ، الأحد ١٩ صفر ١٤٢٧ هـ.

أقصى يسار الحقيقة عارية من كل ما يمت إليها بصلة، متفاصلة مع كل ما يتصل بالخير أو الجمال أو الفاعلية أو الإبداع الإنساني مفاصلة نهائية لا رجعة فيها، ويترتب على تلك النظرة (اللاواعية) أنه سيعتبر كل من يشاركه الإدراك بعجائبيه (الإيجابي تجاه رؤيته المذهبية والسلبي تجاه رؤى الآخرين) فهو السعيد سعادة لن يشقي بعدها أبداً، بنفس الوقت الذي يرى فيه كل من لا يشاركه إدراكه ذلك على أنه هالك لا محالة»^(١).

ويقول: « يأتي التعصب الديني كما المذهبى على رأس الأسباب التي تهوى بالإنسان سريعاً إلى مرحلة الوحشية البشرية التي تحدث عنها هوبيز ، إذ أن هذا التعصب ينخلق بدأة في رحم أحادية الفكر الناتج من انعدام التعددية الفكرية والدينية ، مما يؤدي إلى قناعة الإنسان بأن دينه أو مذهبـه هو الوحيد المتواافق على كلية الحقيقة وما سواه من الأديان أو المذاهب فلا تمتلك ذرة يقين أو حقيقة ، وهذه هي البذرة الأولى للعنف ، أما سقيا هذه البذرة فيأتي من اليقين التام الذي يتواافق عليه الإنسان الأحادي جراء انعدام فضيلة «نسبة الحقيقة» بأن عليه واجب إدخال الآخرين في حمى يقين دينه أو مذهبـه ، ولكن لأن من يخالفونه دينه أو مذهبـه كثـر ولا طاقة له وبالتالي بهدايتهم ولأن معظمهم مرتدون عن الإسلام في نظره فلا عذر له عند ربه سوى إزهاق أرواحهم لزفهم إلى نار جهنم وبئس المصير»^(٢) .

أما إبراهيم البليهي ، فيرى أنَّ هذا المفهوم -أعني نسبة الحقيقة- هو من الأمور البدوية ، يقول: «من البديهي أنه لا يوجد إنسان يمتلك كل الحقائق امتلاكاً كاملاً»^(٣) وإنما يتمسك كل فرد بما يظنه كذلك فيتناهى من النصوص والبراهين

(١) جريدة الرياض ، السبت ١٨ ذي القعدة ١٤٢٧هـ - ٩ ديسمبر ٢٠٠٦م - العدد: (١٤٠٤٧).

(٢) جريدة الرياض ، الأربعاء ١٠ شوال ١٤٢٧هـ - ١ نوفمبر ٢٠٠٦م - العدد: (١٤٠٠٩).

(٣) هذا الكلام على إطلاقه خطير جداً؛ إذ أنه يقضى بأنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام ، لا يمتلك الحقيقة الكاملة! وفي هذا طعن في رسالته الإلهية التي أمر بتبليلها للناس.

والموافق والأحداث ما يُقنع به ذاته ويستمر على انتقائته حتى تضطره المواقف المغایرة الضاغطة في أن يعيد فحص أفكاره فإذا وضع كل طرف أفكاره تحت مجاهر التحليل اقترب الجميع من لب الحقيقة تحت أضواء المكاشفة الاضطرارية المتبادلـة»^(١).

* * *

(١) في مقال له بعنوان: (إنكار الانقائية أحد منابع الجهل)، نُشر في جريدة الرياض، بتاريخ: ٢٠/٥/٢٠٠١م.

الفصل الثاني

**آثار وأخطار الفكر الليبراليّ
على المسلمين**

الفصل الثاني: آثار وأخطار الفكر

الليبرالي على المسلمين

هل الليبراليون يملكون مشروعًا جادًّا و حقيقيًّا للنهضة؟

وهل لديهم رؤية ناضجة للإصلاح؟

الواقع الذي لا مراء فيه: أنَّ غاية ما عند هؤلاء الليبراليين هو مسخ هوية المجتمع، والانقلاب على الذات، وتلميع الفكر الغربي واستنساخه بدون وعي أو صدق مع الذات أو مع المجتمع!

وأحسب أنَّ هذا التيار المنحرف ليس له جذور عميقة في المجتمع، وليس له امتداد أو قبول شعبي، لكنَّ خطورته تكمن في أنَّ بعض وسائل الإعلام المحلية والإقليمية صدرت رموزه، وجعلت منهم مفكرين إسلاميين، وخبراء في الحركات الإسلامية، وصناع للرأي العام!

كذلك وفيما يلي بعض آثار ومخاطر الفكر الليبرالي على المسلمين:

أولاً: الآثار العقدية:

١- التشكيك في العقيدة الصحيحة وزعزعة الثقة بها؛ بمختلف الأساليب والطرق الملتوية الخبيثة؛ مما يؤدي - عياذا بالله - إلى انصراف الناس وعزوفهم عنها.

٢- القطيعة التامة مع مصادر التلقي والاستدلال عند المسلمين، والتزهيد بل التشويه المعتمد للتراث الإسلامي عقيدة وشريعة.

٣- إحياء التراث الفلسفـي والمعتـزلي وتقـريرـه لـلنـاس فـي قالـب جـمـيل مـزـخرـف؛ مما يـؤـدي عـياـذا بـالـلـه إـلـى تـقـبـل هـذـا التـرـاث المـنـحـرـف فـي ظـلـ الجـهـل الـذـي يـخـيم عـلـى

كثير من الناس.

٤- الهزيمة النفسية أمام الأعداء التي يريدون أن يغرسوها في أفراد الأمة
شاءوا أم أبوا من خلال أمور عدّة منها :

أ- بهدم حاجز الولاء والبراء.

ب- إلغاء الجهاد.

ج- الترويج بأن المسلمين متخلعون ولا يمكن أن يتقدموها أبداً، والانهيار
بالغرب رغم تراجع الحضارة الغربية والتثبتات من قبل منظريهم بزواليها .

٥- إفساح المجال أمام التيارات المنحرفة الزائفة بدعوى حرية الرأي
والافتتاح على الآخر.

٦- الارتماء في أحضان الأعداء وتقليلهم وتقبل الغزو الفكري بحجّة صحة
هذه الأديان وأن ما عندهم لا يخالف صراحة ما عندنا .

٧- نشر ثقافة تقبل الآخر ولو كان ملحداً، وضياع ما أسماه العلماء بحفظ
الضرورات الخمس وعلى رأسها (حفظ الدين).

ثانيًا: الآثار التربوية والأخلاقية والاجتماعية :

١- إفساد المرأة المسلمة، وجعلها دمية يتلاعب بها المنحرفون سلوكياً
وأخلاقياً.

٢- طمس معالم الأخلاق الإسلامية وذلك عن طريق الانحلال والتفسخ
الأخلاقي والدعوة إلى الاختلاط؛ فلقد فتح هذا الفكر الباب على مصراعيه لدعوة
التغريب، بحيث لو طبقت المجتمعات كل ما يرونـه ويؤصلونـه لأصبحت
مجتمعات منحلة لا تعرف معروفا ولا تنكر منكراً.

فها هو خالص جلبي يدعو إلى هذا التهتك والسفور بطريقة مثيرة للدهشة

والاستغراب !!، يقول: «عند سكان استراليا الأصليين ، تدلل أثداء النساء بدون أن تثير الفتنة . وفي كهوف الفلبين ، يعيش الناس رجالاً ونساءً مع أطفالهم في حالة عري كامل ، فلا يصبح واعظهم أنَّ هذا مُخلٌ بالأخلاق !!»

وبالمقابل فإنَّ كشف (يد) امرأة متلقة بالسوداد من مفرق رأسها حتى أخمص القدم في بعض المناطق من العالم العربي ، يشير الشهوة عند رجال يعيشون في حالة هلlosة جنسية عن عالم المرأة»^(١).

-٨- يقول مشاري الذايدي في دعوته للاختلاط بين الجنسين : «نجد صورة أخرى ، في نفس المكان ، الحرم المكي ، وفي نفس الزمن ، العهد الاموي ، حيث تحدث قصة أخرى ترويها لنا كتب التاريخ ، ومنها شرح نهج البلاغة ، إن الفقيه المعروف أبا حازم ، سلمة بن دينار ، كان يطوف بالكعبة فسمع امرأة حاجة ترفت في كلامها فقال : يا أمَّةَ اللَّهِ ، أَلَسْتَ حَاجَةً ؟ أَلَا تَقْنِيْنَ اللَّهَ ؟ فَسَفَرَتِ الْمَرْأَةُ عَنْ وِجْهِ صَبَّحٍ ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : أَنَا مِنَ الْلَّوَاتِي قَالَ فِيهِنَّ الْعَرْجِيُّ (الشاعر) :

أماتت كساء الخز عن حر وجهها وردت على الخدين بردا مهلهلا
من اللاء لم يحججن يبغين حسبة ولكن ليقتلن البريء المغفلًا

عندما قال أبو حازم : فأنا أسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالنار ! فبلغ ذلك سعيد بن المسيب (من كبار العلماء في وقته) فقال : رحم الله أبا حازم ، لو كان من عباد العراق لقال لها : أغربني يا عدو الله ، ولكنه ظرف نساك الحجاج !

هذا الظرف الذي تحدث عنه سعيد بن المسيب ، وفعله الفقيه أبو حازم ، هو ظرف يفتقده كثير من المتدينين اليوم .

ثم يقول في نفس السياق بعد ذلك :

«ولعل في الشذرات التراثية السالفة ، بعض الدلالة على أننا نحن الذين

(١) في مقال له نُشر في جريدة الشرق الأوسط ، في : ٣/٧/٢٠٠٢م.

نحدد: أي تراث نريد، وعليه نقرر أي مستقبل نمشي فيه...
 مشوار طويل، ومتعب، ولكن لا بد من إتارة الطريق، ولو أزعج وهج الشمع
 من لا يحبه!... وهذا الخطيب البغدادي (توفي ٤٣٦ هجري) ينقل في تاريخه عن
 الصحابي عبد الله بن عمر أن الرجال والنساء في عهد النبوة كانوا يتوضأون
 جمِيعاً؛ أي مختلطين»^(١).

• التعليق والتعليق:

١- يا سبحان الله!! أيريد الذيادي أن يسوق الأمة كالقطيع إلى تراث الرافضة
 والمعتزلة؛ فإذا هي تتبلع البدع والفسق والمجون -عياداً بالله-!

ألا يدرى الذيادي أن مصنف كتاب: «نهج البلاغة» هو (على بن الحسين
 العلوي الحسيني الشريف المرتضى المتكلم الرافضي المعتزلي)؛ كما ترجم له
 الذهبي رحمه الله في كتابه: «ميزان الاعتدال»: (١٢٤/٣)!، ونقد كتابه المذكور،
 وأبان عن عواره، وكشف عن فساده- وهو الصيرفي الناقد؛ فيقول رحمه الله:

«ومن طالع كتابه نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين على رضي الله عنه،
 وفيه السب الصراف والحط على السيلين: أبي بكر، وعمر رضي الله عنهما، وفيه من التناقض
 والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس
 غيرهم ممن بعدهم من المتأخرین جزم بأن الكتاب أكثره باطل».

فأيُّ موضوعية، وأيُّ علمية يُنادي بها القوم، وهم غارقون في بحر الجهل
 والغوضى والبعث!

ثمَّ متى كانت قصصُ التاريخ، وأخبارُ الماضية، مصدراً من مصادر التشريع،
 تُستبطُّ منها الأحكامُ الشرعية؟!

(١) في مقال له بعنوان: «هدية ترائية لامرأة عصرية»، جريدة الشرق الأوسط: الثلاثاء ٢٥ صفر ١٤٢٨ هـ مارس ٢٠٠٧، العدد: (١٠٣٣٢).

ألا إنَّها الفوضى العلمية، والعبث الفكري الذي يضرب بجرانه في حياة المسلمين اليوم، وإنما لله وإنما إليه راجعون!

٢- أما ما نقله الذايدي عن الخطيب البغدادي فيما نقله عن الصحابي عبد الله بن عمر رضي الله عنه من حيث أن الرجال والنساء في عهد النبوة كانوا يتوضأون جميعاً؛ فصحيح لا مطعن فيه ولا مغنم؛ حيث أورده الخطيب في موضوعين من كتابه: «تاریخ بغداد»: (٤/١٠٩)، و: (٨/٦١).

والحديث أخرجه مالك في: «الموطأ» - برواية محمد بن الحسن»: (أبواب الصلاة، باب الرجل والمرأة يتوضأان من إماء واحد، ١/٨٣ رقم ٣٥)، ومن طريقه أخرجه البخاري في: «صححه»: (كتاب الوضوء، باب وضوء الرجل مع امرأته وفضل وضوء المرأة، ١/٨٣ رقم ١٩٠).

غير أن سياقة الحديث في معرض الاستدلال به على جواز الاختلاط بين الجنسين من غير المحارم، والتقارب بين أنفاسهما؛ غير صحيح من جميع الوجوه؛ وإنما أوتي الذايدي من فرط جهله، وعدم أهليته في الاستنباط، ورحم الله من قال: من تكلم في غير فنه أتى بالعجبات.

والمتأمل في كلام أهل العلم حول هذا الحديث، المتمعن فيه بتجدد وإنصاف؛ مستحضرًا النصوص الكثيرة التي تمنع الاختلاط؛ يتوجهُ عنده الحديث بأحد هذين التخريجين:

١- أنَّ هذا الحديث في دلالة سياقه ومفرداته معانيه لا يدل على جواز الاختلاط بين الجنسين من غير المحارم؛ وإنما غاية ما فيه أنه يجوز للرجل أن يتوضأ من فضل زوجه، مثلما يجوز تماماً للمرأة أن تتوضأ من فضل زوجها، وهذا يعني ضرورة اختلاط الرجل بامرأته واحتلاط المرأة بزوجها، وهذا بداعه لا بأس فيه ولا حرج.

إذا؛ فليس المقصود من الحديث كما فهم الذايدي وغيره أنَّ الاختلاط الواقع في الحديث؛ إنما هو لغير الرجل مع زوجه؛ وبالتالي يجوز للرجل أن يخالط مع أي امرأة أجنبية عنه، وقد ذهب إلى فهم الحديث بالفهم الذي قررته آنفًا جمع غير من أهل العلم:

- ١- الشافعي في : «الأم»: (٢١/١).
- ٢- محمد بن الحسن الشيباني في : «روايته على الموطأ»: (١/٨٣).
- ٣- الرافعى كما في : «تنوير الحوالك»: (٤٧١/١).
- ٤- البخاري كما في : «صحيحه»، حيث ساق الحديث تحت باب: «وضوء الرجل مع امرأته وفضل وضوء المرأة».
- ٥- ابن بطال في : «شرحه على صحيح البخاري»: (١/٣١٧).
- ٦- ابن عبد البر في : «الاستذكار»: (١/٢٩٨)، و«التمهيد»: (٨/١٠٣ و١٤/١٦٣).
- ٧- ابن تيمية في : «مجموع الفتاوى»: (٢١/٤٨ و٥١ و٣٣٥).
- ٨- ابن القيم في : «إغاثة اللهفان»: (١/١٢٧).
- ٩- أنَّ هذا الاجتماع لو فرضنا جدلاً أنه كان في شأن الرجل مع غير محارمه من النساء؛ لكن ذلك قبل نزول آية الحجاب، وأما بعده فلا، وإلى هذا ذهب ابن حجر رَحْمَةُ اللَّهِ في : «فتح الباري»: (١/٣٠٨).
- ١٠- وهذا يعني إذا أنَّ الحديث الذي بين أيدينا منسوجٌ بأية الحجاب؛ فلا عبرة إذا بمن استدلَّ به على جواز الاختلاط بين الجنسين من غير المحارم.
- ١١- إمامتة وإضعاف جانب الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

• ثالثاً: الآثار السياسية:

١- إقصاء الشريعة عن الحكم وعزلها عن الحياة، وحصرها في نطاق المسجد والعبادات الشخصية، وهو ما يعرف بـ(العلمانية) أو اللادينية، فالدعوة الليبرالية في حقيقتها هي العلمانية، وإن وجد فاصل بينهم فهو رقيق جداً، وكأنهما وجهان لعملة واحدة، وأسمان لسمى واحد^(١).

- يقول عادل الطريفي: «إن حاجة كثير من البشر للإيمان بالدين هي في إعطائهم معنى روحيًا لحياتهم، ولكن بعد ذلك تصبح الأديان غير قادرة على التدخل في تحديد النظم الحياتية للبشر، إنها تفيد في قيادة أخلاق الناس وتوجيههم الوجهة الروحية المطمئنة، ولكنها تخرج عن دورها المطلوب إذا فرضت شروطها على مواضعات البشر السياسية والاقتصادية والاجتماعية»^(٢).

- ويقول يوسف أبا الخيل: «الإسلام بصفاته الأولى كما نزل على محمد بن عبد الله عليه السلام يفرق تماماً بين الناحية الروحية والناحية الاجتماعية بكافة ما تشتمل عليه من سياسة واقتصاد وتربية وتعليم وصناعة إلخ، الأولى تنظمها النصوص الصحيحة صحة قطعية ثبوتاً ودلالة، أما الثانية فمتروك شأنها للعقل البشري ليرى فيها ما يشاء وفق مصالح الجماعة الراهنة المتاثرة بالمتغيرات الزمانية والمكانية، وهذه هي الحداثة بعينها بغض النظر تماماً عما اصطحبته الممارسات التاريخية الاجتماعية منها والسياسية معها من تراث بشري خلط الروحي بالدنيوي والسياسي بالديني تبعاً لإملاءات أيديولوجية مختلفة»^(٣).

٢- الولاء للفكر الغربي ، والاستقواء بالأجنبي .

(١) انظر: «العصرانيون بين مزاعم التجديد ومبادئ التغريب»: (ص/٤١٧، ٤٠٩).

(٢) في مقابل له بعنوان: (المشتراكات الإنسانية سبيل للحضارة) نُشير في موقع (إسلام أون لاين) بتاريخ: /١٨٤/٢٠٠٤ م.

(٣) جريدة الرياض، الجمعة ٢٠ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ - ١٦ يونيو ٢٠٠٦م - العدد: (١٣٨٧١).

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة ، أرى أنه لابد لأهل السنة أن يدركونا خطورة هذا الفكر المنحرف ، وأن يجيروا جميع طاقاتهم العنكبوتية لصده ، وكشف عواره ، وتحذير الناس منه ؛ فهي والله -أمانة عظيمة ، ومسؤولية جسيمة ، سنسأل عنها بين يدي الله -جل وعلا - ، وهذه حلول مقتضية أقدمها في نهاية هذه الدراسة ، عسى الله -بفضله وكرمه -أن ينفع بها ، ويجعلها نوأة لانطلاقه أكبر ، وجهد أعظم ، وهي على النحو الآتي :

- ١) تكاثف الجهود للرد على كل ما يتتجه هذا الفكر وما يطرحه في الساحة وبيان الباطل الذي يسوق له .
- ٢) إنشاء مراكز بحثية متخصصة في هذا الفكر ورموزه .
- ٣) فضح العمالة التي يعيشها بعض رموز هذا الفكر مع المحتل ومع الغازي ومع أعداء الدين عموماً .
- ٤) عمل ندوات ومحاضرات حول هذا الفكر وتعريفه وتكون معلنة .
- ٥) إصدار سلسلة حول الفكر وأصوله تكون سهلة العبارة والأسلوب ومحضرة وتنشر بين طلاب العلم وال العامة .
- ٦) تكثيف الكتابة في نقض أفكارهم من خلال وسائل الإعلام المختلفة .
- ٧) الكتابة في مستجدات العصر ونوازله وتقديم رؤية متزنة حول النوازل الفقهية والعقدية والسياسية بما يقطع الطريق على الأطروحات الليبرالية المنحرفة . كما أنصح القارئ الكريم بقراءة بعض الكتب النافعة في هذا الإطار ، وهي

فيما يلي :

- ١- الاتجاه العقلاني لدى المفكرين الإسلاميين - عرض ونقض ، للدكتور سعيد بن عيسى الزهراني .
- ٢- مآلات الخطاب المدني ، للأستاذ إبراهيم السكران .
- ٣- الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية (دراسة نقدية) ، للدكتور مفرح بن سليمان القوسي .
- ٤- العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ، للأستاذ محمد حامد الناصر .
- ٥- المدرسة العصرانية في نزعتها المادية ، للأستاذ محمد حامد الناصر .
- ٦- الإسلام والحضارة الغربية ، للدكتور محمد محمد حسين .
- ٧- الاتجاهات العقلانية الحديثة ، للدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل .
- ٨- الإسلام الليبرالي ، للأستاذ محمد إبراهيم مبروك .
- ٩- أمريكا والإسلام النفعي ، للأستاذ محمد إبراهيم مبروك .
- ١٠- العقلانيون أفراد المعتزلة العصريون ، للشيخ علي بن حسن الحليبي .
- ١١- نظرات شرعية في فكر منحرف ، للشيخ سليمان بن صالح الخراشي .
- ١٢- رياض الجنة في الرد على المدرسة العقلية ومنكري السنة ، للدكتور سيد ابن حسين العفاني .
- ١٣- الحكم الشرعي بين أصالة الثبات والصلاحية ، للدكتور عبد الجليل زهير ضمرة .
- ١٤- موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية ، للشيخ الأمين الصادق الأمين .
- ١٥- موقف الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر من قضايا الولاء والبراء ، للأخت مضاوي بنت سليمان البسام .

- ١٦- موقف الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر من النص الشرعي، للدكتور سعد بن بجاد العتيبي .
- ١٧- محاولات التجديد في أصول الفقه ودعواهـ دراسةً وتقديماً ، للدكتور هزاع بن عبد الله الغامدي .
- ١٨- مقالات متميزة في نقد الليبرالية ، ومقالات متميزة في نقد العصرانية ، إصدار: مركز الفكر المعاصر .
- ١٩- العصريون معتزلة اليوم ، للأستاذ يوسف كمال .
- ٢٠- مفهوم تجديد الدين ، للدكتور بسطامي سعيد .
- ٢١- المعتزلة بين القديم والحديث ، للأستاذين: محمد العبدة وطارق عبد الحليم .
- ٢٢- مفهوم التجديد بين السنة النبوية وبين أدباء التجديد المعاصرين ، للدكتور محمود الطحان .
- ٢٣- العصرانية في حياتنا الاجتماعية ، للدكتور عبد الرحمن الزنيدى .
- ٢٤- غزو من الداخل ، ودفاع عن ثقافتنا ، وجذور الانحراف في الفكر الإسلامي ، ثلاثة لهم للأستاذ جمال سلطان .
- ٢٥- منهاج التيسير المعاصر؛ للأستاذ عبد الله بن إبراهيم الطويل .
- ٢٦- معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية ، للدكتور عبد العزيز كامل .
- ٢٧- نقد الليبرالية ، للدكتور الطيب بوغزة .
- ٢٨- الليبرالية و موقف الإسلام منها ، للدكتور عبد الرحيم بن صمائل السلمي .
- ٢٩- الليبرالية في السعودية والخليج- دراسة وصفية- ، للأستاذ وليد بن صالح الرميزان .

الفهرس

٣	مقدمة الطبعة الثانية
تمهيد	
٩	المصطلحات التي أطلقوها على أنفسهم أو أطلقـت عليهم
٢٠	تاريخ ظهور هذا الاتجاه على وجه الإجمال
٢١	أثر الاستشراق والاتجاهات الإلحادية على الفكر الليبرالي
الفصل الأول: معالم الفكر الليبرالي المعاصر	
٣٧	المعلم الأول: الموقف من النص الشرعي
٧٥	مبحث علمي تأصيلي في غاية الأهمية حول حديث (تأبير النخل)
٩٠	المعلم الثاني: موقفهم من قضايا العقيدة وأصول الدين الكبرى
٨٩	المحمود يضع تفسيراً غريباً لمعنى الإيمان ومدلوله الشرعي !
٩١	تفسير (لا إله إلا الله) بـ(لا معبود بحق إلا الله) جزء من التشويه الأيديولوجي لدى بن بجاد
٩٢	فتوى العلامة البراك حول مقال بن بجاد العتيبي (إسلام النص وإسلام الصراع)
٩٤	رد العلامة الفوزان على مقال (إسلام النص وإسلام الصراع)
١٢٠	المعلم الثالث: موقفهم من التراث والتاريخ الإسلامي
١٢١	منظـلات العـصـرـانـينـ فيـ نـقـدـ التـرـاثـ الإـسـلامـيـ
١٣٧	المعلم الرابع: الموقف من الغرب عموماً
١٤٢	الدعوة إلى عدم المواجهة والمقاومة والنقد اللاذع لمن يدعوا لمقاومة المحتل
١٤٨	معالم متفرقة

القدح في أئمة العلم من أهل السنة قديماً وحديثاً ١٤٨
إنكار قضية سد الذرائع، والتثنيع على من يقررها من المتقدمين والمتاخرين من أهل العلم ١٥٢
الهجوم على مناهج التعليم الشرعية في السعودية ١٥٥
دعوتهم للحرية بمفهومها المنحرف ١٥٦
نقد الثواب والتشكك فيها ١٥٨
يوسف أبو الخيل يشكك في أنَّ القرآن كله كلام الله تعالى ١٦٨
ردُّ العلامة الفوزان على هراء يوسف أبي الخيل ١٧٠
لمزُ الصحابة <small>رضي الله عنه</small> بالعدوانية، ووصفُ تاريخهم الزاهِر بالزيف والوهم ١٧٤
التشكك في ديمومة الصراع مع اليهود وكونه صراعاً عقدياً ١٧٧
انحراف العصرانيين في مفهوم الجهاد ١٨٠
قولهم بـ(نسبة الحقيقة)، فما حقيقة هذا القول، وماذا يُراد به؟ ١٨٧
الفصل الثاني: آثار وأخطار الفكر الليبرالي على المسلمين
أولاً : الآثار العقدية ١٩٧
ثانياً : الآثار التربوية والأخلاقية والاجتماعية ١٩٨
ثالثاً : الآثار السياسية ٢٠٣

الخاتمة

حلول مقترحة ٢٠٤
نصائح بأهم الكتب النافعة لمواجهة الفكر الليبرالي ٢٠٥
الفهرس ٢٠٧

* * *